

obeikandi.com

رواية

نون بلا سكون



اسم الكتاب: نون بلا سكون

التأليف: نهي عاصم - ماجدة المعداوي - ريهام عبادة - منيرة - كريمة

موضوع الكتاب: رواية

عدد الصفحات: 368 صفحة

عدد الملازم: 23 ملزمة

مقاس الكتاب: 14 × 20

عدد الطبعات: الطبعة الأولى

رقم الإيداع: 2016 / 7174

الترقيم الدولي: 1 - 539 - 278 - 977 - 978 - ISBN

التوزيع والنشر

دار الشريعة للثقافة والعلوم

Darelbasheer@hotmail.com

Darelbasheeralla@gmail.com

ت: 0115280653 - 01012355714

1437 هـ
2016 م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع ، والتصوير ، والنقل ، والترجمة ، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي ، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من :

دار الشريعة للثقافة والعلوم

نونا

بلا سكون

بقلم

نهى عاصم

ماجدة المعداوي

ريهام عبادة

منيرة

كريمة

دار البشير

للثقافة والعلم

obeikandi.com

نبذة عن كاتبات رواية نون بلا سكون

منيرة

زوجة مصرية مقيمة في الولايات المتحدة، متخرجة من كلية تجارة الإسكندرية عام ١٩٧٨ سافرت لنيويورك في نفس عام تخرجي بعد زواجي، وكان دائماً حلم الرجوع للوطن بيراوندي، لكن بعد ٣٨ سنة زواج وطني الثاني بقي أسرتي المكونة من زوجي وأربعة أولاد: ابنين وبنيتين وأحفادي السبعة. رحلة حياة مرّينا فيها بصعاب وأفراح وأحزان، حبيّت أشارك فيها كلّ بنت وامرأة مصرية يمكن تفيد واحدة منهن.

ماجدة محمد المعداوي

خريجة فنون جميلة الإسكندرية قسم ديكور عام ١٩٨٥ - وخريجة معهد الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية عام ٢٠١٠، عمري ٥٣ عاماً، مطلقة من ١٢ سنة - عندي بنت واحدة خريجة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية - بداية الكتابة كانت على مدونتي مجداوية من ٢٠٠٨ ومن سنوات بدأت أكتب على الفيسبوك.

نهى عاصم

عمري ٤٧ سنة - مطلقة وعندي ٤ أولاد كلهم ذكور، خريجة كلية الآداب قسم وثائق ومكتبات جامعة الإسكندرية، أعمل متطوعة في الدراسات العليا في مكتبة طه حسين للطلبة المكفوفين بمكتبة الإسكندرية، ومعني دبلوم ترجمة من وإلى الإنجليزية، بدأت الكتابة الفعلية على مدونتي على بلوجر لعدة سنوات، ثم بدأت أنشر كتاباتي وخواطري على الفيسبوك والمنتديات، اشتركت بقصتين "نور والبحر" و "أتى ليقي" ضمن مجموعة قصصية صدرت في جزئين اسمها "حواديت البنات"

كريمة

أنا زوجة "أولى" وأم لـ ٣ أولاد، خريجة كلية آداب الإسكندرية قسم علم نفس عام ١٩٩٤، معنديش تجارب سابقة في الكتابة، دي أول مرة أكتب فيها، لكن عندي تجارب في الحياة حبّيت أنفع بيها غيري.

ريهام عبادة عبد المجيد الجزائر

مواليد الدمام - السعودية عام ١٩٨١، ابنة لأبوين من كفر الشيخ، وأخت صغرى لأخ وأخت، خريجة كلية الآداب قسم الاجتماع جامعة الإسكندرية، أعمل سكرتيرة تنفيذية منذ ١٠ سنوات، متزوجة منذ عام ونصف تقريبا، وأمّ لطفل عمره سبعة أشهر، وعندي مدونة بعنوان "نوستالجيا" كانت بدايتي للكتابة.

إهداء

إلى رفيق الدرب وحبیب القلب وصديق العمر..
زوجي الحبيب أهدي لك هذا الكتاب.. لأنني تعلمت على يديك كيف
يكون السكون

منيرة

إلى أبي وأمي "رحمها الله"

إلى ابنتي....

وأخواتي...

وكل نون نسوة..

وكل رجل.

وإلى الألم؛ فلولاه ما وصلت للراحة والحمد.

ماجدة

إلى أعلى ما في حياتي...

إلى جنتي على الأرض: أبنائي

أهديكم هذا الكتاب لعلكم تتعلمون منه كيف تُعامل النون.

فهي

إلى ابني وابنتي..

ستجدون داخل طيّات الورق ما عجزت أن أبوح به لكما،

فالحب كما يمنح القوة يجلب العجز، وكثيراً ما اعتبرت عجزتي قوة.

كريمة

إلى ذكري والدي..

إلى أول نون في حياتي.. "أمي"

إلى زوجي.. رفيق العمر القادم

إلى إخوتي..

إلى كل من عرفت؛ لأنهم علّموني الكثير.

ريهام

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

آية كريمة تكتب في صدر دعوات الزفاف كبداية نمطية تختم بنهاية
نمطية "والعاقبة عندكم في المسرات"
وقد كتبت في دعوات زفافنا أيضًا
منّا من وجدت المسرات ووجدت المودة والرحمة، ومنّا من بحثت
عنها ولم تجدها.

رحلة العمر بحلوها ومرّها، بلحظات السعادة ولحظات الألم، تتشكل حياة
كل نون، وليست كل حياتنا مسيرة، بل هي اختياراتنا التي تُشكّل هذه الحياة.
تعلمنا من الحياة أن كثيرًا من الحب يؤذي، وأنه لا بدّ للعطاء أن يكون
له حدود، حدوده.. الإنسانية والرحمة.

سعادتنا في أيدينا لو أحسنّا الاختيار، وتوكلنا على الله حق توكله، وبدأنا البدايات الصحيحة، وتقوى الله هي الحصن وهي الضمان وهي الوسيلة؛ كي نرحم بعضنا بعضًا، وكي نستظل كلنا بالمودة والرحمة.

سكون النون في الرفق بها ومعاملتها كما أوصى رسولنا الكريم ﷺ عندما قال: "رفقًا بالقوارير"، وإنما قال ﷺ: "النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم".

سكون النون عندما تعرف دورها، ولم تخلت، وأنها من ضلع آدم، وهو سكنها، وهو حصنها بلا نديّة ولا صراع ولا تبادل للأدوار، عندما تعرف أنها خير متاع الدنيا إن صلحت وحسن تبعها لزوجها.

نتمنى أن تجدوا في رحلات عمرنا ما يرشدكم إلى الطريق الصحيح.. الرواية ليس بها خيال، رغم أن كثيرًا من أحداثها وشخصياتها مؤلفة؛ لكن المشاعر الإنسانية واقع، فستجد كل نون بعضًا منها في شخصيات الرواية، نسأل الله أن تكون روايتنا شاهدًا لنا لا علينا، وأن تجد كل نون سكنها وسعادتها.

كاتبات رواية "نون بلا سكون"

نهى - ماجدة - ربهام - منيرة - كريمة

نون بلا سكون

مع فنجان قهوتها تجلس "أمال" في شرفتها الكبيرة المطلة على تلك الحديقة الشاسعة المخصصة للأطفال بألعابها البلاستيكية الملونة وخضرة ملاعبها الزاهية، والتي في هذا الوقت من الصباح تخلو من الأطفال وأسرهم؛ فهي لا تفتح أبوابها لهم قبل العاشرة.

الساعة الآن تقترب من الثامنة، أخذت ترتشف قهوتها في هدوء، وتراقب عمال الحديقة وهم يروون النجيلة، ويستعدون لاستقبال زائري الحديقة، يفصل بينها وبين الحديقة شارع كبير ذو اتجاهين، يجعل صوت السيارات يغطي على صوت الأطفال وجلبتهم، وصرახهم وبكائهم، وضحكاتهم.

بيتها عكس خارجه؛ فهو يُعَمُّه الهدوء، موعد استيقاظ بناتها لم يحن بعد، فهن في الأجازة الصيفية لا يستيقظن قبل الثانية عشر ظهرًا في أحسن الأحوال بعد سهر كبير في الليل أمام شاشات الكمبيوتر أو التلفزيون، وزوجها في عمله في تلك المحافظة البعيدة حيث مسقط رأسه وأهله وعزوته، واختارها ليقم عليها شركته ومصنعه الملحق بها، ويأتي كل شهر ليمضي بضعة أيام قليلة معهن كضيف خفيف لا يُشعر بوجوده كثيرًا، فأغلب الوقت يمضيه نائمًا مرهقًا من أثر السفر ومجهود العمل المضني

الذي يتطلب منه أن يكون حاضرًا متيقظًا دائمًا لحل المشكلات ومتابعة العمل والعمال؛ فمسئولته جسيمة حيث كان يردد دائمًا أنه يتطلع لهذه الإجازة بشدة؛ لكي يرتاح قليلاً من هذا التفكير واليقظة المستمرة.

وقد اعتادت "أمال" على هذا الأمر بعد مرور سنوات زواجها على غير بدايته، فهي في شهور زواجها الأولى كانت تبكي كثيرًا لوحدتها، وتكثر المشادات بينها وبين زوجها لأنه يمضي معظم وقت الإجازة في النوم ولا يجلس معها ولا يخرج معها، فهو عندما تقدم لخطبتها لم يقل إن عمله سيأخذه تمامًا هكذا، ولم تتخيل أن تكون أيام أجازته محدودة بهذا القدر!، ولا أن يمضيها وكأنه ليس موجودًا معها كما كانت تحلم قبل أن تتزوج أن تشارك زوجها في كل صغيرة وكبيرة وتشارك معه الاهتمامات والهوايات، ولكن أحلامها لم يتحقق منها شيء.

طالبت بالطلاق بعد مرور أول سنة من زواجها؛ لإحساسها الدائم بالوحدة وعدم الأمان وهي تجلس في منزل كبير وفخم، مملوء بالأثاث وكل الكماليات؛ لكنها كانت تحدّث فيه نفسها في المرأة، أو تتحدّث مع الزرع، بل إنها وجدت نفسها مرّة تحدّث الثريا المدلاة من السقف، وتقول لها "إيه رأيك في عملية تنضيف لك عشان تلمعي كده وتكوني منورة، موافقة!"

لم يقبل منها أحدٌ من عائلتها فكرة الطلاق مطلقًا، وحثّوها على السعي لإنجاب طفل فهو من سيجعلها مشغولة تمامًا ولن تشعر بتلك الوحدة، وبعدها بفترة وجيزة حملت بالفعل في طفلتها الأولى، وتلتها أختها بعد

عام، وانشغلت بهما تمامًا، وبالطبع لم تعد تفكر في الانفصال رغم عدم تغير الحال مع زوجها، بل ازداد الوضع صعوبة بعد توسع نشاط عمله، فبعدت المسافة بينهما، ليست مسافة المكان فقط، ولكن مسافة المشاعر أيضًا؛ فهي كانت تشعر أنه بعيد عن مشاعرها العطشى لحنانه وتودده، فهو لا يبادلها تلك التفاصيل الصغيرة التي تعكس مشاعر الحب بين الزوجين.

كثيرًا ما تمنت أن يقبل يدها في حنان أو تعبيرًا عن امتنانه عندما تحضر له فنجانًا من القهوة صنعته بيدها، لكنه كان لا يلتفت إليها عندما تضعه، فتظل واقفة لبرهة ثم تجلس وهي تفرك يدها متحسرة على تلك الأمنية التي راودتها، كم انتظرت يوم ميلادها أو ذكرى يوم زواجهما ليقدم لها ولو وردة واحدة تخبرها بأنه يتذكرها! أشياء صغيرة لكنها كانت تمثل لها أحلامًا وأمنيات لا تتحقق على أرض الواقع.

بعد ثلاثة أعوام من ولادة ابنتها الثانية حملت لتنجب بنتًا للمرة الثالثة؛ مما زاد من سخط أهل زوجها عليها، فهم يحملونها عدم إنجابها لولد يحمل اسم أبيه، ويرث أملاكه في المستقبل!

لكن لم يرد الله لها إلا أن يرزقها بناتها الثلاث، فأسلمت أمرها لله، والتفت لتحسين حياتها وحياة بناتها، وقد كانت ذا موهبة في الكتابة منذ الصغر نمت معها وجعلتها تلتحق بكلية الإعلام قسم صحافة، لكنها منذ تخرجت تزوجت، ولم تعمل، فراسلت إحدى المجالات المتخصصة في الأدب، وعرضت عليهم بعض مدوناتها فأعجبوا بموهبتها، وطالبوها بالعمل

معهم في الصحيفة بشكل دائم خاصة أن شهادتها تتيح لها العمل الصحفي، لكنها طلبت أن يكون التعامل معهم من خلال كتابات أسبوعية فوافقوا، وبدأ الإعجاب بما تكتب ينعكس على تعليقات القراء؛ فأصبح لها عامودٌ باسمها تكتب فيه كل أسبوع خواطرها، وزوجها لم يمانع هذا لأنه وجدها متحمسة جدًا ومنهمكة في هذا الأمر؛ فوجد أن هذا الاهتمام الجديد سيصرفها عنه، ويزيل شكاواها المتكررة من غيابه، مرت الأعوام سريعًا وكبرت بناتها، والتحقت البنتان الكبيرتان بالجامعة، وأصبحتا على وشك التخرج الواحدة تلو الأخرى، والصغرى ستنتهي مرحلتها الثانوية هذا العام وتلحق بهما،

وذاع صيت "أمال حلمي" ككاتبة تهتم بالمرأة ومشاعرها، وأصبح لها بابٌ تراسلها فيه الفتيات والنساء المعذبات بمشاكل الحياة وأيضًا بسلسلة من الكتب والقصص التي كانت تلقى إقبالًا كبيرًا؛ لأنها كانت تكتب قصصًا من واقع الحياة، ولا تتحيز للمرأة إن كانت هي سبب المشكلة؛ فكان هذا يميزها ويجعل قراءها ليسوا من النساء فقط بل الرجال أيضًا.

وتناست تمامًا مشكلتها مع زوجها والمشاعر الفاترة منه وسط كم المشاكل والقصص التي تصلها يوميًا، ولكن الكلّ يعتقد أنها من أسعد الزوجات فعندها كل ما تحلم به المرأة من ثراء ومكانة وزوج وأسرة، وقد عالجت ما ينقصها بالكتابة؛ فكانت تصف كل المشاعر التي كانت تتمناها بمهارة أدبية فائقة جعلت كتبها هي المنهل لكل محروم، وهي الحلم لكل مشتاق، وهي الصدى لكل أنين ملتانق تنقصه تلك المشاعر.

كانت تبدأ يومها فجرًا فتصلي، ثم تتناول فطورها وتجلس بعده مع فنجان قهوتها لترتشفه في شرفتها إن كان الطقس بالخارج يسمح بذلك، أو تجلس في تلك البقعة على مقعدها الوثير تنظر من وراء الزجاج للسماء، وتترقب أشعة الشمس لتدفع جلستها ومكان مكتبها المقابل للنافذة، فهي كانت تحب دائمًا أن تنظر للسماء قبل أن تبدأ بالكتابة أو قراءة ما يأتيها على صفحتها أو بريدها الإلكتروني.

واليوم وقد قاربت أن تنتهي من ارتشاف قهوتها كانت تفكر في التفرغ التام لحياتها الزوجية، وأن تصاحب زوجها في كل الأماكن التي يكون فيها؛ فبناتها لا يحتجن رعايتها كما كُنَّ صغارًا، ومعهن مربية المنزل أم محمد التي لولاها لما استطاعت أن تنجح في عملها أو في تربية بناتها، فهي امرأة ريفية أحضرها والدها منذ ولادتها لابنتها الثالثة، وكانت أم محمد مطلقة مرتين؛ لأنها لم تكن تنجب! فكرهت الزواج بعد ما ذاقت من معاملة سيئة من قبل أهل زوجها السابقين، ومعايرتها بعدم الإنجاب، وتوسطت لدى والد "أمال" الذي كان يزور قريته كل فترة، فجاءته ترجوه أن يجد لها عملاً بالقاهرة بعد أن أصبحت مثارًا للثرثرة النساء أو شفقة البعض على حالها، فعرض والدها عليها أن يحضرها لكي تساعد في تربية بناتها، فوافقت لأنها وجدتها فرصة أن تخفف الأعباء عنها وتتهيأ للعمل وقتذاك، ولازمتها أم محمد طوال تلك السنوات بكل إخلاص وأمانة وحب لبناتها؛ فأصبحت فردًا من أسرتها، وكثيرًا ما كانت تلجأ إليها "أمال" لتأخذ رأيها في مشكلة

جاءتها حتى أنها كانت تذكرها في بعض مقالاتها، وأصبحت أم محمد معروفة لدى قراء "أمال حلمي" ويسألون عليها، ويرسلون لها تحياتهم ودعواتهم، وقد كانت تسعد كثيراً بهذا.

والآن تعتمد على أنها ستعينها كما أعانتها دائماً لكي تتفرغ لزوجها الذي لاحظت منذ فترة صمته التام وتغيره معها بشكل غير مسبوق، فكيف تحل للناس مشاكلهم ولديها مشكلة كبيرة في التواصل مع زوجها!

لكنها تريد أن تنهي عملها مع الجريدة بكتاب ليس بقلمها، ولكن بقلم قارئات لها تابعتها منذ سنوات، وكوّنت معهن صداقات جميلة، وتقابلت معهن في لقاءات متعددة عند توقيع كتبها، وأيضاً في زيارات خاصة بهن فكان لهن موعدٌ سنويٌّ يلتقن فيه عند وجود "منيرة" بينهن، والتي تعيش في الولايات المتحدة الأمريكية، وتأتي كل عام في أجازة تقضيها مع أهلها في الإسكندرية.

كانت فرصة أن تذهب "أمال" هي الأخرى مع بناتها وأم محمد في أجازة سنوية لأحب المدن الساحلية لقلبها، فهي ترى أن الإسكندرية ملاذ كل فنان وكل من له موهبة وحسٌّ مرهفٌ؛ فهي تمس الروح فيهم وتخرج منهم أفضل ما لديهم؛ فالإسكندرية ليست مجرد شاطئٍ ورمال، ولكنها حكايات تُحكى عبر العصور، وكل ركن فيها له ذكرى فجعل لها سحرًا خاصًا تتميز بها ونسيماً وأجواءً لهما عقب من نوع فريد، كانت تحسه وتتلمسه بشوق ولهفة، وكان البحر هو الشوق الدائم للبراح والبوح، فتعود من هناك وقد خفت أحمالها بعد أن حملتها لموج البحر، كن يجتمعن في منزل "منيرة" في يوم يُعد له من قبلهن باهتمام بالغ وفرحة غامرة.

هن خمس نساء و"أمال" سادستهن، منيرة وشمس وكريمة وعلياء وصفاء، كلهن من الإسكندرية ما عدا "صفاء" من القاهرة مثل "أمال".
 "علياء" أصغرهن سنًا فهي في أوائل الثلاثينيات؛ فقد انضمت للمجموعة منذ سنوات قليلة من خلال آرائها ومناقشاتها على الفيسبوك، فقد لفتت نظر "أمال" لرجاحة عقلها وحرصها على تقديم اقتراحات بناءة، وحضرت لها كثيرًا من حفلات توقيع كتبها، فكانت تسافر لها خصيصًا فتوطدت العلاقة بينهما، وضممتها "أمال" لصحبتها التي رحبت بها، وانسجمت معهن تمامًا.

جلست "أمال" على مكتبها لكي ترسل صديقاتها لتعرض عليهن الأمر، وأخبرتهن بواسطة رسائل لكل واحدة على التواجد؛ لمحادثة جماعية في تمام الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة، فجاءتها استجابات بالموافقة منهن ما عدا "منيرة" التي لم تقرأ الرسالة، ولكنها تعلم أنها ستقرأها في وقت لاحق؛ لفرق التوقيت بين القاهرة وأمريكا.

تنفست "أمال" الصعداء لأنها بدأت في تنفيذ ما تريد، ووجدت أن الساعة قاربت على الثانية عشرة ظهرًا فذهبت لتوقظ بناتها، وتبدأ في إعداد طعام الغداء مع أم محمد.

بعد الغداء، بينما جلست "أمال" على مكتبها لتتصفح الصفحات الأدبية والإخبارية التي تتابعها، رنَّ جرس الهاتف فأسرعت "جنت" صغرى بنات "أمال" في الرد قبل أم محمد التي كانت تسابقها للوصول للهاتف، وتشتكي لأمال من ابنتها أنها تعاكسها دائمًا، فتعقب "أمال" ضاحكة:

عشان بتحبك أوي يا أم محمد، هي اللي بتحبه تعاكسه كده، هو إنت لسه
حتعرفيها، ما إنت اللي مريهاها، اشربي بقى تربيتك!.

تخبر "جنة" أمها أن طنط تهاني ابنة خالة "أمال" على الهاتف،
وصوتها كأنها تبكي!

تترك "أمال" ما كانت تفعله، وتسرع للرد عليها وهي قلقة، ويأتيها
صوت تهاني الباكي؛ فيزداد قلقها وتسألها بلهفة:

- فيه إيه يا تهاني مالك!، خير؟، فيه إيه!؟

- الحقيني يا أمال أنا بأموت، مش عارفة أعمل إيه، أنا حياتي كلها
انهارت!

وتستغرق في بكاء مرير.

تبادرها "أمال" بقلق بالغ عليها وهي المرحة دائماً، والتي تسخر من
كل شيء حتى نفسها:

- قولي بس إيه اللي حصل؟، فيه إيه يا تهاني وقّعتي قلبي!

من بين بكائها تتحدث تهاني بصعوبة:

- أسامة يا أمال، اكتشفت إنه على علاقة مع واحدة تانية!

- إزاي يعني يا تهاني عرفتي؟ اهدي بس شوية، وفهميني.

تحاول "تهاني" أن تلتقط أنفاسها من بين نحيبها، وتقول: لقيت

جوابات في مكتبه وعلى الكمبيوتر.

تسألها "أمال" في تعجب: وهو سايب مكتبه مفتوح كده!، والكمبيوتر والحاجات دي فيه أي حد ممكن يقرأها! أكيد كاتبهم ليكي يا تهاني.

- ليّا إيه بس يا أمال، دي جوابات غرامية!

- هو يعني الزوج ممنوع يكتب جوابات غرامية لمراته!

- إنتِ فاكراه "أمال حلمي" بتكتب لجوزها كتب وأشعار!، هوّه مش

بيكلمني غير.. خلصتي الأكل، كويتي القميص، اعمليلي شاي، عامل زي شويكار في المسرحية.. إزّي الصحة.. برافو.. الجو جميل.

تضحك "أمال" وتقول لها: حتى وإن بتعطي دمك خفيف يا تهاني!

- دمي خفيف وعقلي كمان بقى خفيف، أنا خلاص حاتجنن، أنا كنت

حاسة وعارفة، أنا أحلامي متنزلش الأرض أبداً، حلمت بيه بيخوني والله يا أمال.

فترد "أمال" مازحة لتخفف عنها: وكان بيخونك مع مين بقى يا شيخ

علام؟!

- إنتِ بتهزري يا أمال، مش مصدقاني، أنا شففته في الحلم مع العقربة اللي

في الدور السادس اللي جوزها على طول مسافر وسايبها على حل شعرها.

تحس "أمال" بغصّة من هذه الجملة؛ فتعقب معاتبة: همّا كل اللي

أجوازهم مسافرين يبقى لازم يكونوا ماشيين على حل شعرهم يا تهاني!

فتشعر "تهاني" بعتاب صوت "أمال"، وتتذكر أن زوجها دائماً مسافر..

- لأ طبعاً مقصدش. أنا قصدي إن أخلاقها وحشة، وبتليس لبس مكشوف، وبتحط بارفان ريحته بتجيب آخر الشارع، وكل ده عشان تلفت نظر الرجالة في الراححة والحجاية!

- أحسني الظن. هوّه أكيد بس بيطلع المشاعر المكبوتة اللي عنده ليكي، وإنك مشغولة عنه على طول بالأولاد ومذاكرتهم، أنا شفت بعيني يا تهاني، بيتك زي المورستان، وهو مهمّش خالص ولا كإنه موجود!

- والله أبداً يا أمال، أنا باحاول أشد منه الكلام بالعافية، تعرفي آخر مرة لما كنت في العمرة من شهرين اشترت من "قزاز" كريم فرنساوي غالي جداً، واشترت طقم أمريكي قميص نوم بروب ولا بتوع هند رستم!، وقلت أعمل بقي جوّ رومانسي، والعيال ناموا بدري، وحطيت الكريم الفرنسي ولبست الطقم الأمريكي، وتقمصت بقي دلح الست هند وتسريحه شعرها وقعدت جنبه لقيته بيشمشم زي الكلب البوليسي، ويقول لي: إيه ده إنت حاطة فيكس!!

واستغرقت "أمال" في الضحك، وقالت: والله يا تهاني إنت ملكيش

حل، بتموتيني من الضحك، فيكس!!

- اضحكي يا ستي اضحكي، ده كان يوم مطلعوش لا ريحة ولا شمس، ورميت الكريم في الزبالة من غيظي، رومانسية خالص، أنا يقول لي فيكس!، وألاقيه كاتب أشعار حب وهيام، ويتغزل في جسمها وعينيها

وشعرها وصوابعها! طبعاً مش لياً الكلام ده، ده بيتريق على صوابعي وبيقول لي صوابعك بقت زي صوابع المحشي يا تهاني!، ميعرفش إنها وارمة من كتر الغسيل والمواعين له ولعياله، اسمعي كاتب لها إيه..

"عدت وجلست وحيداً لأتذكر لقاءنا وتفصيل قدك المياس وشعرك المنسدل على أكتاف من مرمر كتمثال فينوس، فينوس!!

تردد "تهاني" في حسرة وسخرية: يعرف مين فينوس ابن ستيتة ده!! وأكملت.. وعيناك التي تناديني لأبحر في أعماقها، وأصابعك الرقيقة التي تعزف بخفة على شعري، وشفتك التي كانت ترتعش شوقاً ل..

وتقاطعها أمال: تهاني، مينفعش تقرئي الكلام ده لأي حد، وأنا أتكسف أسمعته حتى لو كاتبه ليكي.

ترد تهاني صارخة: برضه حاتقول ليكي، طيب يا ستي مش حاكمل الليلة الحمراء قصدي الليلة السوداء عليه وعليها، لكن متقوليش ليكي، أنا عينيا لا بتنادي ولا بتشاور ولا بتشوف حتى، وصوابعي صوابع محشي حتعزف بخفة على شعره إزاي!، أنا منهارة يا أمال وإنت مش مصدقاني!.

- مصدقاكي والله، بس لازم تتأكدي قبل ما تتهمي جوزك اتهام خطير كده، مش يمكن يكون متجوزها؟

يزداد صراخ تهاني: يا لهوي، متجوزها دي تبقى وقعته مهيبة، ده لو متجوزها لازم يطلقني.

- إنتِ اتجننتي يا تهاني، يعني لو بيخونك يبقى عادي!، ولو متجاوزها تبقى دي المصيبة!

- أيوه، لو بيخونني يمكن تكون نزوة، طيش مسنين وحيروح لحاله لما أهدده بالطلاق وأنا عيالي لسه صغيرين ومحتاجين رعايته، لكن لو متجاوزها يبقى باعني وباع ولاده، وبيستغفلني وبياخذ لها من حقهم وحقني، هو يعني أول ربنا ما يفتح عليه بعد سنين الغلب يقوم يتجاوز!، أنا لازم أواجهه وأعرف منه مين خطافة الرجالة دي؟ وإيه علاقته بيها بالظبط؟.

- طيب اهدي بس عشان تعرفي تتكلمي معاه، طول ما إنتِ بتصرخي كده مش صح، أولادك يا بنتي زمانهم اتسرعوا، وجيرانك أكيد سامعين صراخك ده، وأنا سامعة ابنك يبصرخ جنبك أهو.

- يولعوا الجيران ما بلاويهم بنسمعها ليل ونهار في المناور، والههم طابلهم، والولاد بيلعبوا في الحوش تحت ومفيش غير الواد ميدو، وهو مش فاهم أنا باقول إيه، وهو يبصرخ كده على طول!

آه هو مش فاهم بتقولي إيه، لكن سامع صراخك وشايفك وانتِ منهاره، وأكيد يا حبيبي خايف ومرعوب، بالراحة يا تهاني مش كده.

- طيب يا أمال معلش أنا عارفة إنني طولت عليك، وإنِ أكيد مشغولة، حاقفل دلوقت وحابقي أقولك مين المرحومة اللي بيخونني معاه، وعشان تعرفي بس إن أحلامي مبتخرش المية، حتكون الست اللي في الدور السادس.

- لا أبداً يا تهاني مطولتيش، أنا بس عايزاكي تهدي، وإوعي تتهوري وتعملي معاها حاجة لو طلعت هي، بلاش فضايح يا تهاني عشان أولادك وسمعة باباهم.

تنهي المكالمة مع ابنة خالتها وهي قلقة عليها، وتسألها "جنة": هي طنط تهاني زعلانة مع جوزها يا ماما؟

أدركت "أمال" من سؤال ابنتها أنها سمعت بعض الحوار؛ فعاتبتها قائلة: إنتِ ليه مدخلتيش أوضتك يا "جنة" وقت ما كنت بأكلمها؟ مش عيب تقفي تسمعي كده!

- لا يا ماما، أنا مقصدتش أسمع، أنا كنت مع أم محمد باساعدها في غسل الأطباق؛ لأنه دوري في المطبخ النهارده، وغصب عني سمعتك بتهدئها، أنا بس عايزة أطمئن عليها؛ لأنني بحبها أوي، الوحيدة اللي في قرايينا اللي دمها خفيف وبتضحكنا.

فهدأت "أمال" نبرتها الجادة، وابتسمت وقالت: هي فعلاً حبوبة، وتستهل كل خير، اطمني حبيبتي، مفيش حاجة، خلاف بسيط زي كل الأزواج.

ترد "جنة" في تساؤل ملح عليها: هو لازم يا ماما كل المتجوزين يبقى عندهم خلافات؟ أنا مش عايزة أتجوز، مفيش نموذج حوالينا يشجع على الجواز!

- ليه هو جوازنا أنا وبابا فيه خلافات؟! بيتنا هادي الحمد لله.

ترد "جنة" بصراحة بريئة لا تعرف النفاق ولا التلون - وهي تضحك: بيتنا

هادي عشان بابا مش موجود فيه يا ماما، ولمّا بيكون موجود مش بيتكلم كثير .
فتؤمّن "أمال" على كلامها بصمت، وهي تسأل نفسها: هل حقًا لو
كان زوجها موجودًا بصفة دائمة معهم كانت الخلافات الكثيرة حدثت لهم
هم أيضًا؟ وهل هي سعيدة بهذا الهدوء القاتل الذي سبّبهُ البعد والصمت
المتزايد حد الخرس؟

انتبّهت "أمال" من تساؤلاتها على صوت أم محمد تقول لها: "جنة"
لو كانت واقفة بتسمع كنت قلت لها ادخلي أوضتك، متخافيش أنا واخدة
بالي، أعملك شاي واللا نسكافيه؟

_ ربنا يخليكي يا أم محمد، أنا عارفة إني من غيرك كانت حياتي
منفعتش خالص، منحرمش منك أبدًا، ممكن فنجان شاي؟

- طبعًا ممكن يا ست الكل، دا أنا اللي من غيركم كان زمني لسه
في البلد اتهزأ من اللي يسوى واللي ميسواش، إنت محسساني إني
أختك، ووالله إنت أحسن من أختي، ومرضتيش أبدًا أقولك يا ست
أمال!، ولا يا مدام أمال، وختيني أقولك أمال حاف كده، وكأني واحدة
منكم، ولمّا بأروح البلد الستات هناك بيحسدوني على الخير والنعمة
اللي أنا فيها.

تقاطعها "أمال" في حنية بالغة: الخير خير ربنا يا أم محمد، وإنتِ فعلاً
أختي وحببتي، ربنا يخليكي ليا، ولا يحرمينش منك أبدًا.

تركها "أمال" وتعاود الجلوس على مكتبها، وتذكر يوم جاءت إليها أم محمد وكل شقاء الدنيا مرسومٌ على وجهها الحزين الجميل، وهي تسألها عن اسمها الحقيقي؛ فتقول: اسمي سعيدة.

فتسألها "أمال" وهي تعلم من أبيها أنها مطلقة لعدم إنجابها، أو مالٍ ليه بينادوكي أم محمد؟

فتجمعت دموعها سريعاً، وبدأت في البكاء؛ فاحتضنتها "أمال" وهي تتأسف لها، وأدركت أن هذا الأمر يحزنها، فلم تسألها هذا السؤال بعد ذلك طوال هذه السنوات!

انتبهت "أمال" على صوت سعيدة وهي تضع فنجان الشاي أمامها، وألجمتها بقولها وكأنها كانت تقرأ أفكارها!.. فآكرة يا أمال أول ما جيت هنا وسألتيني ليه بيندهوكي أم محمد، وأنا اتفتحت في العياط ومعرفتش أرد؟

- سبحان الله يا سعيدة!، أنا كنت لسه بأفكر الموقف ده!

ابتسمت سعيدة في امتنان وقالت: إنّي من كرم أخلاقك من بعدها مسألتنيش خالص، ولا حاولتي تعرفي حكايتي، ما أنا ليا حكاية تنفع تكتبيها، وتضحك.

تنظر "أمال" لها في حنان بالغ ورأفة بها وتقول: مسألتش عشان مش عايزة أفكرك بأحزانك، وقلت أكيد لو عايزة تحكي لي حتقوليلي لوحدك، ولما عدت السنين وإنّي محكتيش حاجة عرفت إنك مش عايزة تتكلمي خالص عن حياتك اللي فاتت، إيه بقى اللي فكرك إنّي دلوقت؟!!

شُحِبَت الضحكة عن وجهها وهي تقول: الأيام دي باحلم كثير بأيام زمان، ولو مش حاعطلك عايزة أحكيك، وأخرَج اللي جوايا يمكن أرتاح. قالت: آمال: وكل حواسها منتبهة لسعيدة: لأ، طبعا مش حتعطيني، أنا وقتي كله ليكي، احكي يا سعيدة.

وأخذت "سعيدة" تحكي لآمال ما أرقها طوال الفترة الماضية..

- أنا أول ما جيت قلت أكيد الحاج والدك الله يرحمه قالك إنني اتطلقت مرتين عشان مبخلفش، وأكيد برضه حتسأليني عن.. ليه بيقولولي يا أم محمد! وكنت ناوية أفولك وقتها كل حاجة بس معرفش لما سألتيني معرفش أحكي ولا كلمة، كان قلبي واجعني أوي من اللي مرّيت بيه، وكنت بأبقى عايزه أتكلم عنه وأسكت عشان إنت مسألتيش تاني، حتى البنات وهمّا صغيرين كانوا بيسألوني عن محمد وهو فين؟، ولما كانوا يشوفوني باعيط يزعلوا إنهم ضايقوني، وبطلوا يسألوني عشان معيطش، لكن الأيام دي باحلم كل يوم بابني محمد مش عارفة ليه؟

وانسابت دموعها وهي تحكي..

أنا اتجوزت جوزي الأولاني "منصور" وحبته خالص، كان طيب معايا وحنين، وعمره ما زعلني أبداً، لكن أمه وأخته مكنوش بيحبوني عشان شافوا إنني خطفنت منهم ابنهم عشان بيحبني ودايمًا يتشكر فيّ، ما أنا كنت شايله في عيني، وكان فرحة دنيتي كلها، وكنت يتيمة لا أب ولا أم، وإخواتي كل واحد في حاله، فكان كل الدنيا، وحببت الدنيا عشان هوّه

فيها، كنت بحب أنصف البيت وأخليه يببرق عشانه، ومكانش حد في البلد كلها يصدق إن بيت "منصور" اللي من أوصتين ومنافعهم يبقى أحلى بيت في البلد كلها، وكل حاجة كنت باعملها بإيديا.. الستائر والمفارش وكسوة الكنب، الناس تدخل تشهق من جمال البيت ونضافته وترتيبه، الحب مش كلام أغاني، الحب عرفت معناه مع "منصور"، كان يخلص شغله في الغيط قبل المغرب وييجي جري عشان ناكل سوا ويقعد معايا، كنت بأتحايل عليه يروح يقعد مع أصحابه ميرضاش، وكانوا بيقولوا عشان عريس، لكن عدت سنة واتنين وتلاتة وهو بيعاملني زي ما أكون لسه عروسة في ليلة دخلتها. كانت سعيدة تحكي ووجهها يعكس انفعالاتها، و"أمال" تنظر لها وتنفعل معها، فبتتسم حين تبتسم، وتتجهم حين يبدو الحزن عليها.

وتكمل "سعيدة" قائلة: وبدأت أمه وأخته يتكلموا عليّ إني مخلفتش، وإني أرض بور، ولكن هو مكانش همّه كلامهم، ويقول لي ولا تشغلي بالك، إنتِ عندي بالدنيا، وسبحان الله يشاء ربنا أحمل بعد ما أخته كانت حامل وخبّت حملها عني دونًا عن الناس كلها، ومعرفتش غير وبطنها قدامها آد كده!، عشان محسدهاش!

يومها بصراحة كنت أول مرة أعيط، وأحس إني مقهورة، وقعدت أصلي وأدعي ربنا يجبر بخاطري، وكأن باب السما كان مفتوح ساعتها، وحملت في نفس الشهر، وأول ما تأكدت إني حامل قلت لـ "منصور" وكانت فرحته توصل للسما، وسماني أم محمد، ومخلاش حد يقول لي

يا "سعيدة" بقى الكل ينده لي يا أم محمد وهمّا يضحكوا، وربنا إداني "محمد" وبقوا يندهولي من غير ضحك بقى.

وتجمعت الدموع مرة ثانية في عين "سعيدة" وبدأت تسيل و"أمال" مشفقة عليها من استعادتها لذكريات تؤلمها، لكنها أحست أن "سعيدة" تريد أن تحكي وتتكلم؛ فلم تقاطعها..

..واتولد "محمد" زي البدر المنور، ويا ضنايا مكملش أربع شهور وجاتله حمى، ومنفعش معاه أي علاج، وراح عند اللي خالقه وربنا استرد وديعته، طبعًا مقولكيش عالحزن اللي صابني أنا وأبوه، لكن استعوضنا ربنا، والناس عشان متكسرش بخاطري فضلوا ينادوني بأم محمد، وحملت تاني بعدها بكام شهر، والمرة دي مكملش الحمل، وأنا اللي كنت حاموت فيها، حصل لي نزيف شديد وشالوا الرحم، ومقاش مكتوب لي أخلف تاني،

"منصور" خوفه عليًا كان أكثر من يوم ما مات ابنه، ولما فوقت من العملية لقيته نايم تحت رجلي، مرضاش يسييني خالص، وبرضه أخذت لي شهرين تلاتة على بال ما فقت من اللي أنا فيه، وهو اللي كان بياكلني ويغيرلي هدومي وينضف البيت عني، وعدت سنة وابتدت أمه ومعاهها أخته وسلطت كمان خالته يزئوا عليه عشان يطلقني ويتجوز عشان يخلف ويجيب ولاد يحملوا اسمه ويسندوا ظهره، وأنا عشان بحبه قلت له يتجوز؛ لأن من حقه يفرح بأولاده، ومكتتش عايزاه يطلقني، وكنت راضية أعيش له خدمة ولمراته وعياله كمان لكن مكانش معاه وقتها يفتح بيتين، ولا

واحدة رضيت تدخل على ضرة، ولما عرفت إنه اترفض بسببي صممت إنه يطلقني، وهو يرفض لحد أمه ما هددته يا يطلقني يا تتبرى منه وتقاطعه ليوم الدين، وأنا كمان وقفت له وحببت على رجله عشان يطلقني..

فقاطعتها أمال: يعني إيه حببتي على رجله؟

ابتسمت أم محمد في تودة، وقالت يعني بوست رجله يطلقني عشان مظلמוש معايا وميضعش عمره مع واحدة مبتخلفش، وإنت عارفة الفلاحين الراجل عزوته ولاده، وطلقني بعد غلب، وكان يومها بيعيط زي العيل لَمَا يكون تايه من أمه، وأنا رقدت فيها أسبوعين من الحمى والعياط.

"منصور" اتجوز بعد طلاقنا بكام أسبوع، والناس فضلت تندهلي بأم محمد، وقعدت حابسة نفسي في بيتنا مطلعتش حتى بعد العدة عشان مشفهوش ولو صدفة، وبعدين لياً خالة جابت لي عريس من بره البلد، وكان أكبر مني بكتير في السن ومطلق ومعدوش أولاد ووافقت عليه عشان أسيب البلد، وده اللي خلاني أكره الجواز وسيرته، عرفت إنه طلق عشان يعني مكانش له في الجواز، فاهماني؟

فهزت "أمال" رأسها بالإيجاب وهي تبسم.

.. وكان بيطلع عقده فيا ضرب وشتيمة وتلطيش، وأنا اللي كنت زي الملكة مع "منصور"، والله يسامحها خالتي اللي اتوسطت في الجوازة، قالت بقى واحدة مبتخلفش تليق على راجل ملوش في الجواز، وكانت بتقول لي راجل يسترك!!

ومكملتش سنة، كانت كلها ضرب وفضايح، ولولا إنه اتسجن مكانش عتقني، ضرب واحد موّته، أخذ ٧ سنين روح مقدمة طلب طلاق واتطلقت ورجعت البلد، ولمّا الحاج والدك - الله يرحمه - كان بيزور البلد وقعت في عرضه يشوف لي شغلانة في مصر؛ عشان أبعد عن "منصور" والبلد كلها، والحاج كان يعرف إني أم محمد فجيت لك وأنا اسمي أم محمد، آدي حكايتي يا ست "أمال" لما كنتي بتشوفيني معيطة وأقولك ده من البصل، كنت بافتكر محمد وأبو محمد وأحلى أيام عمري، لكن ربنا عوضني بيكي وبناتك، ربنا يحميهم يارب.

قامت "أمال" واحتضنت "سعيدة" بشدة وهي تبكي معها، وقالت: يااااه يا أم محمد، وشايلة السنين دي كلها حكايتك ووجعك وتقويلي من البصل!!

ليه حبييتي عملي كده، ليه تكتمي وجعك!؟

- لأ خلاص مبقاش وجع والله، هو بس قلبي بيحن كده لمّا بافتكر، والأيام دي زاد الحنين لمّا حلمت بيه كذا مرة، ده ربنا رحمته واسعة أوي، أنا عايشة في خير ورضا من فضله.

- و"منصور" جاب أولاد يا أم محمد؟

أشرق وجهها مرة أخرى وهي تقول: آه الحمد لله، ربنا عوضه بأربع صبيان وبنتين ماشاء الله، وجوّز البنات، وولاده بيساعده، وباسمع عنه كل خير.

- عشان كده مبرضيش تزوري البلد كتير يا "سعيدة"! بتروحي كلّ
فين وفين.

- معادش ليّه حد هناك، وخالتي ماتت السنة اللي فاتت ومبقتش
أروحها خلاص إلا لّمّا تدفونني هناك بقى.

- ربنا يديكي الصحة وطولة العمر يا أم محمد، متقوليش الكلام ده
قدامي تاني إنتِ عارفة مش باستحمله.

- أنا حاسيبك بقى عشان تشوفي شغلك. أنا والست تهاني النهارده
وجعنا قلبك ودماغك.

ابتسمت "أمال" وقالت: تهاني!!! آه من تهاني!

اجتماع النونز!

الساعة شارفت على السابعة بتوقيت القاهرة، أخذت "أمال" تعد أوراقها، وفتحت صفحتها فوجدت الجميع في انتظارها قبل الموعد. في محادثة جماعية بدأت بالسلام؛ فكتبت: السلام عليكم يا أحلى صحبة.

منيرة: وعليكم السلام حبيبة هارتي.

وتوالت بعدها ردود السلام مع التحية من الأخريات.. كريمة وعلياء وشمس وصفاء.

بادرتها صفاء بخفة ظلها المعهودة: ها يا أمولة، جايلنا إيه حلو معاكي!، حتعشينا إيه؟

أمال: نتكلم الأول وبعدين أعشيكي ونحلّي يا صفصف، الأيام دي بتتكلمي عن الأكل كثير، وعماله كل شوية تنزلي صور طواجن وصواني!. صفاء: يعني بتسلّي بالصور، أنا عاملة ريجيم بيقطعني، يبقى لا أكل ولا بحلقة!.

كتبت شمس - الرومانسية - التي تعشق القهوة: أهم حاجة فنجان قهوتي شربته عشان أصحصح للكلام.

أمال: بصّوا بقى، أنا قررت أعتزل عشان أتفرغ لحياتي شوية مع زوجي، وقررت كمان يكون كتابي الأخير هدية مني ليكم، وانتم اللي حتكتبوه. انهالت الاعتراضات على قرار "أمال" باعتزال الكتابة والسؤال عن السبب. كما توقعت "أمال" ردّ الفعل فكتبت: يا جماعة، أنا بأكتب بقالي سنين، وعازية بس أتفرغ لحياتي الخاصة، الكتب والجورنال والمتابعة اليومية أخذت من حياتي ما فيه الكفاية، ودّه قرار نهائي لا رجعة فيه، خلينا في الكتاب لأن ده سبب الاجتماع.

علياء: هو فيه أديب بيعتزل الأدب أو الكتابة؟! دي هوايتك ومتنفسك إزاي توقفي هوايتك!

أمال: أنا يا علياء يا حبيبتى لن أتوقف عن الكتابة وممارسة هوايتي وبقما أريد، لكن حاعتزل العمل الصحفي والالتزام الأسبوعي بالمقال والمتابعة للتعليقات، أنا عازية أتفرغ لحياتي حساها مش مضبوطة خالص، بس ده مش موضوعنا دلوقت، حتتكلم في ده بعدين، خلينا نتكلم بس على فكرة الكتاب. ممكن؟ ردوا عليها بأن تكتب ما تريد، وسوف ينتظرونها حتى تنتهي.

أمال: فكرة الكتاب إنكم إنتم اللي تكتبوه، كل واحدة فيكم أكيد عندها حاجات عازية تقولها، وعندكم حس أدبي، فكل واحدة تختار الموضوع اللي يعجبها وتكتب فيه، وتكتبه باللغة اللي هي عازياها، أنا فقط سأراجع الإملاء أهم شيء تكتبوا بصدق؛ فالصدق يصل للقلوب، وأنا حأنشر الكتاب كمسك الختام لمجموعة الكتب اللي أصدرتها، ها.. قلمت إيه عازين تكتبوا عن إيه؟

كريمة: نكتب عن نفسنا، عن قصة كل واحدة فينا، أنا عن نفسي عندي كلام كثير نفسي أطلعته من جوايا؛ لأنه بيوجعني أوي من ساعة ما عرفت إن جوزي متجوز علياً وخبيت عن كل اللي حوالياً وأنا شايلة كتير أوي جوايا، ينفع؟
أمال: طبعاً ينفع يا كريمة، والباقي؟

شمس: ده حيبقى كتاب حياتي يا عين ما شفت زيه كتاب، أنا كمان عايزة أحكي قصة طلاقي، وأحذر من الجواز المبكر، وإن الست لازم يكون لها عمل ودخل خاص بيها، وعايزة كمان أنادي بالتعدد!!

منيرة: وأنا عندي حكايتي من ساعة ما انكبت كتابي واتطلقت، وبعدين اتجوزت وسافرت لأريكا وعشت فيها ٣٨ سنة، رحلة طويلة يمكن تنفع غيري.

صفاء: كل واحدة منّا عندها حكاية، أنا حاكي عن اللي مالوش خير في أمه وأهله مالوش خير في حد خالص، ولا حتى عياله.
أمال: وإنت يا علياء، حتكتبي عن إيه؟ إنت لسه متجوزة جديد، وربنا يتمم حملك بخير.

علياء: أنا عندي قصص محكتش عنها قبل كده.. عن تأخر سن الزواج بالنسبة ليّ، والكام خطوبة اللي اتخطبتهم وشفتم فيهم العجب.
كريمة: الكام خطوبة!!! همّا كام يا علياء؟ الشرع محلل أربعة بس، هههه.
علياء: ههههه، كانوا فعلاً أربعة يا كريمة!!

أمال: ده كتاب حيبقى مليون، ياريت يفيد النساء بتجاربكم، وأنا معاكم
حاكتب قصة أعرفها لواحدة قريبتى بس طبعًا لازم آخذ إذنهما الأول، كانت
بتصرخ ليًا في التليفون النهارده.

كريمة: الكتاب حيكون كله وجع وصريخ يا أمولة.

أمال: كويس. عشان يبقى لايق على باب صرخة نون.

شمس: طيب ما نسَمِّي الكتاب صرخة نون. وكلّ واحدة تصرخ بقى
براحتها يمكن حد يسمع.

منيرة: قصدك صرخة نونز بقى عشان إحنا ستة!

أمال: ههههه، الفرانكو ده مينفعش عنوان للكتاب يا منيرة يا حبيبة
هارتي، بس ينفع ننادي بيه بعضنا هنا، يعني إزبكم يا نونز، عاملين
إيه يا نونز، نخلي اختيار اسم الكتاب لوقتته، هو حيتسَمِّي لوحده زي
البيبهات كده.

علياء: الموضوع محتاج جروب نتكلم فيه ونتابع فيه مع بعض، أنا
حامله ونتجمع فيه هناك بدل الشات؛ عشان نعرف نكتب ونراجع اللي
بنكتبه أول بأول.

شمس: فكرة حلوة جدًّا يا علياء. وسَمِّيهِ نون وأخواتها.

كريمة: خليه أمال وأخواتها هي اللي جمعتنا كده.

أرسلن جميعًا موافقة على اقتراح كريمة.

أمال: خلاص زي ما تحبوا، ياللا يا علياء اعلمي الجروب، واندهي علينا نروح نقص الشريط..

بعد دقائق، كانت علياء أنشأت الجروب على الفيسبوك، وذهبن جميعاً هناك لمناقشة شكل الكتاب المرتقب.

أثناء تواصل "أمال" مع صديقاتها، كانت "سلسيل" و "سندس" و "جنة" بنات "أمال" في غرفتهن الواسعة، كل واحدة لديها ما يشغلها، فسلسيل كبراهن منشغلة تماماً باللاب توب، وأمامها كتب ومجلدات مفتوحة في تخصصها في مجال الطب، و "سندس" الابنة الوسطى تقوم بتدوين خواطرها في أجندة خاصة بها، وتقوم بالرسم بين كل صفحة وأخرى يرسم يعبر عن خواطرها، وتتطفل عليها "جنة" صغراهن لترى ما ترسمه فتنبهر برسم أختها، وتقول:

- والله، إنتِ كان لازم تدخلي فنون جميلة بدل كلية الصيدلة دي،
 إنتِ فنانة يا سندس.

تخبئ "سندس" ما تكتبه وتقول لها: متعمليش حجة الرسومات عشان تشوفي باكتب إيه.

فتبتسم "جنة" لكشف أختها نواياها، وتقول مستسلمة لفشلها: إنتِ خطك صغير مش عارفة اقرأ حاجة.

فترد سندس لتغيظها: خليكي في الجيمز بتاعتك اللي حتبوظلك نظرك.

وتكمل الفتاتان جدالهما المعتاد.. بينما أم محمد بعد أن أنهت عملها دخلت غرفتها لتُخرج من بين طيّات ملابسها المخزنة في صندوقها الخاص ملابس طفلها محمد، وتحتضنها وتشمّمها، وتذكر أيام سعادتها البعيدة وتتمتم.. ربنا يجمعني بيك يا ضنايا.

ثم بسطت سجادتها للصلاة وهي ما زالت ممسكة بملابسه كما تعودت عندما كانت تخلو مع نفسها، لكنها لم تعد بحاجة الآن أن تخفيها بعدما حكت لأمال قصتها، فوقفت وهي تمسح دموعها مبتسمة وتقلب كفيها مقبلة إياها وحامدة ربها شاكرة له فضله ونعمه عليها، ثم تكبر لبدء الصلاة..

"أمال" على مكتبها تنهي اجتماعها الأول مع صديقاتها بعد أن وضعن حجر الأساس لمشروعهن الجديد بعد مداوات وعشرات الاقتراحات لاختيار الاسم.. بدأت بصرخة نون مثل عنوان الباب الدائم الذي تكتب فيه "أمال"، ثم تركنه للبحث عن اسم جديد لم يُستخدم من قبل، وتخلل الاختيار ضحك كثير على عناوين مثل: عور العين بدلاً من حور العين، وكسر القوارير، ودشدشة القوارير، وزفرات السنين الذي علق عليه صفاء بأنه سيظير من يفتحه، ونون لا تسكن، وأخيراً استقرين على أن يكون اسم الكتاب "نون بلا سكون".

اطمأنت "أمال" بعد انتهاء الاجتماع مع صديقاتها على بناتها، وجلست تتحدث معهن عن مشروعها القادم، وأعجبين بالفكرة.

وسألته سلسبيل: ماما، حضرتك حتعملي إيه بعد الكتاب ما يخلص؟
حتفرغي إزاي لحياتك زي ما بتقولي!؟

مازحتها أمال: سؤال في الجون يا سلسبيل، إنتوا كبرتوا ومتهياً
لي تقدروا تعتمدوا على نفسكم شوية، ومعاكم أم محمد تراعيكم زبي
بالظبط؛ فأنا حاروح أقيم مع بابا في مكان عمله، وأسافر معاه سفرياتة اللي
دايمًا مكانش ينفع أسافرهما معاه عشان مواعيد تسليم الكتب والمقالات
ودراستكم المتعارضة مع أوقاته، هوّه كمان شغله أخده منّا ومنّي أنا
بالذات، ومحتاجة في المرحلة السنّية دي أحس بتواجهه معايا.

جنة بمزاحها المعتاد: يعني محتاجة شهر غسل جديد يا أمولة؟
تبتسم أمال ابتسامة واسعة لا تخلو من شجن، وتقول: محتاجة سنين
عسل مش شهر يا جنتي.

وتترقق الدموع في عينيها فجأة، وكأن سنين عمرها مرت أمامها في
لحظة، واستقطعت منها كلّ أيام الوحدة وأوقات الاحتياج لزوجها في
مواقف عدة واجهتها وحدها وهو دائماً يأتي بعد انتهاء الحاجة إليه!

سألته سندس وقد لمحت لمعة دموعها: ندمانة يا ماما إنك مسافرتيش
تقعدي مع بابا في مكان شغله؟

فجأها السؤال، فهي فكرت مرارًا أن تتخذ هذه الخطوة، ويأتي شيء
يجعلها تنسى هذا الأمر فتذكر وقت أن قررت فمرض والدها، ووقت

بحثت فيه هناك عن مدارس في نفس مستوى مدارس بناتها فلم تجد، وتلاشت الفكرة بصعوبة الانتقال وتغيير ما تعودن عليه من محيط اجتماعي وأسلوب حياة يختلف تمامًا عن عادات الجنوب.

فأجابتها: الظروف منعتني أنفذ القرار ده، فمفيش ندم؛ لأن الأمر مكانش بإيدي، لكن بالتأكيد كان الوضع سيكون أحسن كثير لو كنا كلنا مع بعض؛ لأنني حاسّة إنكم بتتعاملوا مع بابا كأنه ضيف، وده مش صح خالص. جنة باعترض: لأ يا ماما إحنا بنحب بابا جدًّا، وهو مثلي الأعلى، لكن غيابه الكثير مخلاناش نتعود عليه زيك.

- أنا ما قلتش إنكم مش بتحبوه، بالعكس أنا عارفة إنتوا أد إيه بتحبوه وبتحترموه، لكن مش بتتكلّموا معاه وتحكوا له عن حياتكم، مش بتشركوه معاكم.

سندس: إمتى يا ماما حنعمل كده؟! الوقت اللي بابا بيعجي فيه بيقتضي معظمه نايم من التعب وإرهاق الشغل، وبقية الوقت متوزع على مليون حاجة. الأجازات مش بتقتضي نتكلم في أي حاجة غير يسألنا عاملين إيه؟ نقوله الحمد لله. يسأل محتاجين حاجة، ناقصكم حاجة؟ نقوله لأ يا بابا ربنا يخليك لينا.

وتكمل سلسبيل: أنا حاولت أتواصل معاه على الإنترنت لقيته مش بيردّ عليّ، واعتذر لأنه معندوش وقت؛ فبطلت أبعث له!

صمتت "أمال" لأنها أيقنت أن بناتها يعانين نفس الاحتياج لوجوده، قطع رنين الهاتف الصمت، وكانت الساعة تجاوزت العاشرة مساءً، وسمعت صوت أم محمد تقول: طيب حاضر، حاضر..

ووجدتها تهزول نحوها لتخبرها أن تهاني تريدها في الحال، أسرعته "أمال" للرد على تهاني وهي تحدّث نفسها أنه لا بد وقع مكررةً.

لكن جاءها صوت تهاني يتراقص - رغم انفعالها: الحمد لله يا أمولة الحمد لله، مطلعش متجاوزها، كانت نزوة وفاق منها، وقالى إن الموضوع انتهى من زمان، وكان لازم يتخلص من الحاجات دي بس انشغل ونساها! أمال مندهشة: نزوة! وتقولي الحمد لله!

- أيوه طبعًا، لو كان متجاوزها كان لازم يطلقني، وحيبقى فيها خراب بيوت، لكن كده الحمد لله فاق ورجع لبيته وأولاده.

أعقت "أمال" وقد قررت ألا تناقشها في الأمر؛ لأنها تعلم تمامًا كيف تفكر ابنة خالتها في كون الخيانة نزوة تغتفر وهي من الكبائر وتغضب الله، ولا تغفر الزواج رغم أنه الحلال!

- طيب يا تهاني، طالما اتحلت المشكلة بالنسبة لك؛ فربنا يسعدك حبيتي.

- ربنا يخليكي يا أمولة، أنا عارفة إن الوقت كان متأخر أتصل، بس قلت أقولك عشان صدعتك النهارده وقلبت دماغك، وهوه لَمَّا جه من الشغل مسبتوش إلا لَمَّا اعترف بكل حاجة خصوصًا لما اتخض وعرف إنني

عارفاها وطلعت هي فعلاً العقربة اللي في الدور السادس، واللي عرفت منه إنها عزلت من كام شهر، وقطع معاها من ساعتها.

انفعلت "أمال" من كلام تهاني، ولم تستطع أن تكتم انفعالها: تهاني، متزعزعلش مني أنا مش مستوعبة إنك فرحانة كده! ومش مستوعبة إنك شايقة اللي حصل ده شيء عادي وخلص، ده كان بينخونك مع جارتك اللي في نفس البيت! قاطعتها تهاني: أنا مش فرحانة يا أمال، أنا ربنا يعلم اللي بيأ، بس عشان أولادي وبيتي ميتخربش ومخليش واحدة زي دي تهدد بيتي وتشمّت فيا الناس، إنت عارفة إنني مليش حد غيره، وواخدها بتحدي لأهلي، وماما مكانتش موافقة عليه خالص وأنا اللي أصريت، متجيش عقربة تهدد كل اللي عملته وتضيع كل اللي شقيته عشان أحافظ على بيتي، إنت أكثر واحدة عارفة يا أمال ظروفي، أنا مش باخبي عنك حاجة.

- أنا عارفة يا تهاني، وعذراكي، لكن اللي بتقوله مش صح خالص، الكلام مش حينفع في التلفون. أنا محتاجة أقعد معاكي نتكلم لأنك حببتي مينفعلش تعيشي حياتك كلها قصص نكد، إنت من أيام خطوبتك وانت مش مبسوفة، والحياة مش لازم تكون كلها شقى وتعب وعذاب كده، قوليلي الوقت المناسب لك إيه عشان نتقابل؟.

- المشكلة في ميدو. مش عارفة أسيبه فين، وهو لما بيتقى معايا مش بيخلىني أتكلم ولا أسمع، على العموم حاشوف وأرد عليك بكرة إن شاء الله.

- سيبه مع أسامة، مش هوّه أبوه، قوليله عندي مشوار مهمّ مع أمال، ومش حاعرف أروح ومعايا ميدو، وتعالى نقعد هنا مع بعض شوية أو نتقابل في أي مكان تحببه.

ردت تهاني وقد استحسنت الفكرة: آه فكرة كويسة وخصوصاً إنه مش حيرفض لياً أي طلب اليومين دول، خلاص حاجيلك بكره الساعة خمسة لو يناسبك، أنا عايزة أشرب فنجان قهوة من إيد أم محمد.
- يناسبني جداً. وأم محمد حتعملك أحلى فنجان قهوة.
وتنهى "أمال" المكالمة مع "تهاني" بانتظار لقائها معها غداً.

تستيقظ "أمال" كعادتها مع أذان الفجر، وتوقظ أم محمد وبناتها للصلاة فيصلين معاً جماعة، ثم تذهب الفتيات لاستكمال نومهن، وتقوم أم محمد بإعداد فنجان القهوة لأمال، وتجلس على مكتبها وتدخل جروب النونز لتضع رسالتها الأولى بصورة لباقة ورد جميلة، وتكتب..

بسم الله.. صباحك خير ورضا يا نونز، اليوم عندي زيارة لصاحبة القصة الأولى، وسأستأذنها لكي أكتبها ونشرها في الكتاب، مطلوب منكن اليوم أن تكتب كل واحدة تعريفاً لها ومقدمة ستوضع في الكتاب، ثم تبدأ كل واحدة بوضع التاريخ المناسب لها لتسليم قصتها، منتظرة التعريف والمقدمة اليوم، وسأدخل بعد السابعة لقراءة ما كتبتن.

وبعد انصرفهن وجدت نفسها تبكي هذا الحب وهذه المشاعر الدافئة،
وتقول: أنا باستغرب جداً يا أمال، حب بناتك ليّاً وزِيْهُم ناس كثير بيحبوني
وحبهم صادق ومن قلبهم، وملاقيش المشاعر الصادقة دي من أسامة اللي
وقفت معاه واتحديت بيه الكل، ليه يجرحني ويعمل فيّاً كده؟!!

تقول لها أمال وهي تربت على كتفها: إنتِ تستاهلي كلّ الحب
وكّل المشاعر دي وأكثر، إنتِ إنسانة جميلة وروحك حلوة، المشكلة
مش في أسامة، المشكلة فيكي إنتِ، ليه حاسة دايمًا إنك متستحقيش ده
على طول؟

- أمال، إنتِ أقرب واحدة ليّاً، ومش بأخبي عنك أدق أسراري، وإنتِ
عارفة إني فعلاً عمري ما حسّيت في نفسي شيء مميز، وروحي الحلوة
وضحكي بأعوض بيه الشيء اللي حاسّاه ناقص فيّاً، وهو إني مش جميلة ..
قاطعتهأ أمال: هو ده أصل المشكلة، عدم ثقتك في نفسك هو اللي
مخليكي ترضي بالقليل، وترضي تتهاني وتتجرحي، إزاي شايفة نفسك
كده يا تهاني؟، الجمال شيء نسبي وإنتِ جميلة وروحك أجمل، أنا وإنتِ
جمالنا معقول مش جمال نجومات السينما يعني..

تهاني مبتسمة: إنتِ حتغني عليّاً يا أمولة، وبعدين متحطيش نفسك
معايا لو سمحتي إنتِ مصنفة جميلة خمس نجوم، وكمال جميلة من
جوّالك، يعني كده عشرة نجوم يعني نجومات السينما مايجوش جنبك حاجة،
فمتغنّيش عليّاً إنتِ كمان، رحم الله امرئ عرف قدر نفسه.

تبتسم آمال وتقول: أنا صوتي وحش ومش حاغني أبداً عليكى، والله باتكلم جد، خلينا نتكلم بتحديد أكثر، تنكري إنك اخترتي أسامة بناءً على عدم الثقة في نفسك؟

تجيبها تهاني نافية هذا السبب: ياااه يا آمال، يعني هو ده سبب تعاستي الأبدية! - طبعاً ده السبب الأساسي، لكن فيه أسباب تانية لكن كلها بتصب برضه في نفس السبب الأساسي؛ لأن قراراتك كلها بتأخذها بسبب إحساسك ده، عشان كده كلها غلط، إنت لو راجعتي حياتك يا تهاني من أول ما دخلتي الكلية لحد دلوقت حتلاقيها كلها مواقف متأخدة بسبب عدم ثقتك في نفسك، إنت نموذج صارخ لظلم النفس بلا مبرر، ولازم ترفعي الظلم عن نفسك وتقيمي نفسك صح، أنا نفسي أنقل حكايتك دي لكل البنات عشان أعرفهم إن فيه كثير زيك كده بيظلموا أنفسهم ويحملوا فوق طاقتهم.

وكانت جملة "آمال" الأخيرة لجسّ نبضها في تقبلها فكرة الكتابة عنها.

تضحك تهاني ساخرة كعادتها: حكايتي مع الزمان؟! حكايتي أنا!! هو أنا بقيت عبرة لمن لا يعتبر أوي كده؟!!

- لأ حبيبتى مبقيتش عبرة، الفكرة كلها إن قصتك مبنية على قرارات خطأ - نتيجة سبب واحد مميت وهو عدم الثقة في النفس، رغم إنك عندك كل مقومات الثقة في النفس غير الجمال اللي إنت شايفة إنه مش موجود لكنه موجود ولكن حنخليه آخر حاجة، إنت مثقفة، وشخصية قوية جداً خارج حدود مشكلتك الزوجية، وناجحة جداً في شغلك، وحنينة جداً على أولادك، صحيح بأعيب

عليكي حاجات معينة في تربيتهم، لكن إنتِ حينية. ده غير إنك كريمة ومرحة، والناس كلها بتحبك، وكمان بتبخي وبتعملي حلويات ولا شيف في فندق خمس نجوم، عندك مواهب كتيرة، بتشتغلي تريكو وكر وشيه، وبتفصلي هدومك، وبتعملي كل أشغال الهاند ميد. مفيش حاجة تقولي معرفش أعملها، فيه ستات معندهاش أي حاجة من اللي قولتها دي وتلاقيهم عندهم ثقة غريبة تصل حد الغرور، ومش عارفة مصدرها إيه ولا بأمارة إيه!، لكن إنتِ عندك تقريباً كل حاجة ومش واثقة خالص من نفسك، وبتأخدي قراراتك على الأساس ده؛ فعايشة في مأساة لا تنتهي فصولها، تخلّصي فصل تبتدئي الفصل اللي بعده، رغم إنك لسه شابة لكن حياتك بتقول كتير أوي يا تهاني، عشان كده بجد تستحق إنني أكتبها.

- أنا كلّي ليكي يا أمال، بس كده كل العيلة حتعرف إنها قصتي وأنا مش عايزه حد يتكلم عني وخصوصاً أهل أسامة، أسامة نفسه ممكن يطلقني في الحكاية دي! وإنتِ عارفة إن عنده حساسية منك من كتر المواقف اللي بينك وبينه عشانني؛ فمعلش بلاش.

- أه عارفة إنه مبقاش حتى يحب يشوفني، بس ده بسبب مواقفه معاكي وظلمه لكي، وتحميلك أكثر من طاقتك، وبدل ما يعوضك وقفتك جنبه رايح يأذيك ي تاني!

تعتدل "تهاني" في جلستها مبتسمة، وتشير لعنقها وتمد يدها الأخرى ناحية أمال وتقول: لأ، ماهو جاب لي العقد والخاتم ده؛ بيصالحني بيهم وكمان حيغير عفش الشقة القديم والسيراميك، وحيجدها كلها، وحيغير كل الأجهزة، الحمد لله تجارته بقت ناجحة.

- مبروك عليكى حبيبتى، إنتِ تعبتى جدًّا معاه، وده أقل حاجة يعملها معاكي ومع أولاده، ده واجب عليه، لكن كل ده ميخلكيش تتعاملي معاه وكأنه معملش حاجة، الخيانة نقض للعهد وللميثاق الغليظ اللي بين الزوج والزوجة، هل هو كان ممكن يسامحك ويكمل معاكي لو إنتِ اللي خنتيه كده؟! ده كان زمانه قتلك! العقوبة واحدة للراجل والست عند ربنا، لكن استصغار الناس للذنب خلّت العرف يغلب الشرع، ومفيش عقاب وجرأت الناس على ارتكاب الكبائر، وكمان خلّتها حل بدل ما تكون كارثة! إنتِ شايقة إنه يخونك ولا إنه يتجوزها ودي المصيبة!

- لأ، أنا لا عايزاه يخونى ولا يتجوزها، وربنا غفور رحيم هو تاب وأتاب وقال لي إنه نادم، خصوصًا بعد ما ربنا فتح عليه مكانش المفروض يقابل كرمه بمعصيته كده، يعني ربنا يسامح وإحنا منسامحش يا أمال!

- تهانى، مش حجادلك في أمر شرعى إنتِ مش حقتنعي بيه، لكن مبدأ إنه لو متجوزها يبقى يطلقني.. ده تحريض على الزنا واسمه زنا مش نزوة، لإنك بتدفعي جوزك يخونك لأنه عارف إنه لو اتجوز حقتني له طالبة الطلاق! يعلو صوت تهانى قليلًا وهي تؤكد على كلام أمال: أيوه يطلقني، أنا ما طيقش ولا أتخيل ولا أتحمّل إنه يكون له بيت تانى.

- لكن تطيقى إنه يخونك ويرتكب معصية ويغضب ربنا! إيه المنطق العجيب ده! بصّي متفهميش كلامي إني كنت عايزاه يتجوز؛ لأنه في وضع لازم يعوضك فيه، مش بعد ربنا ما يفتح عليه يتقاسم ده مع زوجة جديدة ويكسر نفسك، كان

قالك يوم ما اتقدملك إن لَمَّا ربنا يوسع عليه حيثجوز وطبعًا إنَّ مكنتيش وقتها حتوافقي عليه، عشان كده بأقول إنه مش من حقه دلوقت، لكن أنا مش عايزاكي تقبلي الحرام وترفضي الحلال، المبدأ ده حرام، ومش صح لك خالص يا تهاني.

- أهو الحمد لله حَرَم، ومش حيحطني في الموقف ده تاني، وابتدى يعوضني أهو يا أمال، ده نزل الصبح جابهم لي من وسط البلد مخصوص، متضيعيش فرحتي دا أنا جاية أفرحك معايا.

صمتت "أمال" لبرهة، وقررت ألا تستطرد في كلامها؛ فهي تعلم أن ابنة خالتها لن تسمع كلمة، ولن تفتنع إلا بما تربت عليه وتعلمته، فابتسمت وربتت بكفها على كتف تهاني، وقالت: ربنا يفرحك دايماً حبييتي، وعلى العموم اطمّني مش حاكتب حاجة عنك ولا من قريب ولا من بعيد، أنا لا يمكن أعمل أي حاجة تأذيكي، أنا يهمني دايماً إنك تكوني سعيدة.

- سعيدة دي تبقى أم محمد.

وتضحكان سوياً، وتمضي "تهاني" أكثر من ساعة مع "أمال" ثم تستأذن في الانصراف، وتنادي "أمال" على بناتها ليسلمن عليها وتوديعها وقد همّت بالانصراف بعد فتح باب الشقة، لكنها التفتت لأمال متذكرة أنها لم تسألها عن زوجها طوال جلستها الممتدة؛ فاستدركت نسيانها، وقالت: أخبار باشمهندس حسين إيه! كويس؟

ترد أمال بابتسامة خفيفة: الحمد لله بخير، نويت أتفرغ له بقى وأروح أقعد معاه في بني سويف.

شبهت تهاني منزعة وبادرتها بوابل من الأسئلة: إيه، ليه؟ وتسييني هنا لوحدي وتسيبي البنات إزاي؟ وكلياتهم واللا حيروحو معاكي همّا كمان؟ وهو الباشمهندس حسين اللي طلب ده منك واللا إيه؟ إزاي كده يا أمال هو ينفع كده؟!

ضحكت أمال وهي تهدّئ روعها: بس، بس، بالراحة بس عليّ، الموضوع كبير ومش حينفع أقولك تفاصيله كلها واحنا واقفين على الباب كده! تهاني ضاحكة: أيوه صحيح مينفعش نتكلم على الباب، بس عادتنا واللا حشترها دي نص وقت الزيارة بيكون عند عتبة الشقة، بس إنت بتقوليلي الموضوع المهم ده وأنا ماشية! لولا الوقت اتأخر والواد ميدو زمان خلّي أبوه يشد في شعره؛ كنت قفلت الباب وقعدت تحكي لي الحكاية.

ابتسمت أمال وقالت: أنا حاكلّمك بكره، وأقولك التفاصيل في التليفون. وتبادلنا السلام والقبلات وانصرفت "تهاني" وعادت "أمال" لأفكارها وحماسها الداخلي الذي يزيل من داخلها كلّ المعوقات والمحاذير والمخاوف من إنهاء عملها الصحفي والذهاب لتلك المحافظة النائية وترك بناتها لفترات طويلة، وأخذت تعيد في مخيلتها مدخلها لهذا الموضوع مع زوجها عندما يحضر الأسبوع القادم في أجازته.

انسحاب

اجتمعت "أمال" في اليوم التالي لزيارة "تهاني" مع النونز؛ لتعلمهن أن قصة نون ١ لن تنشر للمحاذير التي قالتها "تهاني" والتي أنزلت عليهن جميعاً نفس المخاوف الاجتماعية من وقوع الضرر عليهن أو على أبنائهن من نشر هذه القصص على الملأ، والذي جعلهن الحماس لا يدركن هذه المخاطر، ما عدا "علياء" لم تبد أيّ تخوف من سرد حكايتها، وفي لحظات بدأت فكرة الكتاب التي أشعلت الحماس والنشاط داخلهن تخبو، وبدأن يفكرن في الانسحاب خوفاً على من تحمّلن كل شيء من أجلهم!

كيف لم يفكرن من قبل في هذه المحاذير! وأثر ما سينشر على أولادهن!، لم تكن فكرة الخوف مطروحة أصلاً، ولم تخطر على بالهن وقت بداية التفكير في الكتابة، بل على العكس تماماً فقد وجدت كل واحدة منهن متنفساً لتقول ما بداخلها، وتحذّر غيرها من أخطائها، كانت أول واحدة تخرج مخاوفها هي "شمس"؛ فكتبت تقول:

- يا جماعة موضوع قريبة أمال ده نورّ عندي اللمة الحمراء، طريقي فعلاً لو عرف إنني كتبت قصتي معاه حيعملي مشاكل لا حصر لها، أنا كان نفسي يا أمال فعلاً أكون من بين النونز، لكن مش حاقدِر سامحيني، وسامحوني كلكم، أنا منسحبة.

ساد الصمت الإلكتروني فترة لم تكتب أي منهن أي ردّ، ثم ردت "علياء" مستنكرة الحال والوضع: ليه يعني يمنعوكم تعبروا عن مشاعركم! إحنا بنكتب عشان نحذّر غيرنا من الأخطاء اللي وقعنا فيها والمشاكل المزمّنة في المجتمع واللي بتتوارثها، ممكن تكتبوا تحت أسماء مستعارة مش لازم أسماءكم الحقيقية؛ لو ده يريحكم.

شمس: أنا عن نفسي جالي صداع من مجرد تصور ردة فعل أبو الولاد، أنا محتاجة أستريح، حاخد دوايا وأحاول أنام، وحادخل بكره إن شاء الله ونشوف، تصبحي على خير يا أمال، تصبحوا على خير يا نونز.

ظلت بقية المجموعة صامتة؛ فكتبت علياء: أستاذة أمال، حضرتك ساكتة ليه ماتقولي حاجة.

أمال: معنديش حاجة أقولها يا علياء، الأمر ده متروك لكم إنتم؛ لأن كل واحدة لها ظروفها اللي تقدر هي بس تعرف حتتفع تكتب واللا لأ، خلينا نأخذ هدنة، ونفكر بهدوء ونفكر في اقتراحك نشوف ممكن يتعمل إزاي لو البقية وافقوا، وسلامتك يا شمس، نتكلم بكره إن شاء الله يا جماعة لو لينا عمر.

ردت البقية بالسلام عليها وتأييد اقتراحها بالحديث لاحقاً، وانفض الاجتماع منذراً بعدم إمكانية تحقيق حلم الكتاب لديهن.

أغلقت "أمال" صفحتها وجلست شاردة تتأمل ردة فعل صديقاتها وخوفهن من ثورة الأهل عليهن والإيذاء النفسي لأبنائهن، ولماذا غالباً قول الحقيقة يأتي بنتائج سلبية على أهلها!

انتبهت من شرورها ونظرت في ساعتها فوجدتها تقترب من العاشرة مساءً، وتعجبت لعدم اتصال زوجها في موعده اليومي للاطمئنان عليهن؛ فاتصلت به من هاتفها المحمول فوجدته مغلقاً!.. فعادت لتجلس أمام اللاب توب لتحاول الاتصال به من خلال الإنترنت، ولكن لم يكن موجوداً؛ فأرسلت له رسالة كي يطمئنها ويتصل بها في أقرب وقت.

بعد أكثر من ساعة من القلق والانتظار وجدت هاتفها يرن، وكان الاتصال من زوجها الذي بادرت به بلهفة تسأله أين كان، ولماذا أغلق هاتفه؟! جاء صوته مرهقاً وأخبرها أنه تأخر في المصنع، وشحن الهاتف قد نفذ، وسألها سؤاله المعتاد عن أحوالها وأحوال البنات، وقبل أن يختم اتصاله بالسؤال اليومي.. عايزة حاجة؟ يعني كله تمام؟ قالت له وصوتها يشي بحماسها: عندي لك مفاجأة حاقولها لك لَمَّا تيجي الأسبوع الجاي.

فسألها باقتضاب: خيرًا؟

- خير إن شاء الله. ماهي مفاجأة بقي لَمَّا تيجي.
- طيب براحتك، عايزة حاجة؟ يعني كله تمام؟
- لأ. عايزة سلامتك، كله تمام يا فندم.
- سلمني على البنات، تصبحي على خير.
- الله يسلمك، وإنّ من أهله.

ذهبت "أمال" لغرفة البنات؛ لتخبرهن بمكالمة والدهن كعادتها كل يوم، فوجدت كل واحدة منهن منهكة في أمر ما، فأوصلت لهن سلام والدهن ورددن ردهن المعتاد.. الله يسلمه.

ابتسمت "أمال" ابتسامة متعجبة، فلم تعد البنات يبكين اشتياقاً لو الدهن كما كن يفعلن وهن صغيرات؛ فقد تعودن غيابه، حتى "جنة" لم تعد تجلس بجوارها منتظرة مكالمته أو تلح عليها كي ترد هي عليه أولاً كما كانت تفعل! ذهبت لغرفتها الواسعة الخالية من الحب المليئة بكل مشاعر الوحدة، وأغلقت الباب وجلست على طرف فراشها وهي تربت على وسادتها براحة يدها، ناظرة إلى الفراش البارد الخالي، وكأن برودته تسربت من روحها التي ترتعش برداً وشوقاً لدفع يجعلها تهدأ وتنام قريرة العين بدلاً من تقلبها الدائم في فراشها الوثير كل ليلة! وتحديثها نفسها، وأنت يا "أمال" هل تشتاقين إليه بالفعل أم أنك تعيشين دور الزوجة المخلصة التي يجب أن تشتاق لزوجها الغائب، هل حقاً تريدان أن تذهبي لتعيشي معه في مكان عمله وسط أهله وعاداتهم المختلفة تماماً عنك وعمما تربيت عليه وتعودت عليه؟! هل حقاً تنوين أن تطبقي عليه نصائحك للآخرين في تجديد الحب والشوق ومعالجة الفتور بين الأزواج!؟

أنت أصبحت كاتبة مشهورة بسبب الحرمان، الحرمان من التعبير عن المشاعر، والحرمان من الإحساس بتلك المشاعر، أنت تحبين شخصاً من نسج خيالك وتجسديه في زوج غائب جاف لم يعاملك يوماً بمثل

مشاعرك الجياشة، بل كان يستهجن تدللك عليه ويطالبك بالكف عن هذه التصرفات الطفولية! كنت تكتبين له نثرًا أو شعرًا وتقرأه عليه فرحة بأن هذا له وحده، وقد نُشر وحاز على إعجاب الناس الذين يحسدونه على كل هذا الحب، ولكنه كان يتلقاه كأنه مكتوبٌ بلغة لا يعرفها فلا تجدي منه إلا مشاعر فاترة جعلتك بعد مرات من الإحباط أن تكفي عن قراءتها له، ولم يسألك أبدًا لماذا لم تعودي تقرأين لي ما تكتبين كأنه استراح من سماع مشاعرك عنه، ليس عنه، عن ذلك الشخص الخيالي الذي جسديته فيه!

وجدت "أمال" دموعها تنساب منها والمواقف والذكريات المحبطة تنهال عليها تذكرها وتحذرهما من ترك حماسها يغلب المنطق والواقع، ولكنها غالبت توجسها رافضة هذا الإحباط، وجففت دموعها ووعدت نفسها ألا تستمع لأي صوت يجعلها تعود عن قرارها، فهي تريد أن ترضي ربهها برضاء زوجها عنها، ولا بد بعد كل تلك السنوات هو أيضًا يحتاج لقربها كما تحتاجه، وكلها أيام قليلة وستعرف نتيجة قرارها هذا.

علياء

في صباح اليوم التالي فتحت "أمال" صفحتها على الفيسبوك، فوجدت رسائل كثيرة من صديقاتها وكأنهن أمضين الليل مستيقظات في التفكير والتشاور، فقد وجدت رسائل متشابهة من كل منهن تقول إنها ستكتب قصتها دون خوف ولكن مراعاة للأبناء فسوف يكون تحت اسم مستعار، فبدأت بالرد عليهن بالموافقة والسعادة بهذا القرار، ووجدت "علياء" مرسلة لها قصتها لتعرضها على صفحة الجروب للمناقشة، فأرسلت للجميع أن قصة "علياء" ستنشر، وأن عليهن الاجتماع في الساعة السابعة مساءً للمناقشة.

ونشرت "أمال" قصة "علياء" ..

حالة انتظار

فتحت عينيها على صوت بكاء طفل.. نظرت حولها أحست بالألفة مع المكان، لكنها لم تستوعب من أين يأتي صوت البكاء، استغرقت لحظات قليلة كي تستفيق من نومها وحلمها الذي كانت تحلم به، فابتسمت وهمت بالقيام من الفراش؛ كي تلبى نداء طفلها الباكي، سمعت صوته بحنان يقول لها:
- خليكي نايمة، ما لحقتيش تترتاحي هقوم أنا المرة دي.

وقبل أن ينهي جملته كان قد قام بالفعل لمهد ابنهما الرضيع، وحمله بحنان بالغ وأخذ يهدده كي يعود للنوم، نظرت إليهما وقد اتسعت ابتسامتها واطمأنت؛ فأغمضت عينيها وهي تفكر بهذا الحلم العجيب الذي رأته يجمع كل خطابها الأربعة السابقين وهم يحضرون زفافها على زوجها "نبيل"! عاودت الابتسام وهي تتذكر تفاصيل الحلم؛ فقد جاء خطيبها الأول فرحها متأبطاً ذراع والدته! طبعاً وكيف لا؟ وهو لم يكن يفعل أي شيء إلا بمشورتها وموافقتها، استمرت خطبته لها شهرين، كانت حديثه التخرج لم يتعد عمرها الثانية والعشرون، تقدم لها، وكان معه كل ما يلزم للقبول به كعريس لقطعة، شقة فاخرة، وظيفة مرموقة براتب كبير، سيارة حديثة، مقبول الشكل، لكن الحلو ميكملش كما يقول المثل، فمن أول يوم بل من أول جملة أصبحت كلمة ماما هي العامل المشترك الأعظم في كل كلامه، كانت في بداية الأمر تحترمه لحبه الكبير لأمه واحترامه لها، لكن بعد فترة قصيرة وجدت أنه لا يتصرف إلا بالرجوع لوالدته، ولا يأخذ قراراً إلا بجملة "لمّا اسأل ماما الأول" حتى فيما يخصها هي، أصبح القرار "لماما"، سألها هل تفضل العمل بعد الزواج أم لا؟ فسألته بدورها كي تشعره بأهميته "إنت رأيك إيه؟" فأجابها مبتسماً: زي ما تحبي! فاخترت أن تعمل كي لا تشعر بالوحدة خصوصاً في أول الزواج فوافقها، وعندما عاد لمنزله اتصل بها وطلب منها تغيير هذا الرأي؛ لأن "ماما" رأيها ألا تعمل! حتى في زيارته لها لم يكن يستطيع أن يحدد الموعد إلا بالرجوع لـ "ماما" أرادت أن تغير

بعض الأشياء البسيطة في شقته المعدة مسبقًا، قال لها "بلاش ماما حترعل لأنها هي اللي منقية كل حاجة في الشقة" سمعت خلال الشهرين كلمة "ماما" تتردد بصفة مستمرة حتى تصورت أنها ستتزوج "ماما" وليس هو، وصل بها الحال أن تتصور إذا مرضت فسوف لا يذهب بها للطبيب إلا بعد سؤال "ماما"، فقررت أن تتركه لها بكل مميزاته، وفسخت الخطبة وسط استنكار الأهل ودهشتهم!

أما الخطيب الثاني فلم يطل الأمر سوى شهر واحد، كانت وقتها في الخامسة والعشرين من عمرها، وكانت ظروفه أفضل من الخطيب الأول ولكنها اكتشفت كذبه عليهم في درجته الوظيفية، وأيضًا لأنه كان لا يصلي بانتظام كما ادعى، ساندتها والدتها في فسخ الخطبة رغم معارضة بقية الأهل، وكان يكفيها رأي والدتها؛ فهي الأب والأم بعد وفاة والدها، ففسختها دون ندم أو إعادة تفكير، فمن يبدأ حياته بالكذب لا يؤتمن على بقيتها!

خطيبها الثالث تقدم لها وكانت في السابعة والعشرين من عمرها، والكل يحذرهما من أنها أصبحت في سن لا يقبل التراجع أو "الدلع" كما قيل لها، وكأنها فسخت الخطبتين السابقتين من باب "الدلع"! لكنها بالفعل كانت حريصة على إنجاز هذه الخطبة وتحمل بعض العيوب، فلا هي ولا هو كاملين! لكن بعد فترة قصيرة اكتشفت أنها عيوب كبيرة، فقد كان عندما يغضب يتلفظ بألفاظ مهينة لها، ويعلو صوته، ثم يعود فيعتذر ثم يكرر الأمر

مرات ومرات وهي تتحمل، فقد كان المطلوب منها ألا تجعله يغضب؛ كي لا يتلفظ بهذه الألفاظ أو الصياح عليها! تجنبت على قدر الإمكان إغضابه، لكن لم يمنعه ذلك من إهانتها أمام أهله في مناسبة عائلية اجتمعوا فيها للاحتفال بمولود جديد لأخيه، كل ما فعلته أنها جلست وسط السيدات ولم تتحدث إليه؛ فثارت ثأثرته أنها غير مهتمة بوجوده، وبالطبع تلفظ بنفس الألفاظ المهينة وخرجت مع والدتها وهي تشعر بالإهانة والغضب، وهاجمتها آلام مبرحة في معدتها أصرت والدتها أن تذهب بها إلى الطبيب بعدما لاحظت عليها الإعياء والألم الشديد، لم يجد الطبيب سبباً عضوياً، وأرجح الأمر للشد العصبي، وكتب لها على دواء فأخذت الروشنة، وفي طريق العودة طلبت منها أمها أن تأتي بالدواء من الصيدلية لكنها رفضت وقالت لها "أنا عارفة دوايا"، وعندما عادت للبيت اتصلت به ولم يرد عليها، فأرسلت له رسالة نصية قالت له فيها "كل شيء قسمة ونصيب" بعد دقيقة رن هاتف المنزل وكانت والدته تحدد موعداً في نفس اليوم لأخذ كل ما قدمه لها من شبكة وهدايا، وكان له ما أراد، وشفيت من آلام معدتها ومن عصبيتها التي لاحظها الكل عليها، وكانت تؤثر على عملها وعلاقتها بمن حولها!

مرّ عام وأصبحت في الثامنة والعشرين، وتقدم لها رابع خطيب والكل يحذرها أنها لو فشلت في خطبتها هذه فلتنس أمر الزواج من مثله، فخطوات وستكمل الثلاثين وستكون مواصفات الخطاب مختلفة تماماً،

طالبوها بالتعقل والتروي؛ فقررت بالفعل ألا يكون هناك خطبة إلا بعد مرور وقت مناسب للتعرف عليه، فقرأوا الفاتحة بهدية بسيطة، استمرت أربعة أشهر وبعدها أكملت الخطبة رغم أنها لم تكن مرتاحة تمامًا، لكنها قررت أن تمضي قدمًا فقد لاحظت أنه لا يهتم بأهله، وكل وقته يمضيه مع أصحابه على عكسها فهي تحب لمة العائلة، ولكن حرصًا منها على إنجاح الأمر حاولت التقرب لزوجات أصحابه، لكنه كان يراهن أنها ستبتعد عنهن بعد الزواج؛ لأنها تفعل ذلك من أجله فقط! كان يقلل من شأن وظيفتها كسكرتيرة، ويصف عملها أنه للرد على التليفونات فقط، لم يشعرها بأهميتها إلا عندما احتاج وظيفة لزوجة صديقه في نفس المكان الذي تعمل به!

كان هناك اختلاف واضح في الطباع، لكنها تغاضت وأكملت، هذه المرة هو من فسخ الخطبة بعدما لاحظت تغير معاملته وإهماله لها بعد خطبة دامت لعامين كاملين، فبدأ في إساءة المعاملة واختلاق المشاكل وأنهاها بظلم كبير لها بسلب حقوقها وتوريثها في إنهاء أمور مادية كانت متعلقة بزواجهما حملها إياها وحدها وتركها، دعت - من بين دموعها - الله سبحانه وتعالى أن يأجرها في مصيبتها ويخلفها خيرًا منها، وفي نفس الوقت قررت ألا تعرض نفسها لضغوط نفسية مرة أخرى بسبب الخوف من تقدم السن دون زواج وإنجاب وهي تعشق الأطفال، ولكن أليس من المهم جدًا أن يكون السؤال ممن تنجب هؤلاء الأطفال!؟

لهذا؛ كان لابد من عدم الرضوخ لعامل الوقت، وعدم قبول الزواج من أجل فقط إنهاء ضغوط المجتمع، وقد رأت من حولها نماذج لا حصر لها ممن رضخن لضغط المجتمع فقبلن بزيجات كانت تنبئ بالفشل قبل إتمامها، ولكنهن تغاضين من أجل الخوف من الوحدة، ومن مُضي قطار العمر دون زواج!

الكل يحثونها أن تستقل أي قطار لا تهتم وجهته أو راحتها أو رضاها! لذلك بدأت "علياء" في تنفيذ قرارها، بالرغم أنها كانت تشعر بالضيق من قرارها بعض الأوقات وكثير من الأحيان كان من حولها يشعرونها أنها مخطئة وأنها يجب أن تراعي والدتها التي تخاف أن تتركها وحيدة وليس لديها غيرها؛ فأخواتها مغتربات في الخارج وليس لها أقارب في الإسكندرية، وفرصها في إنجاب طفل تتضاءل كلما كبر عمرها!

خلال تلك الفترة من انتظارها بدأت قريباتها يرسلن إليها طلبات زواج من مطلقين وأرامل وكأن وصولها لسن الثلاثين هو نهاية أملها في زواج لمن يناسبها عمراً وظروفاً!

مرّ عليها كثير من راغبي الزواج، منهم من يريد الزواج منها وتركها لتعيش مع والدته وهو يسافر للعمل، وعند السؤال لماذا لا يصطحبها معه يكون الرد صادماً لها.. فهو يرغب في الزواج ممن تظل مع والدته لترعاها لأن إخوته مشغولون بحياتهم وأسرههم!!

قالت لنفسها "إنت كده عايز ممرضة مش زوجة"

ومنهم من يرغب في الزواج دون مهر ولا مؤخر صداق ولا شقة وكأنه
يؤمن عليها بنفسه أنه رضي وتزوجها بعمرها الثلاثيني هذا!

ومنهم من رفض الحضور لمنزل أسرتها، واشترط أن تتم المقابلة في
مكان عام، لكنه فور حضوره سلم عليهم، واعتذر لهم عن الجلوس لأن
ظرفاً طارئاً حدث، ولا بد أن ينصرف وواعد بمعاودة الاتصال، ولكن من
طريقته يفهم أنها لم يعجبه شكلها؛ فحكم عليها دون أن تتفوه بكلمة!

ومنهم من سأل من أول مقابلة عن دخلها الشهري وهل تحصل على
حوافز أو بدلات أم لا؟ ويقول لها إن مرتبها ضئيل وعليها أن تبحث عن
عمل إضافي يزيد من دخلها!!

وهناك من لا يعمل ويعتمد على ميراثه الكبير من والده، وقد سلم هذا
الميراث لبعض المعارف للإتجار به وهو يحصل على الأرباح فقط، وينام
بعد الفجر ويستيقظ بعد العصر "عاطل بالوراثة" وهي من ظنت أن آخر
العاطلين بالوراثة كان أحمد مظهر في فيلم الأيدي الناعمة!

ظلت منتظرة ثلاث سنوات تقابل الخطاب وترفضهم تارة وتارة أخرى
يرفضونها، وكادت أن تضعف وتقبل بمن لا ترضاه فقط عندما استيقظت
ليلاً لشعورها بالعطش ووجدت أمها تصلي وتبكي وهي تدعو الله أن يطيل
عمرها كي تطمئن عليها قبل أن تلقاه، سمعتها وانسحبت عائدة إلى غرفتها،
وبكت كما لم تبك من قبل، ودعت ربها كثيراً أن يطمئن قلب أمها عليها
خاصة بعد أن أصابها المرض اللعين.

كانت تحمل همَّ أمها أكثر من همها بنفسها، فهي في قرارة نفسها ترحب بالوحدة على أن تعيش عيشة تعيسة، فالحمد لله لديها كل شيء، وهي تؤمن تمامًا بأن نصيبها سيصيبها، ولكل شيء أوان، ولهذا تماسكت مرة أخرى وعادت لحياتها الطبيعية بين عملها ورعاية أمها عسى أن يحدث الله بعد ذلك أمرًا، وقد حدث..

كلمتها صديقة مقربة عن شخص خلوق يريد أن يتقدم إليها وقد رفض أن تكون المقابلة بمكان عام وأصرَّ أن يكون في منزل أسرتها كمكرمة لها، قالت لنفسها "الله... راجل يفهم في الأصول"

دخل البيت.. من أول جلسة معه شعرت بصدقه، حكى عن نفسه كل شيء منذ صغره بصراحة وبساطة، شعرت بالانشراس، لكنها قالت لنفسها "ما تتسر عيش، نسأل عنه الأول".

وبعد تحريات الأسرة والتي كانت بالفعل تحريات وليس سؤالاً عادياً.. تحريات في مكان عمله ومكان سكنه ومكان عمل والده.. فوجدوا أن كلامه كان مطابقاً لكلام الناس عنه وشهادتهم الطيبة في حقه وحق أسرته، وافقت عليه بعد استشارة الله، وكانت تشعر أنه ضالتها بسبب هذا الانشراس وهذا القبول والانسجام.. وتمت الخطبة، وسبحان الله تم الزواج بعد ثلاثة أشهر فقط من الخطبة.

من أول يوم حمدت الله وشعرت بالرضا والسعادة بأن الله أرشدها لتحسن الاختيار، شعرت أن قرارها بالانتظار كان صائباً.. رزقها الله زوجاً حنوناً طيباً... كل معاملاته معها ومع أهله وأهلها ومع الناس أساسها تقوى الله،

كم كان الله كريمًا معها! فهو أكرم الأكرمين... فكما طال انتظارها،
عوّضها الله سريعًا وكثيرًا.

خطبة قصيرة.. زواج سريع.. زوج طيب وتقي... ذرية من غير انتظار
أو قلق، شهران بالتمام كانت تزف له أنها تحمل طفله في رحمها.
علياء، علياء..

فتحت عينها على صوته..

قالها بهدوء: الفجر أذن يا علياء.

أنا هنزل علشان الحق الصلاة.. وإنت كمان قومي الحقي صلّي قبل ما
يحيى يعيط تاني.

مش هتأخر.. سلام عليكم.

بعد أن قرأت النونز القصة بدأت تعليقاتهن تتوالى، وكانت "صفاء"
أول المعلقات...

صفاء: ياه يا علياء، جيتي على الجرح، سوء الاختيار كان سبب
تعاستي، لكن مش حنسبِق الأحداث، وحتعرفي لما أنشر قصتي اتنين
من خطابك يشبهوا جوزي!! الحمد لله حبيبي إن ربنا ألهمك الصواب
وصبرتي لحد لَمّا اخترتي صح، ربنا يسعدك ويقرّ عينك بابنك يحيى،
ويرزقك الذرية الصالحة.

علياء: ربنا يخليكي يا صفصف، الحمد لله رب العالمين.

شمس: مسألة تأخر الجواز دي بقت منتشره جدًّا، بنات وزى الفل عدوا الأربعين ولسه متجوزوش، واللي بيجيلها عريس بيكون عايز واحدة تمرضه أو تخدم عياله، فهو يا أرمل يا مطلق!، وكمان بيتشرطوا تكون جميلة والبنات بتقبل!

كريمة: تلاقيهم يا شمس زهقوا من كتر الزن، ونظرات الناس، وكلمة عانس اللي بتعجز البنات بدري.

علياء: اللي بتقبل أي حد غير مناسب عشان تهرب من كلمة عانس، بترجع غالبًا بلقب يا مطلقة يا أرملة!

أمال: مش كل البنات عندهم قناعتك يا علياء، بيبقى أهل البنت أو البنت نفسها مبيعجبهاش العجب وبتكون تطلعاتهم أكبر من مستواهم، المثل الشعبي اللي بيقول كل فولة ولها كيال مثل مريح جدًّا، واللي بتفهم حتعرف تقدر نفسها صح.

علياء: أعرف واحدة كانت دكتورة ووصل عمرها لـ ٣٥ سنة ومتجوزتش؛ عشان كان شرطها تتجوز دكتور في أي تخصص، ولما لقت إنها وصلت للسن ده وملقتش دكتور مناسب لها اتجوزت مهندس بحري، وخلفت وسعيدة معاه ما شاء الله، فساعات بيكون الإنسان هو عدو نفسه لَمَّا يصمم على حاجات مش منطقية!

صفاء: حكاية الدكتورة تتجوز دكتور دي يا علياء منتشره جدًّا، وده شرط الشباب أكثر من الشابات، بيدور على واحدة بيعتبرها ذكية زيه، وإن

الطب والصيدلة دليل على ذكاء البنت عشان الأولاد يطلعوا بقى عباقرة من أب وأم دحاحين.

منيرة: تفكير عجيب جدًّا والله، يعني الذكاء مقتصر على الفئة دي بس! ما أنا بنتي كان ممكن تدرس طب لكن اختارت الفنون وذكية جدًّا ماشاء الله، وأولادها أذكي منها، الله أكبر عليهم.

شمس: أنا واحدة لو شفت دم يغمى عليّ، مالها الآداب!، زي الفل.
أمال: سلسيل بنتي اختارت طب عشان تفرح باباها، ولكن تعبت جدًّا فيها، وعلى طول باشوفها بتذاكر صيف شتا، معندهاش أجازة وبتحضر مؤتمرات كثير، ومعندهاش وقت تفكر في أي حاجة غير دراستها، ومينفعش بعد التعب ده كله تبقى ست بيت بس فهي دايمًا تقول اللي حيقدر تعبها ويساعدها لازم يكون دكتور زيها.

علياء: الحقيقة جوزها مهندس بحري يعني بيسافر كثير، وأكيد ظروفه ناسبتها وعشان كده وافقت عليه، أهم شيء في الاختيار إنه يكون في اتفاق على شكل العيشة، ودور كل واحد فيها بشكل يكمل حياتهم ويعيشوا في انسجام.
كريمة: قوليلي يا علياء هي البنت بتكون قلقانة لما يتأخر نصيها زي قلق الأم، واللا البنات دلوقتي الشغل بياخد وقتهم واهتمامهم؟

علياء: لأ طبعًا يا كريمة، بتبقى مشغولة بالموضوع مهما كانت بتشتغل وناجحة في شغلها وعندها اهتمامات، لكن قلق الأم بيكون أكبر بكثير زي ما حكيت عن أمي.

كريمة: هو أنا ماما الله يرحمها كانت بتقول حاجة ومعرفش إن كانت صح واللا لأ. كانت بتقول جواز البنت صغيرة أسهل، اختيارها كمان أسهل.. كل ما بتكبر بيكون ليها شخصية مستقلة، ويبقى صعب تتخلى عن استقلاليتها دي.

صفاء: على حسب البنت نفسها، ماهي ممكن تكون صغيرة وعاقلة، وتعرف يعني إيه مسئولية بيت وزوج، لكن الرجالة عموماً بتحب تتجوز اللي سنها صغير، إلا إذا كان بيدور على واحدة تساعد في المعيشة. شمس: أنا اتجوزت صغيرة ولا أنصح في الزمن ده الجواز صغار، وحققي لو كنت أكبر كنت حاغير رأيي.

أمال: السن الصغير للبت اختلف عن زمان لأن السن الصغير دلوقت بتكون فعلاً لسه منضجتش، لكن زمان لأ، سن ١٦ سنة زمان كان سن الزواج وكمال تكون كبرت! لكن سوء الاختيار دلوقتي مالوش دعوة بالسن، له دعوة بالظروف المحيطة.

علياء: صح معاكي حق أستاذة أمال؛ لأن في بنات سنهم مش صغير ويبختاروا غلط برضه، بتختار ظل الحيطه عشان تسكت كلام الناس وبس. منيرة: إجابة على سؤالك ياكريمة.. جواز البنت قبل شغلها أسهل كثير منه بعد شغلها واحتكاكها بالحياة، النماذج هنا حوالينا كتيرة، والنصائح من الأسر كلها جوزوا البنات فور حصولهم على الشهادة الجامعية، وفي وجود متقدم تقبلونه ديناً وخلقاً وإلا مجرد بدايتها في العمل وعندها راتبها

وأصدقائها وعائلتها حتكون مشغولة دائماً.. البنات هنا معندهم مش أي مانع يكملوا حياتهم من غير جواز، اطبعوا بطبع الأمريكان، مفيش هنا كلمة عانس ومفيش حد بيعايرهم زي اللي في مصر!

كريمة: المشكلة مش المجتمع بيعاير بس.. إنما الوحدة يا منيرة.. ربنا خلقنا رجل وست عشان نكمل بعض ونبي أسرة.. أنا قعدت مع بنات هنا على الفيسبوك في الأربعينيات واتكلموا عن الوحدة والمعاناة والخوف إنها تفقد والديها وتعيش لوحدها من غير ونيس.

علياء: مسألة إن البنت تتزوج عشان الونس... يعني تتونس بواحد ما بيقدش في البيت! أو لما يقعد يمस्क الموبايل ويلعب جيمز!.. ده ونس بالذمة! واللا تتونس بواحد هيرمي عليها حمل تربية الولاد ومشاكلهم وتبقى بتكلم نفسها طول النهار!

كريمة: أنا مقرتش كل التعليقات لسه، لكن أقصد يا علياء.. الونس هنا مقصدش بيه صوت جنبها.. أقصد إنه سند.. زوج وبيت وولاد.

أمال: تفتكري يا علياء في بنات عندهم لسته مواصفات مكتوبة فيها صفات فارس الأحلام أو الزوج المناسب لهم؟

علياء: أنا كان عندي وأكيد في غيري برضه عندهم، مش لازم تكون مكتوبة ممكن تكون محفوظة، وطبعاً في بنات جمال خالص بتلاقي الليسته بتاعتهم صفحتين واللا حاجة، وتشمل كل صغيرة وكبيرة، حتى إنني فعلاً عرفت واحدة كان من شروطها إن أمه وأبوه يكونوا متوفيين!

أمال: لا حول ولا قوة إلا بالله، همّ يبكي وهمّ يضحك، العريس لازم يكون يتيم الأب والأم! إيه الشرط العجيب المرضي ده!، معلى اللي بتشترط كده مريضة إنسانياً!

علياء: معلى يا نونز، قبل ما نكمل كلامنا عايزة أقول حاجة مهمة بخصوص خطوبتي الأخيرة.. من الإنصاف إني أعترف إني كنت مخطئة في الاستمرار المدة الطويلة اللي قربت على سنتين؛ لأنه بعد حوالي أربع شهور على الخطبة كنت عرفت ووعيت إن فيه اختلاف في الطباع كبير مش بسيط، لكن على أد ما زعلت من فسخ الخطوبة بالشكل ده وبعد طول المدة دي على أد ما ارتحت لأنني مكنتش مبسوطة.

شمس: هل صح إن الخطوبة تستمر سنتين أو سنة؟ الناس بتقول عشان يتعرفوا على بعض، لكن اللي بيحصل إنهم بيعرفوا بعض زيادة عن اللزوم، وبتبدأ المشاكل من قبل الزواج!

علياء: تجربتي أثبتت إن الخطوبة الطويلة مش صح، بالعكس بتضر أكثر ما بتتفع، وبتخلق مشاكل أكثر، وساعات ما بيكونش لها سبب حقيقي، لكن بعض الناس بيضطروا لها عشان الظروف الاقتصادية الصعبة حالياً.

كريمة: الأهل همّا اللي بيرهقوا الشباب بطلبات محتاجة سنين طويلة عشان يوفروها يا إمّا أهلهم بيساعدوهم، كتير مش بيقبلوا بناتهم تتجوز في شقة صغيرة أو إيجار، دلوقتي أي شاب عايز يتجوز ومعتمد على نفسه بيوصل للأربعين وهو بيكافح، ويتغرب عشان يقدر يتقدم وميترفضش، الشباب معذور معنا والله!

أمال: ماهو ده اللي كنت أقصده من كل فولة ولها كيال، المفروض الشبكة والمهر والجهاز يتحدد على حسب الوسط الاجتماعي من غير تطلعات أكبر من القدرات المتاحة، وبقى عايزين نقلد غيرنا وخلاص، ربنا خلقنا درجات، المشكلة إن كل الناس عايزة تبقى زي بعض وفي أعلى درجة!

منيرة: هنا مفيش نظام الأربع غرف ولازم البيت يكون تملك والشقة ميكونش ناقصها حاجة، بيتجوزا والعيلة كلها بتساعدهم بهدايا تؤثت بيتهم بدل ما يشتروها، ومفيش إحراج خالص إنهم يطلبوها لأننا إحنا اللي بنسألهم محتاجين إيه، التكافل ده المفروض يكون عندنا كمسلمين، إحنا طبقنا الفكرة دي من الأمريكان واللي بيشتري بيت بيكون أصلاً غني، ودخله يسمح مش أي حد يملك بيته أو شقته هنا! الشقق الإيجار هنا متوفرة جداً وبجميع المستويات!

صفاء: عندي سؤال محيرني، الناس حتعرف الاختلافات والمشاكل إزاي من غير خطوبة؟ لو مشيت على الشرع يعني ومفيش خروج ومفيش قعاد مع بعضهم!

علياء: تقصدي مشاكل إنه عصبي أو بخيل أو مالوش شخصية وكده؟ دي مش بتأخذ وقت طويل خالص، دي بتبقى باينة من بعد الخطبة على طول، لكن ساعات البنت بتختار إنها ما تشوفهاش، وساعات بينضغط عليها إنها تكمل، ويتقال لها حيتغير بعد الجواز! وده مبيحصلش.

شمس: ضغط الأهل من أقوى أسباب القبول، ولو الأم قريبة من بنتها بتعرف مفتاحها وتدخل لها منه، وتعرف تضغط عليها وتقنعها!

علياء: شمس، فيه مثل شعبي يقول قعدة الخزانة ولا جوازة الندامة، الأم الواعية بحقيقة واقع الحياة والأعباء المرمية على عاتق المرأة في حالة إن الزوج غير مناسب أو غير كفء.. تفكر في المثل ده وما تضغطش أبدًا على بنتها في زيجة من إنسان هيحملها الهم بدل ما يكون سند ليها في الحياة. كريمة: فسح أربع خطوبات تخوف أي بنت في مجتمع زي اللي إحنا عايشين فيه.. مفيش لحظات خلّيتك تقولي هتجوز اللي يبجي وخلص. الإحساس ده مامرّش عليكى؟ مفيش مرة كتبي عاوزة ترتبطي هروب من الوحدة وكلام الناس؟

علياء: بالعكس يا كريمة، التجارب المريرة اللي بنشوفها حوالينا خلّتني أتمسك بموقفي أكثر، وأقول لنفسى حتى لو قعدت من غير جواز خالص مش مشكلة، المهم أكون مبسوفة.

شمس: طيب تفكروا مشكلة تأخر جواز البنت تتحل إزاي؟

كريمة: التيسير على الشباب هيحل المشكلة دي.. أنا لو بنتي اتقدم لها إنسان ملتزم وابن ناس، مش هقوله عاوزة شقه كام متر، ولا عفش بأد كده، ولا مهر وهدايا... هيسر الأمر على أد قدرته، ولو شقه قانون جديد ويأخدوا الحياة خطوة خطوة.

علياء: التيسير ده لازم يكون بالمعقول من غير هدر لحقوق البنت الشرعية، يعني هي من حقها مهر، لازم يبقى في مهر.. من حقها سكن مستقل، يبقى لازم يبقى في سكن مستقل. في حاجات التنازل فيها في الزمن ده مغبة للبنت هتذكرها لأهلها لما يجور عليها الزمن أو لو الزوج طلع مش على خير زي ما همّا ظنوا يوم ما يسروا الجواز، وفي ساعات بتلاقي العريس متيسر أو أهله متيسرين جدًّا وتلاقيهم مش عايزين يغرموا أي حاجة في الجواز!.

منيرة: مشكلة تأخر الزواج هنا في أمريكا، الشباب العربي قليل منه الملتزم، وفي الغالب بنات العرب عددهم أكثر ومعظمهم ملتزمات، الملتزم هنا مش معناه حجاب ونقاب، لا. بس مفيش البوي فريند والكلام ده، وعند الجواز مفيش حد إلا جنسيات غير عربية ولكن مسلمين.

علياء: عارفة أنا لما جيت أتجوز بيني وبينكم يعني، أهم حاجة خلتنني مرتاحة إن العريس "زوجي يعني" ما كانش بيتعامل إنني عشان عندي ٣٢ سنة وهو أكبر مني بثلاثة سنين بس، يبقى المفروض أتنازل عن حقوقي، لا، ده كان كمان عارف إن المؤخر دين عليه مش مؤجل لِمَا لا نهاية، ومرتب نفسه إنه يديهولي في فترة زمنية معينة.

الحاجات دي خلتنني أعرف إنه بيحاول يتقي الله بجد مش مسألة صلاة وصوم، دايمًا باقول.. من ترضون دينه مش المقصود بيها الصلاة والصوم لأن دي علاقة العبد بربه، دي مهمة أوي، لكن مش هي المقصودة في رأيي.. المقصود ترضون دينه في المعاملة.

صفاء: ماشاء الله عليكي يا علياء، فاهمة كويس فعلاً الدين المعاملة
يابنتي، ماهو في ستات أخذته على أساس بيصلي، وبعد كده طلع.. أستغفر
الله!!

علياء: أستاذة أمال ساكتة ليه؟ إنت متابعانا واللا قومتي؟

أمال: لآ، طبعاً موجودة ومستمتعة جداً بالمناقشة وبأخيلها أهم شيء
في كتابة حكايتكم؛ لأنها بتورينا أماكن الخلل والصواب في العلاقات، أنا
حانقل بقى المناقشة دي على فايل الكتاب، لكن دلوقتي بالفعل حاقوم.
الوقت سرقنا، نتقابل غداً صباحاً إن شاء الله، سلام يا نونز.

تبادلت "أمال" مع البقية التحية، وقامت لتحدث زوجها في التلفون
كما تعودت في نهاية كل يوم.

انهيار جليدي

مرت أيام الأسبوع متسارعة، وجاء يوم وصول زوج "أمال" فأعدت له مع أم محمد الطعام الذي يشتهي، وأفهمت البنات أنها ستناقش مع والدهن قرارها باعتزال العمل الصحفي ومرافقته معظم الوقت في مكان عمله، وأنها ستتواجد معهن قدر المستطاع، وستكون على اتصال إلكتروني معهن صوتًا وصورة يوميًا وفي أي وقت خلال اليوم، وأوصتهن بعدم إرهاق أم محمد ومساعدتها وسماع كلامها، اقتربت الساعة من الثانية عصرًا، سمعت البنات صوت إدارة مفتاح الباب؛ فأسرعن باستقبال والدهن ومعهن "أمال" ودخل حسين وقد بدا عليه الإرهاق، واشتعل الشيب في رأسه بشكل ملحوظ.

فمازحته سندس قائلة: إيه يا بابا، هو حضرتك صابغ شعرك واللا إيه؟! فابتسمت "أمال" لملحوظة ابنتها، وقالت: فعلاً، شعرك الأبيض زاد أوي كده ليه، بس إنت عارف إني بحب جدًّا اللون الفضي ده.

فابتسمت ابتسامة متكلفة، وقال: إرهاق ومسئولية شيبتنا بدري.

- ربنا يديك الصحة والعافية، على بال ما تأخذ الدش حنكون محضرين

الغدا.

وانضمت "أمال" لأم محمد لتحضير الغداء، وتسابقت البنات في توصيل الأطباق للمائدة، وبعد فترة جلست "أمال" وبناتها حول والدهن؛

لتناول الطعام، بينما دخلت أم محمد المطبخ؛ لتأكل بمفردها كما تعودت عند وجود المهندس حسين، فقد رفضت منذ زمن الجلوس على المائدة معهم كالمعتاد "في غير وجوده" بعد أن أفهمت "أمال" أنها تخجل منه، ولا تكون على راحتها، وظلت "أمال" تترقب الوقت الذي ستفرد فيه مع زوجها لتقول له قرارها.

.. بينما يرتشف حسين كوب الشاي الذي أعدته أم محمد بادرته "أمال" بسؤاله في دلال: مش عايز تعرف المفاجأة اللي محضراها لك؟
رد حسين وهو يدفع النعاس عن نفسه بالتشاؤب: خير إن شاء الله، أيوه طبعاً، بس ينفع بعد ما أقوم من النوم، أنا تعبان جداً من السفر.
ابتلعت "أمال" عدم حماسه كما اعتادت، وقالت: ينفع جداً، المهم راحتك، عايزني أصحيك إمتى؟

فأسرع قائلاً: لأ، متصحنيش، أنا حاقوم لوحدي، ماهو لازم أقوم ألحق صلاة المغرب.

وقام لينام، وأغلقت "أمال" باب الغرفة وطلبت من البنات الهدوء، ومن أم محمد أن تبادرها بفنجان من القهوة؛ لأنها تشعر ببدايات صداع تخشى أن يزداد.

جلست على مكتبها ترتشف قهوتها وهي تحس بهذا الشعور الذي سبب لها غصة في حلقها، وجعل دموعها تتجمع في مقلتيها لتعلن عن إحباطها وحزنها، هذا الشعور بالافتقاد الدائم لمن يبادلها شغفها وحماسها،

لمن يريد أن يسمعها وييث شوقه لها، لمن يجعلها مقدمة على أي اهتمام آخر، لمن يحتاجها أكثر من احتياجه للراحة والنوم، ولو لبضع دقائق ولو بدافع الفضول، ولكن هيهات!

مرت الساعات ثقيلة على "أمال" واستيقظ زوجها قبيل صلاة العشاء بقليل، ولم تحاول إيقاظه بل تركته يأخذ كفايته من النوم، وبعد أن صلى المغرب سألها وهو يرتشف فنجان قهوته التي أعدته له: ها يا ستي، إيه هي المفاجأة بقي؟

فابتسمت "أمال" وهي تطرد مشاعرها السلبية التي تجمعت داخلها، وقالت: أنا قررت أعتزل الصحافة، وأقعد معاك في بني سويف. فتوقف عن رشف قهوته، ونظر لها وقد بهت لهذا الخبر الغير متوقع! وساد صمت للحظات، اختفت فيها بسمة "أمال" وهي ترى شحوب زوجها وصمته، فاستطردت: إيه! خبر وحش أوي كده؟

لم يجب على سؤالها، بل بادرها بسؤال استنكاري: ليه؟ ليه دلوقتي؟ إيه سبب قرارك ده؟

ابتلعت "أمال" ذهولها من ردة فعله، وأجابت وهي تفرك يدها من توترها وقالت: ليه! عشان أنا حاسة إننا بعاد عن بعض جداً، وأنا محتاجك جنبي لو إنت مش محتاج لي معاك طول الوقت أنا محتاجة أحس إنني زوجة بس، يمكن وجودنا مع بعض يكسر البرودة اللي في حياتنا دي، إنت مش حاسس بيها؟

- لآ، دي معلومة جديدة عليا، إنك حاسة بالبرودة في حياتك، هو أنا مقصر معاكي ومعاكم في حاجة؟

انفعلت "أمال" وعلا صوتها قليلاً قائلة: أنا افنكرتك حتفرح من الخبر ده!، لكن ردة فعلك بتقول إنك مش مرحب خالص بالخطوة دي، وأنا عايزة أعرف ليه؟

تلجلج حسين - وهو يعدد أسبابه: أنا اتعودت خلاص أكون هناك لوحدي، ومحدش يشغلني عن الشغل، ومفیش مواعيد ولا التزام بيت وأكل، أنا هناك حر تماماً في وقتي، لو جيتي معايا حتغيري كل ده، وحابقي ملزم ومقيد بيكي، وأنا مش عايز ده طالما حياتنا ماشية كويس، أو ده اللي كنت بأحسبه أنا مش ناقصني حاجة، ومش عارف يعني إيه نكسر البرودة اللي بينا، إحنا طول عمرنا عايشين مع بعض كده ومشتكتيش، إيه اللي جد!؟

- هو مش جديد، هو قديم جداً، وبطلت أشتكي، لكن الإحساس مستمر حتى لَمَا بتكون هنا مش بتبقى معانا، دايماً تعبان ودايمًا ساكت، أنا مش حاسة إنني ليا أي دور في حياتك، وإن دورك مقتصر فقط في توفير الفلوس عشان المعيشة وتعليم البنات، مفیش احتياج ولا دفء بينا، الناس فاكرة إن لنا قصة حب ولا روميو وجوليت، وميعرفوش إننا مش بنتكلم مع بعض، حتى العلاقة الخاصة بينا بتكون آلية، وكأنها واجب تقيل بتعمله عشان بس متكونش مقصر! - إنتِ بتتكلمي وكأنك مراهقة عندها ١٧ سنة!، أو زي ما تكوني في أول جوازنا بتسمعي نفسي الكلام اللي قولتيه من خمسة وعشرين سنة، إنتِ مش حاسة إننا كبرنا على الكلام ده!

ردت أمال بسخرية، وقد احمر وجهها من انفعالها وخيبة أملها: كبرنا على الكلام ده!! هو أنا بأطلب منك توديني الملاهي، أنا بأقولك مشاعر وأحاسيس مجمدة بأعاني منها من ربع قرن، بتتراكم سنة ورا سنة لَمَّا تحولت لجبل من الجليد و...

قاطعها زوجها قائلاً: أمال.. أرجوكِ أنا مليش في عباراتك الأدبية والاستعارات الممكنية دي، إنتِ عارفة إنني راجل عملي جدًّا، وكنت متصور إنك اتعودت على طبعي وشغلي وحياتنا، أنا مستغرب جدًّا من أحاسيسك دي في السن ده!

- تاني بتقولي السن ده وكبرنا، أنا عندي ٤٦ سنة يا حسين مش ٨٦، وبعدين إيه علاقة المشاعر بالسن؟!!

- بصي، أنا عارف طبيعتك الرومانسية، وأنا مليش في كلام الحب والهيام ده، وأنا مش حاتغير عن طبيعتي، مش بحب ولا بأعرف أقول الكلام اللي إنتِ عايزاني أقوله، ولا أعبر عن مشاعري زيك، أنا طبيعتي مختلفة، وكفاية كلام في الموضوع ده أنا مليته ومش حاتغير، ومش حينفع تيجي معايا هناك.

أخذت "أمال" تنظر لزوجها وقد تحجرت الدموع على مقلتيها وهو يردد نفس ما كان يقوله لها منذ أول عام زواج، بل بعد الشهر الأول من زواجها، ولكنها هذه المرة وجدت كلامه منطقيًا جدًّا؛ فهو لم يخدعها ولم يتغير بالفعل طوال سنين زواجهما، فلماذا توقعت أن تجد منه غير ما تعرفه عنه!

وفجأة، أحست بكل مشاعرها المتجمدة تنهار وتسقط فلم تعد تشعر بشيء غير هذا الفراغ الهائل داخل روحها وقلبها، حتى هذا الوهم اللذيذ أن مفاجأتها لزوجها بقرارها ستسعه ويهمل لها كما ظنت وجدت نفسها تبسم لسخافة هذا الظن، وتحول الابتسام لضحك وانفجرت في الضحك حتى سالت دموعها من كثرة الضحك - وهي تردد: بس مفاجأة هائلة صح! وزوجها ينظر لها بتعجب على حالتها العجيبة، وهو لا يعرف إن كانت تضحك أم تبكي!

هدأت نوبة الضحك عند "أمال" وقامت فجأة، وقالت وهي تمسح وجهها بكفيها وتنعش نفسها بابتسامة: أوك.. أنا قايمة أعمل لنفسي قهوة! وذهبت للمطبخ لتعد لنفسها فنجاناً من القهوة، وسمعتها أم محمد فأسرعت إليها لتقوم بعمل ما تريده، لكنها قالت لها دون أن تنظر إليها: أنا عايزة أعمل القهوة بنفسي يا سعيدة، أرجوكي سييني وخليكي مع البنات، عايزة أكون مع نفسي شوية.

من لهجتها الجادة أدركت أم محمد أن "أمال" تعتمد عليها في إشغال البنات عنها، فانصرفت مسرعة وهي تقول: حاضر متقلقيش.

مرَّ الوقت ثقيلاً على "أمال" وهي جالسة في غرفة المعيشة تتقاذفها الأفكار والذكريات والمواقف التي مرت بها مع زوجها، والتي كانت دائماً تنتهي بنفس خيبة الأمل، وانتهت على صوته يسألها سؤالاً تعرف "أمال" مغزاه: مش حتمامي؟

فردت دون أن تلتفت إليه - وهي تتنهد: ثواني، أنا جاية.

خافت "أمال" أن تلعنها الملائكة وهي تمنع نفسها عن زوجها لشعورها القاتل بعدم الرغبة في أي شيء، فهي لم تعد تشعر بأي شيء سوى الخواء وبرودة روحها، لكن خوفها من الله لم يمنع هذا الشعور المذل الذي تشعر به وهي تستعد للقاء زوجها، فهي لا تريده أن يلمسها، لكنها لم تفعل هذا معه أبداً؛ لأنها كانت تعيش بالأمل وبالوهم وبحب شخص غير موجود في حياتها، واليوم انهار كل ذلك مع انهيار جبل الجليد. لكنها استجمعت كل ما لديها من قوة، وقامت وأطرافها باردة وبرودة الثلج وقلبا ينبض بشدة، وشعورها كمن تساق للذبح. فأخذت تتمتم: يارب، يارب.

تأكدت "أمال" من نوم زوجها؛ فقامت بهدوء لتغتسل وتتوضأ وصلت وظلت ساجدة تبكي بكاءً مرّاً، بعيداً في غرفة الضيوف وهي تكتم نحيبها وتشعر لأول مرة أنها كمن اغتصبت؛ فكان جسدها ينتفض كأنه يتخلص من آثار لقاءها مع زوجها، وفي هذه اللحظة قررت أن لا تشعر بهذا الشعور المخيف المذل مرة أخرى؛ لأن الله الرحمن الرحيم لا يمكن أن يرضى لها هذا الشعور الرهيب؛ فالزواج مودة ورحمة، وليس من الرحمة أن تغضب زوجة على علاقة زوجية لمجرد رغبة الزوج دون مشاعر متبادلة بينهما!

وأخذت تحدّث نفسها أنها يجب أن تقرر دون وهم ودون أمل زائف هل تستطيع أن تكمل حياتها مع زوجها كما هو وبكل صراحته عن نفسه وبرود

مشاعره وعدم رغبته في تغيير هذا الحال ودون الشعور بالحاجة للمشاعر والدفع والأحاسيس التي تفتقد لها بشدة، فزوجها يشار له بالبنان كأفضل الرجال والكل يحترمه فمن يتوقع أو يتصور أنه يعاملها بجفاء وإهمال فسوف يجدون له العذر بانشغاله وأعماله الكبيرة؛ ليوفر لها ولبناته هذه العيشة الرغدة!، ولمن تشكوه ولم يعد لديها من أهلها من يهتم بسعادتها أو يتفهم احتياجاتها بعد رحيل أمها وأبيها وانشغال أخيها بحياته وأسرته وهو المقيم في محافظة أخرى بعيدة وهجرة أختها مع زوجها إلى أستراليا وعدم مجيئها لمصر إلا كل عدة سنوات! والبنات رغم تعودهن على غيابه لكن وجوده بينهن أمر حتمي لم يشعرن يوماً أن هناك تهديداً عائلياً أو مشاكل كبيرة تنذر بالشقاق والانفصال، كيف تشرح لهن ما تعانيه، كيف توصل لهن إحساسها المهين الذي تحسه الآن!، كيف تقوِّض لهن حياتهن برغبتها التي تصرخ في أعماقها في الانفصال عن زوجها!!

ظلت "أمال" تصلي وتسجد وتبكي وتطلب من الله المعونة وأن يبصرها بالخير لها ولأسرتها؛ حتى غلبها التعب والنعاس فنامت بجوار سجادة الصلاة، واستيقظت على صوت أذان الفجر، ولم تعلم كم من الوقت نامت فذهبت لتوقظ بناتها وأم محمد ليصلين الفجر جماعة كما تعودن دائماً، أما زوجها فقد كانت أوامره دائماً ألا يوقظه أحد من النوم، فكان له دائماً ما أراد، وقد بدا على وجهها أثر البكاء والإرهاق، وأم محمد تنظر لها مشفقة بنظرة كأنها تعلم ماذا حدث لها، ولكنها اكتفت بأن ربتت على كتفها وسألتهما بحنان: أعملك لقمة تأكلها حبيبتني؟

فنظرت لها "أمال" نظرة احتياج أن تضمها لحضنها لتبكي بين يديها، وقالت: لأ، تعالي عايزة آخذ رأيك في حاجة..

وذهبت بها إلى غرفة الضيوف، وحكت لها ما حدث وسألته من بين دموعها ماذا تفعل؟

أطرقت أم محمد صامته، وعينها دامعة متأثرة بحالتها، ثم أخذت تتمتم: أنا يا أمال اللي حاقولك تعملي إيه؟ وإنّ اللي بتحلي للناس مشاكلها!

- أنا كنت عايشة في وهم كبير أوي يا سعيدة، أنا السبب فيه، أنا اللي ضحكت على نفسي والنهارده وهو بيرد عليّ كأني باسمع كلامه لأول مرة، كأنها غشاوة اتشالت من على عيني، لأول مرة أحس بأني عبيطة جدًّا، إزاي اتصورت إنه حيفرح لوجودي معاه وهو عمره ما اشتاقلي، وكل حاجة بيعملها بس عشان واجب عليه، عشان ميقاش مقصر زي ما بيقول "أنا عمري ما قصرت في حاجة" ده زعل وقال لي إن سنناده ميسمحش بمشاعر المراهقة دي، هو أنا لما أحتاج لحب جوزي أبقى مراهقة!

قالت لها "سعيدة" وهي تهدئ من روعها: لأ، إنّ من حقتك تلاقي جوزك جنبك.

- المصيبة بقى إني دلوقتي مش طايقاه ولا طايقة يلمسني، حاكم معاه إزاي وأنا كده، أنا مش حاسة ناحيته بأي مشاعر، أنا مش عارفة إيه اللي حصل! والبنات أقولهم إيه؟! ياريتني ما فكرت في المفاجأة الزفت اللي عملتها، ما أنا كنت عايشة وخلص، وعادت للبكاء مرة أخرى.

قالت لها أم محمد وهي مشفقة عليها من حيرتها: أمال، العياط مش
 حيحل المشكلة، أنا عارفة إنك محتارة ومصدومة بس لازم تفكري صح،
 وطول ما إنت بتعطي كده مش حتعرفي تفكري، أنا يا حبيبة قلبي رغم إن
 علامي على أدي وإنت اللي علمتيني أقرأ وأكتب لكن اللي أعرفه من الدنيا
 دي عن الجواز الصح هو جوازي بمنصور ربنا يسعده يارب، إن الست
 تحب التراب اللي يمشي عليه جوزها، إنه يكون مالي عينها وشايفاه أحسن
 راجل في الدنيا حتى لو فقير ومعهوش حاجة، منصور كان بيعاملني كأني
 ملكة، بيخاف عليا ويبراعيني وعمره ما زعلني بكلمة، وعمره ما طلب مني
 حاجة تشق عليا، كان يعرف إنني تعبانة هو اللي يعمل الأكل وينضف البيت
 ولا يمكن يطلب حقه مني وأنا تعبانة أو عايزة أنام، وبصراحة هو عمره ما
 طلب حقه مني؛ لأن من غير طلب الحب اللي بينا هو اللي كان يجمعنا
 مع بعض، وبيخلينا نرحم بعض، الباشمهندس حسين مفيهوش عيب وزين
 الرجال بس زي ما بحبك تحبني، أو مال ربنا قال على الجواز آية إزاي إذا
 مكانش فيه كل سعادة الدنيا وبقى روح واحدة ونحس ببعض ويكفيني
 ويملى عيني، منصور بالنسبة لي روعي اللي عايشة على حسها في الدنيا.
 بهتت "أمال" من كلام أم محمد، ووصفها للزواج والسعادة والمودة
 والرحمة التي يجب أن تكون بين كل زوجين.. وقالت وهي تمسح دموعها
 من روعة ما سمعت: ياه يا سعيدة، إنت قلت كلام أحلى من أي كلام ممكن
 يتكتب أو يتقال أو يفسر يعني إيه مودة ورحمة.

ترد أم محمد بكل امتنان: إنَّ اللي علمتيني الكلام والعلام، هو أنا كنت أعرف حاجة، إنَّ ناسية إنك إنَّ اللي فهمتيني كلام ربنا عن المودة والرحمة، أهو من ساعتها حسيت إن حياتي مع منصور رغم إنها كانت قصيرة هي كل ده.

- لأ مش ناسية، بس أنا حاسة إنني كدبت على الناس لما كدبت على نفسي، لكن الموضوع دلوقتي بقى استمرار كيان أسرة وحقوق زوج وحساب قدام ربنا، منحرش منك يا أم محمد، ولا من وجودك في حياتي أنا حافكر كويس قبل ما أتخذ قرار من قراراتي الحالمة، لازم المرادي أجنب مشاعري وأحكم على الوضع صح.

واحتضنت "أمال" أم محمد، وانهمرت دموعها وهي تحس بعطفها عليها، وهي تدعو لها بالخير والسعادة.

تركتها أم محمد لتباشر عملها، وأغلقت الباب على "أمال" وهي جالسة تفكر كيف ستواصل حياتها مع زوجها وهي على هذا الحال، وأخذت تدعو الله أن يجد لها مخرجًا، وأن يبصرها بالخير والصواب...

- يارب، يا أرحم الراحمين، دبر لي فأنا لا أحسن التدبير.

وسمعت خطوات تقترب من الباب، فالتفتت فوجدت زوجها يتجه إليها بنظرات ثابتة أربكتها، فأخفت نظراتها الدامعة، وأغلق الباب وقال لها: أنا مش أعمى يا أمال ولا غبي، إنَّ من إمبراح مش إنَّ خالص ولا

عمر ككتي كده، أنا حسيت إنك معندكيش رغبة أبدًا نكون مع بعض، لكن اللي إنت متعرفهوش إنني كنت دايماً بأقرب منك عشانك مش عشاني، أنا مش فارق عندي خالص؛ لأن عندي اهتمامات تانية واخدة كل تفكيري، مشاكل مش مخلياني أفكر في أي حاجة ولا أي متعة، فلو إنت مش عايزة متغصبيش نفسك عشاني أنا كمان مش عايز، وحاسافر النهارده؛ لأن الوقت اللي بأقضيه هنا بياخر حل المشكلات اللي هناك.

جاءت كلماته الغير متوقعة كإنقاذ سريع لها، وقالت متهكمة: سافر يا حسين، الشغل أهم طبعًا من أي حاجة في الدنيا، أنا كمان محتاجة أكون لوحدي عشان أفكر، وأحدد أنا عايزه إيه.

وقامت وتركته واقفًا، وذهبت إلى مكتبها فأخذت اللاب توب وعادت لغرفة الضيوف بعد أن غادرها؛ لتواصل عملها الذي توقف منذ وصوله، كانت تريد أن توقف التفكير في مشكلتها فهي لم تعد تتحمل هذا الزخم من المشاعر المتضاربة المؤلمة، كانت تريد هدنة من التفكير، وأن تسحب روحها وتهرب بها من هذا التيه وهذا الخواء الذي أحاط بها، ففتحت صفحتها على الفيسبوك، فوجدت صفاء أرسلت لها قصتها، فبدأت في قراءتها لكي تعيش واقفًا بعيدًا عن واقعها عليها تهادًا!

XL

أنا حاحكي قصتي بالعامية كده من غير فصحي ولا مفردات مفردة عليكم رغم إني خريجة آداب قسم تاريخ! لكن نسيت التاريخ كله، وفاكرة تاريخي أنا، وحاكيه زي ما حكيته لبنتي عشان متعملش اللي أنا عملته.

كنت حلوة ورفيعة ومقاس فستاني ٣٨، حاجة آخر سميتك، باهتم جدًا بنفسي وبشرتي وشعري الطويل الأسود المنسدل كليل أرخى ستائره..
الله!!، مش قلنا مش حنحكي بالفصحى!!، معلش، بأستعرض بس شوية عشان تعرفوا إني متعلمة ومثقفة ومش جاهلة!

وقتها مكتتش محجبة، كنت بأقول لما أتجوز!! مكتتش مواظبة على الصلاة، علاقتي بربنا علاقة حب بالكلام ورهبة وحاجة!

يعني لمّا كنت بأحتاج حاجة ألجأ لربنا، وربنا يديهالي، وحسيت إن كده يبقى ربنا بيحبني!

كل شيء طلبته منه إذاهولي، ولمّا جه وقت إني لازم أكون مخطوبة زي صحباتي وأخواتي لمّا كانوا في سني لجأت لربنا بيعتلي واحد ميفرضش زي اللي اتقدمولي ووالدي يرفضهم عشان مش من مستوانا، والدي ووالدتي كانوا مصرّين إني أتجوز واحد من عيلة وغني، وجه ابن

العيلة الغني و كنت طيارة من الفرحة خصوصاً إنه وسيم وشيك ومهتم جداً بنفسه، وجزمته بتلمع ونضيفة جداً كأنه مش بيمشي على الأرض!

اتخطبنا في أسبوع، وفي يوم الخطوبة لاحظت إنه مش بيكلم مامته خالص ومش بيبص ناحيتها ولا كأنها موجودة، وجايب معاه اتنين صحابه دول كانوا محور اهتمامه، وكلامه كله معاهم حتى أنا متكلمش معايا كلمتين على بعض، لبسني الخاتم السوليتير، ووالدته لبستني إسورة من الماس، كانت شبكة تجنن، واتصورنا ونزلوا، وبعد كده مشفتوش لمدة أسبوعين!

دا أنا كنت مستنية الخطوبة بقى عشان الفسح والكلام والغرام، وأحس بقى إن حياتي اتغيرت، لكن خطيبي مكانش فاضي، بتعمل إيه؟ مسافر مع أصحابي رحلة سفاري، وبعديها رحلة صيد، وبعديها انشغل في جواز صاحبه، طيب حاشوفك إمتى؟ يومين كده واكلمك.

كنت وقتها عايزة أسأله هو إنت عارف اسمي! مكانش بيقول اسمي خالص وأنا باكلمه، أنا طول المكالمة إزيك يا صلاح؟ عامل إيه يا صلاح؟ وصلاح مش بيقولي غير الحمد لله إنت عاملة إيه؟

اتصل بيّه بالليل بقى زي فيلم الوسادة الخالية، وأنا مامرجح رجلياً زي لبني عبد العزيز، وأطلب بقى وأنا ناوية أتكلم بشويش ونرغي ونسلم على بعض وأقوله مقفلتش لسه!

لكن كان التليفون بيغنيلي، مشغول وحياتك مشغول، يفضل تليفونه مشغول لحد لما يكبس علياً النوم وأنا م! لما سألتها قال لي كان بيكلم

صاحبه، ويقعد يحكيالي اللي قالوه بالظبط، ويضحك على حاجات مش فاهماها، ومش حاسة إنها بتضحك، لكن كنت بأضحك عشان مكسفهوش، وتخلص الزيارة كلها كلام عن صحابه، ومفيش كلام خالص عن والدته أو إخوانه أو ذكرى والده الله يرحمه، أو أي مشاعر أو أي كلام عن المستقبل!

اشتكت لماما، قالتلي تلاقيه بس مكسوف منك، وبكره لّمّا تتجوزوا حيسيب حياة العزاب دي ويفضل في بيته، وقعدت تقول لي إزاي بقى أهتم بيه وبأكله ولبسه وبنضافة البيت وطبعًا حيكون عندنا شغالة، لكن هي كان قصدها إني أشرف على نضافة البيت والأكل لو فيه طباخ!

لأ، مش حاجيب طباخ، أنا باعرف أعمل كل الأكلات حتى الحلويات والتورت وكنت آكل ومتخنش خالص، ومنيت نفسي زي ما والدتي قالت لي إنه بس مش واخذ عليًا ومكسوف، طيب يا ماما وعلاقته بوالدته!، ده مش بيتكلم عنها خالص رغم إنها اللي ربه هو وأخوانه بعد وفاة والده وحرصت على أموالهم وتعليمهم ومتجوزتش رغم إنها مكنتش كبيرة أوي، وكان ممكن تتجوز وخصوصًا إنها من عيلة وجميلة وغنية، ترد والدتي وتقول: أدينا حنزورهم يوم الخميس الجاي ونشوفه بيعاملهم إزاي!

روحنا، وطول القاعدة حتى وقت الغدا يسيبنا ويتكلم في التليفون مع صحابه، ويضحك ويكركر، ومفيش كلام لا معانا ولا مع والدته غير إنه قالها الأكل مش متسبك كويس، غيري الطباخ ده، بيديها تعليمات.

لَمَّا رجعنا سألت والدتي: ها، عجبك معاملته لمامته وأخواته البنات وأجوازهم، وسابنا أكثر من نص ساعة يتكلم في التلفون!

ردت وقالت: هو معملهاش وحش، ولا كلمها بطريقة مش مهذبة، ويمكن يا بنتي عنده مصالح مع أصحابه، الراجل جايبلك شبكة العيلة كلها بتتحاكى عنها، وجايبلك شقة متعرفيش أولها من آخرها، ولولا إنك أصرتي تعيشي لوحدك كنت سكتتي في فيلثهم، ويبقى عندك حمام سباحة وجنية أولادك يلعبوا فيها!

أرد بعصبية: أولادي متخافيش عليهم، حابقي أوديهم لجدتهم يلعبوا ويعوموا يا ماما، مش لَمَّا أتجوزه الأول!، أنا مش عاجبني طريقته معايا ولا مع أمه ومحتاجة أفكر.

وكانت ليلة مطلعش ليها شمس، قعدت أمي تلومني، وهي دي فيها تفكير! ده عريس لقطة.

- يا ماما، ده طلع مبيشتغلش، يعني غني بالوراثة وشهادته من كلية التجارة معملش بيها حاجة.

ترد وهي مستغربة كلامي: ويشتغل ليه؟ هو محتاج!

- يشتغل عشان الراجل لازم يشتغل يا ماما!

- إنتوا مش عاجبكم العجب، إنت عايزه إيه من شغله غير عيشة كويسة ومفيش أحسن من كده عيشة.

وراحت قافلة الكلام بقسم إنها حتتبرى مني لو قلت الكلام الفارغ ده تاني، ووالدي عرف اللي قلته، وعطاني محاضرة تانية في الحسب والنسب والأصل، وانتصروا ورفعت الراية البيضاء ومرضتش أصر على موقفي لَمَّا لقيت الحرب قامت عليا كده، بيني وبينكم أنا مقاومتش أصلاً.

وعشان مرجعش أفكر تاني والدي طلب إنه يسرع في الجواز طالما كل حاجة جاهزة، وشهرين بالظبط بعد الزيارة دي كنت في طيارة لقضاء أسبوع العسل في أسوان!!

أيوا، اتجوزنا في الشتا في ليلة ممطرة مطينة بطين! ومكملناش يومين ولقيت زيارة من أصحابه اللي عزمهم عشان يتفسحوا معنا ويشوفوا الآثار!.. إيه ده!! هو لحق يزهب مني!! ده احنا في شهر العسل، شهر إيه!، أسبوع النيلة العسل!

- إيه يا صلاح إنت زهقت مني يا حبيبي وجايب صحابك تقضي معاهم

شهر العسل؟

وده كان أول سؤال وآخر سؤال أسأله لصلاح عن أصحابه، صلوحة الكيوت الوسيم ده اتحول للرجل الأخضر، وصوته بقى مسمع الأوتيل كله وهو يقول ملكيش دعوة بأصحابي، إياك تتكلمي عنهم تاني، وجم ومجوش، أهو ده اللي مكتتش عايز أتجوز بسببه، تيجي واحدة تتحكم فيا وتحاسبني وليه ومش ليه، اسمعي.. دي آخر مرة أسمعك تتكلمي بحرف، أنا باعمل إيه ومبعمش إيه حتخني أنا معنديش خلق، على بيت أبوك في تانية! طراخ.. وهبد باب الجناح المكسور، وخرج وسابني متنحة زي تمثال حور حتب!

مين حور حتب دي؟! أخت الباشمهندس أمنحتب، متدققوش، مش حاقولكم بقى أنا محدش بيزعق فيا والكلام ده! لأ، والدي ووالدتي طول عمرهم بيزعقوا فيا عادي يعني، لكن مشوفتش اللون الأخضر والدخان طالع من حد فيهم، فأنا اترعت بمعنى كلمة اترعت، فبعد "التتيحة" قعدت أترعش وأعيط بعد ما سابني وأنا بسأل نفسي ده حعيش معاه إزاي، وإزاي أطلق بعد يومين من جوازي، أو حتى بعد شهر أو سنة، دا أنا كنت عايزة أغير رأيي في خطوبة أبويا وأمي كانوا حيتبروا مني، أو مآل لو قتلهم عايزة أطلق!! طيب المتاح إيه؟

المتاح إنني مزعلوش ولا اسألوش عشان الرعب اللي أنا فيه ده محدش حاسس بيه غيري، وكمان لو زعلته ممكن غضبه يتطور بقى ويضربني، وأنا في دي حاقولكم أنا أبويا وأمي كبيرهم يزعقوا لكن ضرب لأ، كله إلا الضرب، ده أنا باخاف من خيالي وجبانة جدًا.

دبحلي القطة؟ آه طبعًا، وكان ممكن يدبطني أنا شخصيًا، الشر اللي كان في عنيه وهو مخضر كده يقول إنه ممكن يعملها لو كنت رديت أو طولت الكلام، فسكت من تالت يوم جواز لحد لَمَّا مرّ ثلاثين سنة وأنا ساكتة.

أنا حملت في ابني الأولاني بعد شهر بالظبط من جوازي يعني لو كان حد بيعحسب ورايا مكنش صدق السرعة دي، وده كان كفيلاً إنه يسكتني باقتناع واستسلام، ويبعدني عنه كمان، لأن حملي كان متعب جدًا، فقعدت عند أمي طوال فترة الحمل، ولحد ابني ما كمل شهر ونص، يعني أنا فعليًا اتجوزت شهر بالظبط، كان معظم الوقت فيه يا نايم يا مع صحابه.

هل الخلفة غيرته؟ ولا الهواء، أنا حسيت إنه بيخلف بس عشان يتباهي برجولته، وعشان أخليه يتباهي أكثر وأكثر خلفت كمان مرتين، بقى الحمد لله عندي ولدين وبنت، جم ورا بعض، ولمّا لقيت العقد بيكر كده ربطته كويس بعد بنتي اللي حملت فيها على لولب!! وابتديت آخذ حبوب منع الحمل اللي ساهمت بدور مؤثر الحقيقة في بناء منظومة الدهون سريعة التشكل في منطقة البطن والأرداف!

نص أوقات حملي وولادتي كنت بأفضيها في بيت والدي، والنص الثاني كان هو بيقضيها في فيلّتهم عند والدته، عشان يعرف ينام لأنه صوت عياط عياله مزعج، معنديش أوبشن كتم الصوت وقت نوم الباشا، ولو حصل وحد صحاه لأي سبب الرجل الأخضر يقوم يسب ويلعن.

يعني برضه معذور، طول الليل سهران مع صحابه ومحتاج ينام!

طيب وأنا؟ أنا!!!

أنا مش حتكسف أقولكم إني بالنسبة له كنت زي... استنوا بس بأحاول أجيب كلمة محترمة شوية.. زي بنات الليل.

حلوة بنات الليل.. لأنه كان يرجع في آخر الليل قبل الفجر، يلاقيني نايمة يصحيني ويقضي حاجته مني وميعرفنيش بعد كده، أحمل أنا وأرجع وأرضع وأكل وأتخن، ولولا الاحتياج الفسيولوجي الانبعاثي ده مكانش قرب مني!

لَمَّا الولاد كبروا شوية ومبقوش أطفال محتاجين رعاية دائمة ابتديت
أزهق جدًّا من قعدتي لوحدي معظم الوقت؛ لأن أنا كمان عندي شغالة مش
مقيمة لكن بتقوم بكل أعمال التنظيف والغسيل والمجهود البدني الشاق
ده، فمكنتش باتحرك تقريبًا! فحماتي عرضت عليًا نسكن معاها في الفيلا
في دور لينا لوحدها زي ما كانت بتحلم، وأنا اللي مرضتس وقتها كنت عايزة
قال أعيش مستقلة مع جوزي!.

فعثت مستقلة عن جوزي!

لكن المرة دي أنا ما صدقت عرضت عليًا ونقلنا الفيلا، والشقة جوزي
قال خليها تبقى لحد من الأولاد لَمَّا يكبروا، وبقت مقر لسهراته مع شلته،
والله أعلم كان بيحصل فيها إيه. أنا مبسألش، نسيوا واللا إيه؟

مبسألش خالص، عشان كده هو أوقات بيكون معايا حلو وحين
ووديع ومستأنس كده الأوقات دي لو جمعتها في عمري معاها ممكن
يطلعوا بالكرم خمس ست ساعات؛ لأن كل مرة كانت تبقى كام دقيقة
وتخلص الكريزة، إحنا حنطمع! ده كده رضا مش عشان بيعاملني وحش،
لأ. عشان مش بيعاملني أصلًا لأنه مكانش موجود، ولا بيعاسبني ولا
بيسألني رايحة فين ولا صرفتي كام ولا أي حاجة، كان هو كمان
مبيسألش! وطالما أولادي بخير وعايشة كويس وعندي مطبخي حبيبي
اللي كأنه مطبخ فندق ٧ نجوم أعمل فيه أكلاتي وتورتاتي خلاص حاعوز
من الدنيا نعيم أكثر من ده إيه؟

طبعا الكتكوتة الصغنة اللي كانت بتلبس مقاس ٣٨ بقت بتدخل

محلات الـ XXXL

كنت باستعين بالأكل عشان أكمل سكات، أو مال حاسكت إزاي! أسدّ بقى بإيه إلا بالأكل!، وبصراحة أنا محبتش حد في الدنيا بعد أمي وأبوي و عيالي وحماتي أد الأكل، بحبه طبعا أكثر من صلاح.

الإحساس المشيع الدافي اللي بأحسه وأنا "بالهط" حته مكرونة بشاميل أو برام الرز المعمر بالحمام أو حته من التشيز كيك أو بلاك فوريست خصوصا وأنا قعدة لوحدي والعيال نايمين، لا يعادله أي إحساس، والكذب خيبة، محستش بده أصلا غير بالأكل!

استعنت بيه في كل أحزاني، بعد وفاة والدي ووالدتي وحماتي اللي بكيت عليها يمكن أكثر من أمي؛ لأنها عاملتني أحسن من بنتها، وكنا بنقضي الوقت مع بعض نحكي وتدخل تساعدني في الأكل، رغم إنها كانت هانم مش متعودة على وقفة المطبخ لكن من ساعة ما نقلت عندها استغنت عن الطباخ وبقث تطبخ معايا، وتتعلم مني زي ما تكون بنتي، وتقعده تحكييلي عن شبابها وجوازها وفرحها اللي غيرت فيه ثلاث فساتين!

وحكتلي إن صلاح كان أصغر أولادها وإن أبوه كان قاسي عليه ومكانش بيلاقني دلغ غير من جده، ولما أبوه مات اللي رباه هو جده لأبوه ودلعه آخر دلغ، ومكانش بيرفض له طلب عشان كده طلع عصبي، ويعمل اللي في دماغه، ويثور لو حد عارضه أو حتى سأله ليه، أه يا طنط هو إنت حتقوليلي ما أنا شففته بعيني! الله يرحمها ويرحم الجميع.

كانت مالية عليًا حياتي، وقتها مكنتش تخنت أوي كده، كنت اتنين
 إكس لارج بس! لكن بعد ما مرضت وتوفت حسيت وقتها فعلاً إنني
 اتيممت وبقيت وحيدة تمامًا، والولاد كبروا وبنتي بقت مشغولة في كليتها
 وصاحباتها وبعديها اتخطبت واتجوزت، وولادي الصبيان اتجوزوا
 وسافروا والشقة بتاعتي لسه شقة الشلة، وبرضه معرفش بيحصل فيها إيه!
 اتغير صلاح بعد العمر ده كله؟ ولا الهوا.....

اللي زاد عليه شوية شعر أبيض، وإنه بقى بيتريق عليًا وعلى حجمي
 العائلي زي ما بيقول، ولما بأشكيله من الوحدة وسفر العيال وموت
 الأحباب، بيضحك وبيقولي إنت بقتي حريفًا عيلتي كلها، ومالية عليًا
 حياتي!! غزل تخين..

وحتى الأوقات اللي كنت فيها بنت ليل، راحت في الوباء، ماهو مفيش
 بنت ليل بالحجم ده!!

وعارفة إنني بأعاني مشكلة حقيقية محدش برضه بيحس بيها إلا اللي
 بيعاني منها خصوصًا لما يكون عاجز يغيرها، حاولت مليون مرة أعمل
 رجينم ألتزم يومين وبعدين تحصل حاجة تحرق الدم، ولازم أسكت فأرجع
 أسدّ بقي بالأكل، وصفات ودكاترة وأشتري أجهزة تفتح جيم وبقوت كلها
 مركونة تنادي خيبيتي، ونفسي المكروش عشان آجي أستخدمها، أبصلها
 كده وأقلها يا شيخة روعي هو أنا عارفة أمشي، شربت المر عشان أحس
 وده مش كلام مجازي.. لأ، أنا شربت وصفات طعمها بشع، مرّ على حرق

على طعم التراب، حاجات كده بتتشرب على الريق عشان تسيح الدهون،
عجزت أمام دهوني الشديدة التعلق بي وبقت حته مني لما بأبطل أكل أحس
إني بأقطع، عذاب... ..

محدث بيعرف يعني إيه تكون تخين، يعني بتجاهد وبتعافر وبتصارع
حتى في أبسط أمور الحياة في دخول الحمام والاستحمام، وقص ضوافر
رجلك، مأساة!!

محدث جرب يلبس خفيف في عز البرد عشان الهدوم الشتوي
بتضاعف الحجم، وكانت حماتي تقولي يا بنتي إنت كده مش سقعانة،
أقولها وأنا شفافي في مزرقة من البرد.. لأ، الجو كويس ده أنا حرانة!!

ومرة لقيتها جايالي فورير مينك أصلي، وبتقولي ده كان بتاعي وزى
ما إنت شايقة شكله زي الجديد، خديه حببتي أنا مبقتش أنزل، وأنا عيني
حتطلع عليه لكن أفكر حجمي بيه أحس إني حاكون توأم الدب القطبي
أو أنثى الماموث، أقول لها والدموع حنّفت من عيني، ربنا يخليكي يا طنط
بس أنا عندي حساسية من الفرو، واعطس، فعلياً كنت باعطس!! تقريباً
من الكذب أو القهرة أو كليهما.. أي الاتنين! مأساة ولازم نقابلها بضحك
وإنكار إننا كده حلوين وبنات عزّ وباين علينا الخير!

أنا من فترة لما زادت علياً أعراض فرط السمنة، وبقيت عبارة عن خيمة
متنقلة تتحرك ببطء حركة سلحفاة صحراء الربع الخالي، وبقيت أسمع
التعليقات الساخرة مني ومن حجمي، وبقيت أنا نفسي أتخض مني، قررت

إن الوضع ده لازم يتغير، بقت مسألة حياة أو موت بالنسبة ليّا وعمري ما
أنسى لّمّا مرّيت على مبنى كله زجاج، وبأبص عليه لقيت ستات كتير تخان
لازقين فيّا، إيه ده.. بصيت ورايا ملقتش حد!!

إيه ده؟! ده أنا!!

أنا بعدّي ولسه بقيتي بتعدّي ورايا، يآدي الكارثة، الخضة دي هزتني
وبكيت وأنا ماشية، واتشهفت لدرجة ستات بصولي، ومصمصوا شفايفهم
عشان صعبت عليهم، وهمّا يقولوا يا حول الله يارب!

يمكن أول مرة أحس بحجم المشكلة، وإني فعلاً بقيت حجم عائلي،
وبدأت أنقذ نفسي، أو اللي باقي مني صحيح ببطء، لكن بثقة زي ما يقول
المثل الإنجليزي، وكمان عشان محرمشي نفسي مرة واحدة من عشق
عمري الوحيد، معرفش لّمّا خارج لحجمي اللي حيظهر ملامحي تاني
بعد إزالة آثار العدوان، وأبطل أكل حاعر فأكمل سكات.. واللا لأ.

بس كل اللي أنا عرفته واتاكدت منه إننا بنموت بالبطء لّمّا نقرر نكون
غير نفسنا.. مقاسي بقي XL.. هانت.

انتهت "أمال" من قراءة قصة "صفاء" والتي تعلم بعض فصولها حينما
تواصلت معها في أول معرفتهما منذ سنوات، وشكت لها حالها ومعاناتها
مع السمّنة لكنها لم تحك قبل الآن الأسباب التي أدت لهذه السمّنة،

فقد رأتها وتعرفت عليها وهي بهذا الوزن المفرط، وكثيرًا في جلساتها المشتركة كانوا يتطرقون لمشكلتها، فتحول الجلسة إلى ضحك، وتهرب وتمضي بقية الوقت في الحديث عن صفات الطعام والحلويات، وتذكر سعادتها بجلوسهن في شقة "منيرة" المطلة على البحر، ورفضها التام للنزول أو التنزه على الشاطئ وتعلل دائمًا بعدم قدرتها على السير، وكانت تمضي معهن اليوم وتعود في سيارتها الفارهة مع سائقها الخاص، وتعددت الأسباب والتعاسة واحدة، ورغم اختلاف حياة "صفاء" كلية عن حياة "أمال" إلا أنها وجدت في قصتها تشابهًا مع حالتها، فشعور الوحدة واحد، "أمال" عوضته بالنهم في الكتابة و"صفاء" عوضته بالنهم في الأكل!

ولم تغلح الكتابة ولم يفلح الطعام في إخماد هذه النار التي تأكل الروح، كلاهما أطعما مشاعرهما الجوعى طعامًا لا يغني ولا يسمن من جوع، وكلاهما خدعت نفسها، لكن "صفاء" لم تفكر في الانفصال بل صمتت وتعايشت مع مشكلتها بطريقتها، وتركز الآن على إنقاذ نفسها. وهي أيضًا يجب أن تركز على إنقاذ نفسها دون أن تكبد بناتها أي خسائر أو تعرضهن لزلزلة شديدة، فهل تفعل مثل "صفاء"؟ تملأ فراغ قلبها بحبها لبناتها، وتكمل دورها كأُم وتدفن كل عمرها الذي قضته تكتب عن المشاعر وروابط المودة والرحمة بين الزوجين، هل تقوم بعملية استبدال أخرى لكي تستمر ولا تواجه طوفان الانتقاد واللوم لها لو أعلنت رغبتها في الانفصال، وهل هي حقًا تستطيع أن تعيش بهذا الألم وهي تعلم الآن أن ما أمضته من عمرها كان سرحًا من خيال فهوى؟

لابد من إيجاد وسيلة لا تخدع بها نفسها مرة أخرى، وفي نفس الوقت لا تؤثر على حياة بناتها، فبعد هذا العمر لا يهم أي شيء غيرهن، فالله لا يكلف النفس إلا وسعها، وهي لم يعد لديها ما تعطيه لزوجها؛ فقد بحثت داخل نفسها عن تلك المشاعر لم تجد إلا الهواء والفراغ، أين ذهبت الكلمات والأشعار، أين ذهب اشتياقها بل أين ذهب خيالها!!، حتى لو أرادت أن تكتب.. ماذا ستكتب وكل ما تحسه داخلها الآن هو الخواء، كأنه نبع جفت مياهه وترك قاعه صفيصاً. أحست "أمال" بهذا الجفاف كأن كل ما بداخلها قد سحب منها، شعرت كأنها غصن جاف سهل الكسر لا لون فيه ولا حياة، انتبهت "أمال" وهي في خضم هذه التساؤلات لصوت أم محمد تسألها عن حالها: معلىش يا أمال عايزة أطمئن عليكى، مش عارفة أعمل حاجة وأنا متوغوشة عليكى كده، طمنيىنك عليكى وحاسيبك مش حاضيقك بوجودى.

التفت إليها أمال مبتسمة ابتسامة حانية وقالت: الحمد لله حبيبتي أنا بخير، سرحت شوية في أحوال البشر والدنيا، كل الناس عندها مشاكل ممكن تظهر لغيرها إنها مش بتعاني من أي حاجة، ربنا رحمته واسعة، وأكيد رحمته حتوسعني، متخافيش عليا.

- ونعم بالله حبيبتي، ربنا يرضيكى ويرضى عنك يارب.

عادت "أمال" لأفكارها الحيرى، كيف تحل الوضع بأقل الخسائر الممكنة؟ فهي لن تستطيع أن تكون له زوجة يدعوها فتلي وهو لا يحبها ولا يشاق لها ولا يبادلها العاطفة، فالملائكة ستلعه هو؛ لأنه بلا قلب وبلا

مشاعر، الملائكة ستلعن من يقوِّض أواصر المودة والرحمة، فأبي رحمة أن تند مشاعرها هكذا، وأن تسحب منها روحها، أن يمتص منها شريان الحياة، يكفي أنها ستعيش هكذا بقية عمرها بهذا الحرمان، ولكنها راضية لأنها ستقدم حرمانها هذا قرباناً تفدي به حياة بناتها واستقرارهن النفسي، خاطبها صوت خاطرها أنها تقدم تضحية كبيرة من أجل بناتها، وأنها بهذا ستحميهم من المجتمع وأفكاره العقيمة، والتي كانت في كل كتاباتها تهاجمها وتحاول أن تغيرها، وها هي الآن ترضخ لهذه الأفكار، وتحاول أن تجد حلاً يتواءم معها! فقامت "أمال" مشحوذة بهذه التضحية، ودخلت غرفتها على زوجها الذي جمع متعلقاته مستعداً للسفر.

وقالت له في لهجة هادئة، لكنها لم تستطع أن تخفي تهديج صوتها المضطرب: شوف يا حسين عشرة العمر اللي بينا وبناتنا ومصالحتهم همّا اللي حيخلوني أقولك أنا حاكمل إزاي حياتي معاك، أنا مقدرش أأدي دور الزوجة من غير مشاعر حب وود وشوق متبادل، أنا فضلت كل السنين اللي فاتت أوهم نفسي إنك بتحبني وبتشاق لي لكن الحقيقة إنت قلتها من زمان وبتقولها بأفعالك من يوم جوازنا، أنا مبقاش عندي أي مشاعر تجاهك غير كونك أبو بناتي، فأنا حاستمر معاك زوجة بس قدام الناس وأم لبناتك، ولو عايز تتجوز زوجة ثانية أنا معنديش مانع؛ لأنني بأدور دلوقتي بس على مصلحة بناتي، وده حقك اللي ربنا آذاهولك، فشوف إنت عايز إيه واعمل اللي إنت عايزه..

نظر لها حسين مندهشاً من تغير حالها للنقيض تماماً فأين ذهبت مشاعرها الجياشة ورومانسيتها الحالمة، كيف حطت هكذا على أرض الواقع وبهذه السرعة الفائقة، فلم تمض غير ساعتين فقط بعد أن قالت إنها ستفكر وتقرر ما تريد! فقال لها: إيه السرعة دي، إنتِ لحقتي تفكري وتقرري كمان! وفين مشاعرك ورومانسيتك يا أمال، فجأة كده اتبحروا.

نظرت له حانقة على لهجته الساخرة، وقالت: أرجوك يا حسين متحولش الموقف لتريقة خلينا ننهي الأمر باحترام و...

فقاطعها: أنا مش بأتريق، أنا مستغرب جداً من سرعة تغيير موقفك وقرارك ده، وكمان بتعرضي عليا إني أتجوز طيب ما تخطيلي إنت، عندك عروسة؟! - برضه بتقلب الموقف لتريقة وبتسفه الموضوع، أنا مجتش أتكلم معاك إلا لما اتكشفت لي كل اللي جوايا؛ لأن مبقاش عندي حاجة أديها لك، ومش محتاجة وقت خالص أعرف أنا عايزة إيه، لو عليا كنت طلبت الانفصال لكن بناتي مش حيتحملوا القرار ده وهماً أعلى شيء عندي، أعلى حتى من نفسي؛ فأرجوك كفاية بقى استهانة بكلامي، وخذ.....

صاح وقد علت سخريته وعلا صوته، وبكلمات سريعة الطلقات من فرط انفعاله قال: إزاي أستهين بكلام أمال حلمي، الكاتبة العالمية واللي كنت أنا السبب في شهرتها، لولايا مكنتيش بقيتي أمال حلمي، مش ده اللي كنت بتقوليه لياً دائماً؟! فجأة كده بقيت أنا مشكلة حياتك وسبب تعاستك وبتضحني بنفسك عشان بناتك!.

- أنا باقولك الحقيقة، عايزني أعيش معاك باخدعك!، ومسمحلكش
تعلّي صوتك عليّا كده!

فارتفع صوته أكثر، وهو يخرج كل ما في جعبته: إنتِ فاكرة نفسك
مين عشان تكلمي حسين سلطان السويفي بالعنجهية دي!، وتديني أوامر
وتوجيهات، وتسمحي ومتسمحيش، وأبقى مجرد زوج شرفي لحضرتك قدام
الناس، وتديني الإذن أروح أتجوز ولولا البنات كنت طلبت الطلاق، يا سلام..
كتر خيرك إنك مضحية بنفسك كده، يا ست يا كاتبة يا مشهورة فوقى بقى من
أوهامك كلها، أنا متجوز بالفعل من عشر سنين وعندي ولدين حيشيلوا اسم
أبوهم حسين سلطان السويفي واسم جدهم وعيلته، خليكي إنتِ هنا بقى مع
البنات كملتي دورك الرومانسي معاهم، وأنا لما يجيلي مزاج أطلقك حاطلقك!
وسحب حقيته حاملاً إياها بعصية شديدة، وفتح باب الحجرة وصنعه
بقوة مغلقاً إياه.. و"أمال" واقفة مذهولة فاقدة القدرة على النطق والحركة، فقد
نزلت عليها المفاجأة كالصاعقة فجمدتها في مكانها، وتوقف تنفسها فشهقت
شهقة بعد أن كادت تسقط مغشياً عليها.. وتجمعت الدموع وانهمرت وهي
تشهق شهقات متوالية كأنها تبحث عن الأكسجين لكي تنفس، ووضعت
يداً على صدرها تحاول أن تهدئ من تنفسها المضطرب، ويدها الأخرى
على فمها لتكتم شهقاتها حتى لا تسمعها بناتها، ولكنها وجدت الباب يفتح
وتدخل أم محمد مسرعة وتعلقه وراءها وهي تصرخ بصوت مكتوم: فيه إيه يا
أمال؟ حصل إيه؟ مالك يا حبيبتى، فيكي إيه يا ضنايا؟!

لكن "أمال" لم تستطع الرد ولم تستطع أن توقف شهقاتها الباحثة عن الهواء فدارت بها الغرفة، ودار معها الحوار الذي سمعته من رجل يبدو أنها تعرفه فهل هذا يعقل، من هذا الرجل، وماذا يقول؟!!

ولم تستطع تحمل ما حدث وسقطت على الأرض، لكنها كانت بين الصحوة والإغماء التام فهي مغمضة العينين لا تستطيع أن تفتحهما لكنها تسمع ما يدور حولها، فسمعت صرخة أم محمد وهي تردد اسم الله يا بتي، وهي تسندها كي لا تؤذيها سقطتها على الأرض، وسمعت أصوات بناتها اللاتي أسرعن لغرفة أمهن بعد أن سمعن صرخة أم محمد، وبدأن البكاء وهن يسألن أم محمد عن ما ألم بأمهن!، وماذا حدث وأين والدهن! وأسرعت "سلسيل" بإحضار زجاجة عطر لإفاقة والدتها، وأخذت تدلك جبهتها وتربت على خدها براحة يدها كي تستعيد وعيها، وذهبت "سندس" لإحضار بعض الماء و"جدة" تمسك بيد أمها، وتبكي منتحبة وهي تردد: ماما حبيبي، فوقي، ماما..

وأخذت أم محمد تضع العطر على أنفها، وتمسح وجهها بالماء وتحلّقن حولها وهن يبكين، ويطالبنها بأن تستفيق وهي تسمعهن ولا تستطيع أن ترد، ولكنها بعد لحظات فتحت عينيها فوجدت هذه الوجوه المحبة الباكية فتمتمت أخيراً بصوت واهن يكاد لا يُسمع: متخافوش، أنا بخير، الحمد لله.

فبادرتها أم محمد بكوب الماء: اشربي حبيبي، اشربي حبة مية عشان

تفوقي.

فشربت وهي مستندة على يد أم محمد قليلاً من الماء، ثم اعتدلت من رقدتها وجلست على الأرض وهي تحاول أن تستوعب ما حدث، وكأنها في حلم وكأنها تسترجع مشهداً من فيلم لكن هي بطلته! لم تستطع أن تمنع انهماك دموعها ولا أن ترد على سؤال بناتها الباكي عما حدث، كل ما استطاعت أن تقوله بصوت أعلى قليلاً أنها بخير..

استندت "أمال" على أم محمد وابنتها "سلسيل" وهي تقف، وذهبتا بها إلى الفراش، فاستلقت وطلبت من البنات الانصراف لغرفتهن ووعدهن أن تقول لهما في المساء ماذا حدث بعد أن تهدأ قليلاً وتنام؛ لأنها لا تستطيع الكلام.

أظلمت أم محمد الغرفة لها وأسدلت الستائر كي تستطيع أن تنام، وصرفت البنات بعد إلحاح وممانعة منهن، وأغلقت الباب وجلست على الأرض بجوار فراشها وأمسكت يدها وهي تقول لها: اهدي يا حبيبي ونامي ومتفكريش، ربنا يفرج كربك يارب.

وأخذت ترقبها وتقرأ المعوذات وتمسح دموعها بيدها، وبدأت "أمال" تستعيد انتظام تنفسها وهدوءه، وهي تردد بصوت خافت.. يارب، يارب.

وأم محمد جالسة ولسانها يلهج بذكر الله والدعاء والرقية، و"أمال" تعيد في ذهنها ما حدث فتستمر دموعها في الانهماك وهي تلوم نفسها، عشر سنوات وأنت لاهية لم تحس بتغير زوجك وأحواله، عشر سنوات من الكذب والخداع وادعاء الانشغال وحرمان البنات من حقهن في وجود الأب وصحبتهن ومتابعة حياتهن، عشر سنوات أنجب فيهم ولدين وأخفى

أمرهما عنها وعن بناته، فلهن إخوة لا يعلمن عنهما شيئاً، كيف استطاع أن يفعل هذا ولماذا؟! هل نشأته وجذوره الصعيدية التي تفتخر بالبنين وتقلل من شأن البنات هي الغالبة على هذا المهندس المرموق المتعلم في أرقى الجامعات والذي جاب العالم!، أيعقل أن يظل بهذه العقلية الجاهلية ويعاملها كأنها متاع ويعامل بناته كأنهن عار؛ فيتزوج فقط لإنجاب البنين؟! عشر سنوات أي بعد وفاة والدها مباشرة تزوج!، فوالدها هو من كان يعمل له حساب وبوفاته أصبح الأمر سهلاً عليه، وانهمرت دموعها ساخنة ملتاعة.. لم تشعر "أمال" وهذه الأفكار تموج في رأسها بالغيرة من الزوجة الثانية، ولم تتذكرها ولم تسأل من هي، ولا ما شكلها ولا أي شيء يجعلها تشعر بالغيرة بل كل تفكيرها كان في صدمتها في هذا الرجل وما فعله بها وبناتها!

لم تستطع النوم؛ فطلبت من أم محمد أن تساعدتها على الجلوس وفتح الستائر، وهي تشعر بتقلصات شديدة في معدتها لم تستطع مع الجلوس تحملها، وبدأت بالتأوه وأحست برغبة في التقيؤ فطلبت من أم محمد أن تحضر لها إناءً بسرعة كي تفرغ فيه ما في معدتها.

مرت ساعة و"أمال" في حالة يرثى لها من التقلصات والتقيؤ حتى خارت قواها، فلم يتبقَّ أي سوائل في معدتها، وما زالت التقلصات المؤلمة مستمرة فأسرعت "سندس" تتصل بتهاني لكي تحضر وتساعدهم بعد أن اتصلت بوالدها، ووجدت هاتفه مغلقاً!

حاولت "سلسبيل" إسعاف والدتها وإعطاءها بعض المسكنات الموجودة لديهن في المنزل، لكن "أمال" معدتها كانت تتقلص بشدة وتلفظ أي سوائل تناولتها، كان لابد أن تذهب للمستشفى فلم تفلح محاولاتها في إيقاف هذا القيء.

جاءت "تهاني" مع زوجها، ولما رأت "أمال" في هذه الحالة وافقت "سلسبيل" أن الأمر يحتاج نقلها لأقرب مستشفى؛ لكي يوقفوا لها التقلصات والتقيؤ، فقد تحول الألم لصراخ من التلوي، وساعدت "سلسبيل" وأم محمد "أمال" في ارتداء ملابسها وذهبتا معها في سيارة زوج "تهاني" بعد أن طلبت "سلسبيل" من أختيها الانتظار ومواصلة الاتصال بالدهن حتى يرد، وسألت "تهاني" أم محمد عما حدث فأخبرتها - وهي تسمع "أمال" - ، أنها أحست بالمرض والتقلصات، ثم تطور الأمر لهذه الحالة دون سبب!

شخصت حالة "أمال" بأنها قيء مستعصي لا إرادي نتيجة تقلصات المعدة الفارغة، استطاعوا في المستشفى إيقاف الأعراض المؤلمة بالأدوية الوريدية والمسكنات؛ فهدأت بعد فترة وزالت التقلصات المؤلمة، ولكنها ستظل تحت الملاحظة يوماً آخر قبل أن يسمحوا لها بالمغادرة.

اطمأنت "سلسبيل" على حالة والدتها، وتحدثت مع الأطباء معرفة إياهم أنها طالبة في السنة النهائية في كلية الطب فتحدثوا معها بمصطلحاتهم الطبية أن الأمر بسيط وأنه مجرد تقلصات عصبية للمعدة نتيجة القيء

المستمر؛ فاقتربت من أمها مقبلة إياها وطمأنتها على حالتها، وطلبت منها "أمال" بصوت واهن أن تعود لأختيها، ولا تتركهما بمفردهما أكثر من ذلك، فانصرفت مع "تهاني" عائدة للبيت لتمضي الليل مع أختيها بعد أن تركت أم محمد معها لمرافقتها حتى تعود لها في الصباح الباكر.

سألتها "تهاني" في طريق العودة عن والدها، فأجابتها أن هاتفه مغلق، ولم تستطع الاتصال به، فبدأت "تهاني" تشك في الأمر، وأن وراء حالة "أمال" مشكلة كبيرة معه، لكنها لم تبدِ شكوكها واكتفت بالدعاء لبنت خالتها أن تقوم بالسلامة.

في صباح اليوم التالي استردت "أمال" بعض عافيتها، لكنها كانت تشعر بالوهن الشديد، ولما علمت أن زوجها لا يزال مغلقاً لهاتفه قررت أن تقاوم ضعفها هذا، وتستجمع قوتها لمواجهة الواقع المرير، فحياتها وحياة بناتها لن تتوقف من أجل أحد، ولن تنهار ولن تسمح له أن يسلبها بقية عمرها فيكفي ما أخذه، ولن تترك بناتها يعانين غيابها أكثر من ذلك، كانت هذه التحفيزات بمثابة إكسير حياة دب في أوصال "أمال" وهي تطلب من أم محمد مساعدتها على النهوض وارتداء ملابسها للانصراف وركوب سيارة أجرة وعدم انتظار "تهاني" لتوصيلها للمنزل كما اتفقت معها بالأمس وبعد أن اتصلت أم محمد بسلسيل مخبرة إياها أنهما في طريقهما للمنزل حتى لا تأتي.

مخرج جانبي

دخلت "أمال" بيتها وهي ما زالت واهنة، لكنها متماسكة واستقبلتها بناتها بكل الحب واللهفة، وتسايقن لمساعدتها في الوصول إلى غرفتها، ولكنها رفضت أن تنام على الفراش وتوجهت إلى مقعدها الوثير بركن الغرفة وطمئنتهم من خلال ابتسامة حانية شاحبة:

- أنا بخير يا بنات، الحمد لله، عشان تطمنوا، حصل خلاف بسيط بيني وبين بابا وكنت حاسة إن داخل عليًا دور برد، فده مع ده معدتي زي ما انتوا عارفين حساسة ومستحملتش، وأنا لما بأرّجّع مش باعرف أتحكم في نفسي، معلش حبابي خضيتكم عليًا.

بعيون دامعة احتضنت البنات أمهن، وهن يعلمن أنها تخفي عنهن الكثير لكن تظاهرن بتصديق تبريرها لما حدث حتى لا يثقلن عليها، وبعد فترة تركنها لترتاح بعد أن أعطت لها "سلسبيل" الدواء الذي وصفه الطبيب واطمأنت على ثبات حرارتها واعتدال الضغط رغم انخفاضه عن معدله الطبيعي، وبقيت معها أم محمد تجلس تحت قدميها ممسكة بيدها وتنظر لها بنظرة قرأتها "أمال" على الفور، فقالت: حاقولك اللي حصل يا سعيدة، عارفة إنك مش مصدقة اللي قلته لكن أنا عايزة أحافظ على صورة أبوهم قدامهم، وحكت "أمال" لأم محمد ما حدث، وهي تقاوم بشدة دموعها التي تتسابق لتقفز من مقلتيها.

.. يا حبيبي يا بنتي، رددت أم محمد بعد سماعها ما حدث، لكنها أردفت بقولها: أمال، إنت عارفة إني لا يمكن أقولك إلا الصدق، فاللي حصل ده مش غلطة الباشمهندس لوحده، إنت عايشة معاه بقالك ٢٥ سنة، وهو هو ميبتغيرش، وكمان مع الوقت كان بيبعد عنك وعن البيت أكثر وأكثر، وأوقات كنت أدخل أحطلكم الشاي أو القهوة ألاقه مش بيتكلم معاكي، وبيقرا الجورنال بالساعات وسايك، مكنتش باسمعكم بتتكلموا إلا في النادر وكونه اتجوز عشان يخلف الصبيان ده حقه، لكن اللي مش من حقه إنه يخبي عليك، في الصعيد الولد وتد لأبوه، زمانهم كلوا وشه على خلفته للبنات، متزعلش مني همًا الصعايدة والفلاحين كده، الولد هو اللي حيشيل اسم أبوه والعيلة ويورث أملاكهم ومترحش لحد غريب، والمتعلم هناك زي اللي مش متعلم، كله إلا الولد.

ترد أمال بانفعال: هو أنا اللي باتحكّم إذا كنت أخلف ولد ولا بنت، ده رزق ربنا محدش له دخل فيه "يهب لمن يشاء إنأثا ويهب لمن يشاء الذكور" ده كلام ربنا، وكمان العلم أثبت إن الراجل هو المسئول عن نوع المولود، ربنا حط المسئولية دي في تكوينه عشان يفهم وميظلمش الست ولا بناتها، وهو متعلم وكنت فاكراه فاهم ده، يعني هو من حقه يتجوز ويخلف ويعيش وأنا مش من حقي أختار أكمل معاه واللا لأ! هو من حقه كرجل يعمل اللي هو عايزه وأنا معرفش، وأتعامل زي البهيمه كده!

- لا مش من حقه ميقولكيش، لكن من حقه يتجوز لأي سبب ويعدل بينكم، لكن لا هو عدل بينكم ولا خيرك، ولا عمل زي ما ربنا قال، فأنت لك كل الحق في أي حل تشوفيه.

- البنات يا أم محمد حاقولهم إيه لما يعرفوا إن أبوهم مستقل بيهم ويفرق بينهم وبين أخواتهم.....

وانعقد لسانها لحظة، ورددت.. إخوانهم!! الخبر ده لوحده كارثة تانية إن لهم إخوان ميعرفوش عنهم حاجة، البنات متعلمين تعليم غربي وأفكارهم كلها غربية، عارفة إن ده غلط، لكن ده اللي حصل والمتاح عشان تغيري لهم عقليتهم ويقبلوا الفكرة أصلاً لازم تغيري نظام البلد كلها وفكرها! وده شبه مستحيل، دول ممكن يرفضوا تماماً والدهم ويقاطعوه، وأنا مش عارفة أعمل إيه عشان متحصلش لهم الصدمة دي!

قالت لها أم محمد وهي مشفقة عليها من تصارع كل هذه الأحداث مرة واحدة: بالراحة على نفسك يا أمال، ماهو لازم تقعدي معاه وتكلميه وتتفاهموا وتتفقوا حتوصلوا الكلام ده للبنات إزاي، وحتكملوا مع بعض إزاي، ربنا يلهمك الصواب يارب.

ردت أمال بتهكم: نكمل مع بعض!! مفيش مع بعض خلاص، أنا معترفة بأخطائي كلها وبأني كنت عايشة في دنيا موازية ملهاش أي علاقة بالواقع، لكن مينفعش نصحح شيء من الأصل غلط واستمراره كان غلط، كان غلط مني قبل أي حد، وكنت كمان عايزة أكملها بغلطة أكبر!

"جنة" اللي لسه طفلة كانت بتقولي إنها اتعقدت من الجواز؛ لأن كل النماذج حوالها مش سعيدة وكلها مشاكل، مشافتش في حياتنا نموذج كويس، أنا جنيت عليهم وأنا فاكرة إني بأحافظ عليهم وعلى استقرارهم النفسي..

ربتت أم محمد على يد أمال وقالت: بالراحة على نفسك يا أمال، إنت لسه تعبانة، إنت اقعدني مع الباشمهندس وبالراحة شوفي اللي يرضيكي واعمليه.

- أنا اللي يهمني دلوقتي همّا البنات، وتخفيف الصدمة عليهم، ولازم يكون فراق بالمعروف، أنا لا يمكن أنتصر لنفسي وبس، أو أعاديه عشان أتشفى فيه، هو بس يفتح الموبايل ويعبرنا، وحاطب منه نقعد بما يرضي الله.

- حاسيبك ترتاحي وارجعلك كمان شوية أعملك حاجة تشربها؟
سألته أم محمد قبل أن تغادر الغرفة..

- شكراً يا سعيدة، شوفي البنات عاملين إيه.

- حاضر، وكمان زمان الست تهاني حتر وحلك المستشفى لما أروح أكلمها وأقولها إننا في البيت.

تركتها أم محمد، وبعد لحظات سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ورأت "سلسيل" ابنتها الكبرى تفتح بهدوء شديد الباب لتنظر هل هي مستيقظة أم لا، فسمحت لها بالدخول: تعالي حبيبتي.

أغلقت "سلسيل" الباب وراءها بنفس الهدوء، وتوجهت إليها وأمسكت براحة يدها وقبلتها، ثم جلست تحت قدمي أمها كما كانت تجلس أم محمد

منذ قليل، وقالت لها بحنان وبلهجة جادة في نفس الوقت: ماما، إحنا مبقناش صغيرين تضحكي علينا بكلام مش صحيح عشان منزعلش، أنا واخواتي متأكدين إنه حصل بينك وبين بابا حاجة كبيرة، وأنا بالذات واخدة بالي من حاجات كثير من زمان، لكن مكنتش بحب اقولك ولا كان عاجبني أبداً طريقة تعاملك مع بابا. ردت أمال مندهشة: طريقتي أنا!، ليه، هو أنا كنت بأعامله وحش؟!!

- لأ بالعكس خالص، إنتِ كنت بتعامليه معاملة مستحقهاش!
قاطعتها أمال محتدة عليها: اتكلمي عن بابا كويس، عيب كده يا دكتورة. فردت سلسبيل بهدوء: ماما، أنا مقولتس حاجة وحشة عن بابا، أنا بأقول معاملة مستحقهاش؛ لأنه مكانش بيعاملك زي ما إنتِ بتعامليه، ولا ببيادلك مشاعرك ولا اهتماماتك، ولا بيبقى عايز يروح معاكي أو معانا أي فسحة أو مشوار أو سفر، ودايمًا رامي الحمل عليكى تفسحينا وتجيلنا الهدايا، وهو مجرد يدفع الفلوس، حضرتك متخيلة إننا مش حاسين بده! هو بابا حبيبي وباحترمه، لكن ده لو جوزي كنت فكيت منه وقلبتة من زمان.

- فكيت وقلبتة!!! يا سلسبيل إيه اللغة دي؟

- يا ماما معلش دي لغة أسهل من إنني أقول أطلب الطلاق أو الانفصال، مدققيش ده كلام الجيل بتاعنا.. المهم، قوليلي إيه اللي حصل ومتخافيش سرك في بير، ومش حاقول لسندس ولا جنة، ماما أنا خلاص حاكمل ٢١ سنة يعني كبرت وحابلغ سن الرشد، وبعدين لو قولتيلي حاقولك أنا كمان سر كنت مستنية أعلنه في الوقت المناسب، بس حصرياً بقى حاقولهولك يا جميل.

ابتسمت "أمال" متعجبة من منطق ابنتها، ومحاولاتها أن تعرف منها ما تخاف أن يسبب لهن الصدمة، فصدمتها هي بإلمامها بكل ما يحدث لها مع والدها، وكانت تظن أن لا أحد يلاحظ، لكن اكتشفت أن الكل يلاحظ ما عدا هي! فردت عليها من خلال ابتسامة واهنة: سر إيه اللي مخبياه عليًا!، فيه حد في حياتك يا سلسيل؟

- حد إيه يا ماما وتلات إيه!، أنا مش بافكر في الحب والكلام ده، أنا عايزة أكوّن نفسي صح الأول، وبعدين متحاوليش.. أنا مش حاقول إلا لما تقولي إنت الأول.

صمتت "أمال" قليلاً لتختار كلماتها، وهي تسأل نفسها أي جزء من الحقيقة تقول لتمهد للأمر كله، فقالت وهي تراقب انفعالات وجه ابنتها: بابا رفض إنني أروح معاه بني سويف، ومش عايزني هناك خالص.

ساد الصمت لبرهة، فسألتها ابنتها متعجبة: ها، وبعدين؟

- وبعدين إيه!.. هو كده مش كفاية؟

- لأ مش كفاية، لأنني توقعت إن ده يكون رد بابا طبعًا، ده بيقتضي اليومين هنا بالعافية، ماما، إنتِ خنقتيه.

- خنقته إزاي يعني!؟

- الاهتمام الزيادة والحب الزيادة بيخنق الطرف المقصر واللي حاسس دايماً إنه معندوش كمية الحب والاهتمام ده، بابا مبيتكلمش كلمتين على بعضهم،

وانتِ شغلتنك الكلام والكتابة، بتكتبي له شعر وحكايات وهو مفيش خالص، فلازم يتخفق، اللي مستغربة له جدًّا يا ماما إنك حساسة جدًّا إزاي ملاحظيش ده!
- مين قالك إني ملاحظتش، ملاحظة طبعًا لكن كنت بأعالج الأمر بمزيد من الخنقة!!، وتجمعت الدموع في عينيها.

- ماما متزعليش مني حبييتي، مش قصدي والله أحملك فوق اللي إنتِ فيه، أنا جاية أخفف عنك، وأقولك إنا حاسين بيكي وإنك متخافيش علينا، إحنا مش بسكويت حيثكسر يا ماما، اللي خلاكي تتحملي كل مشاعرك المتضاربة علشاننا فإحنا كمان نقدر نتحمل، تعرفي يا ماما إنا إحنا كمان اتحملنا بابا كتير!

تسألها أمال في شفقة: إزاي؟!

- بابا بيعاملنا بجفاء واضح ويبرد على حينا بنفس الإهمال لك ولمشاعرك، كنا حاسين خصوصًا أنا وسندس إنه كان نفسه نكون صبيان مش بنات، وإحنا صغيرين كنا بنشوف معاملته الحلوة جدًّا لأولاد أونكل حسن أخوه أو لأولاد طنط تهاني، رغم إنهم عفاريت!، لكن كان يلعب معاهم ويعاكسهم وعمره ما عمل معانا كده! حاسينا ده وهو بيسأل عن مصاريف المدرسة اللي بتزيد كل سنة ويقول وفي الآخر حتتجوزا وتقعدوا في بيت اجوازكم! مشافش فينا أمل ولا حلم ممكن يتحقق، ولا إنا نقدر نشرفه قدام الناس، ورغم تفوقنا ودخولنا أحسن الكليات برضه دايماً محسّسنا إن ده مش كفاية، هو كان عايز صبيان مش بنات يا بوي.

أنهت "سلسيل" جملتها مازحة بلهجة صعيدية تؤكد بها على فكر والدها وعائلته، ابتسمت "أمال" ابتسامة حزينة؛ لأنها تعلم أن هذا بالفعل هو ما يفعله زوجها.

وأكملت سلسيل وهي متحمسة: لكن اللي ميعرفوش بابا واللي حاقول بيه السر اللي كنت مخبياه لوقته، إني بأراسل جامعة هارفارد وحاكمل فيها بعد تخرجي كمنحة؛ لأنني بأقدم لهم أبحاث محدش قدمها غيري ويهمهم إني أكون في المستقبل واحدة من أعضاء التدريس، وده حيحصل إن شاء الله، متهيألي يمكن وقتها يحس إني مشرفاه ورافعه اسمه بلقب الدكتورة سلسيل حسين سلطان السويفي المحاضرة بجامعة هارفارد.

- كل ده بيحصل ومتقوليش ليا حاجة يا سلسيل، دا أنا مغيبة حتى عن بناتي، وياترى اخواتك مخبيين عني إيه كمان؟!!

- يا ماما، أنا كنت باعمل محاولات ومكتتش عارفة إني حانجح فيها، وحتى المؤتمرات والندوات اللي كنت دايمًا أحضرها لهم هنا كانت جزء من المحاولات دي؛ لأنني كنت بأقدم لهم تقارير واقتراحات معرفش إذا كانت تثير اهتمامهم واللا لأ، لكن الحمد لله مجهودي جه بفايدة في النهاية، وأديني قولتلك أهو، اخواتي مش بيعملوا حاجة غلط وبناتك يشرفوكي يا أمولة متخافيش علينا، المهم إنت، لازم ياماما عملي اللي يسعدك ومتفكريش فينا، فلو خلافك مع بابا وصل لطريق مسدود، خدي يوتيرن واطلعي من أي مخرج جانبي.

- على أساس إني عربية يعني!.

وابتسمت "أمال" رغم مرارة ما تشعر به ودهشتها من كلام ابنتها الغير متوقع، فقررت أن تقول جزءاً آخر من الحقيقة: فعلاً وصلت مع بابا لطريق مسدود؛ لأنني اكتشفت إنه متجاوز من عشر سنين في بني سويف.

ساد الصمت وأحست "أمال" بعد صمت ابنتها أنها تسرعت في قول هذا الجزء، فقالت نادمة من البوح بهذا الأمر: صدمتك أنا معلش حبيتي.

- لأ يا ماما مصدمتنيش، أنا بس مش لاقية كلام أقوله، أنا لولا تأكدي إن فيه رجالة كويسة وتعرف تعامل الستات كويس كنت علّمت على الصنف ده كله؛ لأن معظمهم أنانيين، ومش يفكروا غير في نفسهم!

وأعقت، من عشر سنين يا ماما!، عشر سنين!

- أيوه يا سلسبيل، عشر سنين!

فقالت سلسبيل وهي تنظر لأمها بحزن وشفقة عليها، وغضب من والدها: وحضرتك لسه بتفكري!! هي دي عايزة تفكير، أنا لو جوزي عمل معايا كده مستناش معاه يوم واحد، ليه يكذب عليّا ويخدعني؟!!

- لأ أنا مش بأفكر، أنا قررت خلاص زي ما وصفتيه كده حآخذ يو تيرن، خلاص الطريق ده بمقاش طريقي.

انسابت دموع سلسبيل وقالت: معلش يا ماما، إنتِ دايمًا كنت بتقوليلنا إن ربنا بيقلل باب ويفتح الثاني، الحياة مش طريق واحد، ولازم وحتّمًا

نمشيه، ولو لقيناه مسدود نهار وتنتهي حياتنا، لأ، قدامنا خيارات كثير وطرق جديدة لازم نجربها عشان نحس بطعم الحياة ومانموتش من الملل والقهر.

- صح يا سلسيل، صح، ربنا يبصرني بالطريق الصح يارب.

سمعت "أمال" طرقاً سريعاً على الباب، ودخلت "سندس" تحمل هاتفها المحمول وهي تنظر لهما وترى "سلسيل" وهي تجفف دموعها، ولكنها تكتم فضولها، وتقول مترقبة ردة فعل أمها: بابا عايز يكلمك ياماما.

أخذت منها الهاتف، وطلبت من بنيتها تركها بمفردها وإغلاق الباب، وتقوم "سلسيل" مع أختها التي تهمس لها تسألها عن سبب دموعها، وماذا حدث، ولكن "سلسيل" تشدها لتسير معها وتخرج من غرفة أمها وتغلق الباب، وترد "أمال" على زوجها، وجاء صوته هادئاً يسألها عن صحتها وعن حالتها بعد أن أرسلت له "سندس" رسالة تقول له ما حدث لأمها، ويعتذر أنه انفعّل عليها بهذا الشكل، وأخبرها هذا الخبر دون تمهيد، ويطلب منها أن يتحدثاً بعد أن تسترد صحتها!

وهي تستمع صامتة وأنهات المكالمة بقولها: إن شاء الله.

وأغلق الخط وأغلق معه آخر ثقب مضيئ في جدار الأمل فيه، فقد كانت تتصور أنه فور علمه بمرضها سيأتي، ليس حتى من أجلها بل من أجل مساندة بناته، لكنه كالعادة وأد ظنها الحسن فيه!

جاءت "تهاني" لزيارة "أمال" والاطمئنان عليها، ومحاولة معرفة ما حدث، لكن كانت "أمال" استنفذت كل طاقتها بحديثها مع أم محمد و"سلسيل"

فرجتها أن ترجى الكلام ليوم آخر، وبعد زيارة قصيرة تركتها لترتاح، وقد عزمت على معرفة الأمر وإصلاحه بسؤال زوج "أمال" عما حدث..

طلبت "أمال" من ابنتها "سلسيل" أن تدخل على صفحتها وتعتذر لصديقاتها عن لقائها اليومي بهن لمرضها، وبعد هذا الاعتذار توالى المكالمات منهن للسؤال عنها حتى "منيرة" اتصلت بها من أمريكا للاطمئنان، و"سلسيل" ترد عن أمها أنها بخير وسوف تتواصل معهن عندما تشعر بتحسن.

مرت الأيام ثقلاً على "أمال" وهي تحاول استرداد قوتها ورغبتها في التواصل مع العالم الخارجي، ولكن لم يكن لها رغبة في ذلك، فأخذت تؤجل ذلك يوماً بعد يوم مستغرقة معظم اليوم في النوم، كانت تقوم للصلاة ثم تنام بعدها وتتناول أقل قدر من الطعام تحت إلهام بناتها وأم محمد التي فشلت أن تقنعها بترك غرفة نومها والجلوس في غرفة المعيشة، وجاءتها "تهاني" مصرّة أن توقظها، فقد طالت رقدتها واستسلامها لهذا الكسل والإحباط.

دخلت عليها "تهاني" بطريقتها المعتادة وصوتها العالي صائحة: قومي يا أمال، متستخيش مني كفاية نوم، قومي، أنا عرفت كل حاجة.. ده راجل ناقص ميستا هلهش ضفرك، يتجوز ويخلف كمان!..

قامت "أمال" فرعة من صوتها العالي وجهرها بكل الحقيقة المخفاة عن بناتها، وقالت بانفعال وغضب: هشششش، وطى صوتك يا تهاني، هو فيه إيه!، أنا عايزة أقعد لوحدي، وبعدين متكلميش كده خالص عن أبوهم، ده حيفضل طول عمرهم أبوهم، ومسمحش لأي حد يهينه أو يتكلم عليه كده.

- إنتِ لسه بتحبيه وباقيه عليه بعد اللي عمله معاكي!

بادرتها أمان وآثار النوم والغضب ما زالا على وجهها وصوتها: إنتِ اللي بتقولي كده يا تهاني!! حسين اتجوز معملش حاجة حرام، وكونه خبي عليا ده هو السبب اللي وصلنا لطريق مسدود مع بعض، وخلاص كل واحد يروح لحاله بالمعروف، من غير غلط ولا إهانة، إحنا بينا عشرة عمر وبيننا بنات لازم نراعي مصلحتهم فأرجوكي، أرجوكي اتكلمي عنه كويس، أنا عارفة إنك زعلانة عليا لكن غلط وتجاوز، لأ يا تهاني.

- لولا إني عذراكي كنت زعلت منك على طريقتك في الكلام معايا كده يا أمان، أنا خايفة عليك، لكن زي ما إنتِ عايزة، أنا حامشي دلوقت وحاطمن عليك بالتليفون.

وانصرفت وقد احمر وجهها من صد "أمان" لها.

- أم محمد... سعيدة. صاحت "أمان" بصوت غاضب.

وجاءتها أم محمد مهرولة فسألتها: ليه سمحتي لتهاني تدخل عليا كده من غير إذن؟

- معلش حبيتي معرفتش أصداها أو أمنعها، أنا لسه بأقولها دي نايمة راحت واخدة في وشها وداخلة عليك، وقالت سيبيهاالي أنا حاصحها وأفوقها، فقلت هتضحكك بطريقتها، لكن معرفش إنها حتضايكك كده، حقك عليا.

هدأ الغضب عن أمال وقالت لها: مفيش داعي يا أم محمد، حقت إنت عليا، إنني عليت صوتي كده، بس هي نرفزني جداً أنا عارفة إنها بتحاول تفوقني لكن أنا متعودتش حد يدخل عليا أوضة نومي كده من غير إذن، خلاص حصل خير، أنا حاقوم أصلي وأرجع أنا، وأرجو كي محدش يصحيني.

- من غير ما تأكلي لقمة عشان تأخدي الدواء؟

أجابتها في استسلام: هاتي أي بسكويت آخده قبل الدواء يا سعيدة.

- حاضر، همت أم محمد بالانصراف، ثم توقفت وهي مترددة،

فلاحظت أمال أنها تريد قول شيء فبادرتها: فيه حاجة عايزة تقوليها؟

- الباشمهندس حسين اتصل وإنّ نايمة، ويقول إنه جاي بكره

الضهر.

لم تعقب "أمال" وتوجهت إلى الحمام لتتوضأ للصلاة.

بالمعروف

صبيحة يوم وصول زوجها لم تكمل "أمال" نومها بعد اسيقاظها فجراً كما كانت تفعل منذ مرضت، بل ظلت مستيقظة وكانت فرصة أن تدخل على صفحتها؛ فوجدت سيلاً من الرسائل والمنشورات التي تسأل عليها، وتتمنى لها الشفاء، ودخلت على صفحة جروب الكتاب فوجدت النونز تحدثن عن مرضها وطول غيابها، وشكهن أن هناك أمراً جليلاً يفوق المرض، ودعاءهن لها بحب وافتقاد لوجودها؛ فكتبت لهن مطمئنهن عليها، وأنها تمر بظروف صعبة تحتاج دعواتهن، وأنها حين تجد في نفسها القدرة على التواصل معهن ستفعل، واعتذرت لتوقف العمل في الكتاب لكنها نوهت أنها قرأت قصة "صفاء" وعندما تعود ستطرحها للنقاش لتكملة ما بدأنه معاً، وخرجت مسرعة قبل أن ينتبه أحد لوجودها، وأغلقت صفحتها وفتحت صفحة جديدة لتكتب، ولكنها ظلت تنظر إلى الصفحة البيضاء والمؤشر الأسود النابض الذي يدعوها لتكتب لكنها لم تستطع أن تكتب حرفاً!

كانت تريد الهروب من هجوم الذكريات المؤلمة عليها، وآه من الذكريات وما تفعله بنا!، فأحياناً سماع كلمة، أو شم رائحة محببة، أو ارتداء ثوب له ذكرى، أو رؤية شخص ما، أو مكان ما، أو سماع موسيقى، أو أغنية بعينها،

يكون ذلك هو كلمة السر المشفرة التي تفتح خزائن ذكرياتنا المملأى فتفيض منها، فتتعجب لماذا الآن، وما ارتباط هذه الذكرى بهذه الأشياء التي تستدعيها من غياهب العمر، وكيف نتذكر كل هذه التفاصيل البعيدة كأنها مستنسخة في أعماقنا رغم أننا قد ننسى أشياءً فعلناها بالأمس القريب؟! مرت في ذاكرة "أمال" أكثر من ذكرى طففت بعد سنين غمرها في أعماقها لأنها كانت تريد نسيانها، لكنها الآن تتذكر تفاصيلها فهي ما زالت حية لم تمت!

تذكرت يوم ولادة ابنتها الصغرى "جنة" وهي متدثرة بالغطاء الأبيض ووجهها كالقمر المنير المشرب بالحمرة بشعرها الذهبي، وهي تنظر لها بعين واسعة على غير عادة الأطفال حديثي الولادة، وهم يخبرونها أنها بنت، فتحمد الله وتبتسم لها في سعادة غامرة، ثم تنظر لزوجها ليشاطرها السعادة والفرحة بهذه المولودة الجميلة، فتجد وجهه مسوداً متجهماً محبطاً؛ لأنها ليست ذكراً؛ فيرفض حملها بدعوى أنها صغيرة ويخرج من الغرفة دون أن يبارك لها سلامتها، لم تعاتبه بعدها، ولم تسأله عن سلوكه المغاير لما يبديه من تحضر وإيمان بالله!

كانت تلك هي المرة الأخيرة التي أنجبت فيها، فبعدها بسنتين وبعد عدة إجهاضات متتالية أصيبت بمضاعفات خطيرة استدعت التدخل الجراحي واستئصال الرحم.. وكانت هذه أيضاً من الذكريات التي غمرتها في أعماقها، تذكرتها يوم حكّت لها "سعيدة" عن سبب عدم إنجابها وبكت معها وعلى نفسها، لكنها لم تبدها لها وهي تقارن بين "منصور" الذي

افترش الأرض تحت قدميها بينما تركها حسين في المستشفى بعد سويغات من إفاقتها وسافر لعمله بحجة وجود مشكلة كبيرة تستدعي وجوده هناك، وعندما عاد بعدها بعدة أيام كان يعاملها بجفاء شديد بدلاً من مواساتها والتخفيف عنها، يومها أحست بتلك الغصة المؤلمة التي كانت تنبؤها أن قلبها ينزف ألماً ووحدة، عجيب أمر هذا الإنسان الذي يحتمي بالوهم لكي يهرب من ألم الواقع ولا يواجهه!

ولكنه مهما هرب، ومهما حاول تفادي صدامه مع واقعه فله لحظة سيقع الصدام المحتوم ولا بد من المواجهة.

مرت ستة أشهر من بينها شهور العدة بعد طلاق "أمال" وبعد محاولات عديدة للتدخل من أهلها وأهله لكي يوفقوا بينهما، لكنها رفضت كل هذه المحاولات، وبرر حسين لأفراد عائلتها الذين تدخلوا للصلح أنه أخفى عليها زواجه وإنجابه حرصاً على مشاعرها ومشاعر بناته!!

وياله من حرص! آخر ما كانت تريده "أمال" أن تسوء العلاقة بين البنات والوالدين، فبذلت جهداً خارقاً معهن لكي تحسن العلاقة ولا تنقطع، استجابت "سلسبيل" و"سندس" لها وبدأتا في التواصل مع والديهن، وهدأت المشاعر السلبية بالوقت عندما وجدتا أن كل شيء يسير على ما يرام، لكن "جنة" صغرى بناتها لم تستطع أن تسامحه على ما فعل خاصة معرفتها وجود أخوان لها لا تعرف عنهما شيئاً! فكانت كثيراً ما ترفض

التحدث إليه وتهرب بالذهاب إلى الحمام أو ادعاء النوم!

جلست "أمال" مع "جنة" لتضع حدًا لهذه العلاقة المتوترة بينها وبين والدها..

- جنة حبيبتى، أنا عارفة أد إيه إنت متألمة من انفصالنا أنا وبابا، لكن حبيبتى، لازم تحاولي تتواصلتي مع بابا وتكلميه وتسألتي عليه؛ لأن بر الوالدين واجب علينا حتى لو أساءوا لينا.

بدأت "جنة" بالبكاء فقامت "أمال" واحتضنتها وضمتهما إليها بقوة وهي تخفي دموعها لأنها تحس ألم ابتتها وصعوبة تقبل كل هذه الأحداث، وأكملت وهي تحتضنها.. الوقت حبيبتى يخفف الألم، وأنا عارفة إنك مش مستوعبة كل اللي حصل ده حصل ليه ولا ذنبك فيه إيه، إنت من حقك تعيشي حياة طبيعية بين أب وأم متفاهمين، وبيحبوا بعض، لكن حتى بعدم طلاقنا كانت حياتنا مش كده، إنت نفسك قولتيلي إنك اتعقدتي من الجواز وأنا مش عايزة يكون ده انطباعك عن علاقة الست بالراجل، لأ، ربنا خلق ستنا حوا من ضلع آدم يعني منه ولازم تكون العلاقة بين الست وجوزها علاقة تكامل واحتواء ومودة ورحمة، لو مفياش الأساسيات دي بتبقى حياة تعيسة، والحمد لله طلاقنا تم بهدوء وتفاهم، وأنا حرصت على ده عشانك إنت واخواتك، فأرجوكي اتكلمي وخرّجي اللي جواكي عشان تترتاحي حبيبتى.

وأبعدتها عن صدرها برفق وهي تنظر لملامحها الجميلة البريئة، وواصلت: جنتي حبيبتى، لو بتلوميني على إصراري على الطلاق، ازعلي مني أنا..

قاطعتها "جنة" بعد أن ارتمت على صدرها مرة أخرى، وقالت: لا يا ماما، أنا زعلانة عليكى لأنك اتحملتي كتير عشانا، وفي الآخر بابا تلاقيه متجوز ومخلف ومخبي علينا!، ليه يعمل فيكي كده! ليه؟، أنا مش فاهمة، ليه يحسني إني عشان بنت ميهتمش بيا ويحبنى؟، ليه مش فرحان بيا وبتفوقي أنا واخواتي؟ دموعها الساخنة على صدر "أمال" جعلتها تحس حرارة قلبها ولوعته، فأجلستها وهي تمسح دموعها قائلة: حبييتي، ربنا مفرقش بين الست والراجل، إحنا بتتحاسب قدام ربنا زي بعض، وحندخل الجنة أو النار بالعمل مش بالنوع، اللي فرق هو الإنسان، زي ما الشيطان أحس إنه أفضل من الإنسان لأنه مخلوق من نار والإنسان مخلوق من طين، فده غرور وتكبر، ففيه عقليات متصورة إن الولد أفضل من البنت خصوصًا في الفلاحين والصعيد، اتربوا على كده فصعب رغم التعليم والتحضر للبعض منهم إنك تغيري موروث من أول ما ظهرت البشرية، الولد مختلف عن البنت لكن مش أفضل، الست تكوينها الجسماني ضعيف ربنا خلقها كده، وخلق الرجل أقوى منها، عشان كده أهل بابا بيعجوا الصبيان عشان همّا الأقوياء، وهمّا اللي يتحملوا المسؤولية، همّا مش بيكرهوا البنات بدليل إن جدك وأعمامك بيعجوكم، وبابا كمان بيعجكم، لكن كانوا يتمنوا لو عنده ولد وهو كان حاسس دايماً إنه خذل والده، فرضي إنه يتجوز عشان يجيب له الحفيد الولد، فمتخليش الموروث ده يحسك بأي نقص، وافتكري دايماً إنك قدام ربنا زيك بالظبط زي الولد، الأفضلية هنا بالعمل.

قالت جنة متحسرة: يا ماما، هو أنا حاستنى الآخرة عشان أحس بالأفضلية!، أنا عايزة أحس بالأفضلية دي في الدنيا، أحسها في عينين بابا. ابتسمت أمال موافقة على كلام ابنتها: صح، حسي بالأفضلية في الدنيا، اعلمي الصح وتفوقى وبري والدك وعيشي حياتك سعيدة ترضي ربنا قبل أي حد؛ حتكوني أفضل من أي حد في الدنيا، ورضا الوالدين من رضا ربنا.. عشان كده لازم تكلمي بابا، وتسألني عليه، وإن شاء الله في يوم حتشوفي في عينين بابا كل الحب اللي تستحقه، ربنا حيرضيكى يا جنة.

- حاضر يا ماما، حاكمه لما يتصل.

- لأ، كلميه إنت لأنه سأل عليكى اخواتك آخر مرة، وإنت اتهربتى منه كالعادة.

- حاضر يا ماما.

قامت "أمال" وقبّلت ابنتها، ودعت لها وهي تردد في سرها، الحمد لله يارب، استعنت بك عليها وأعتنتى.

كانت "أمال" وبالرغم من تحسن الأوضاع بين بناتها والدهن إلا أنها ما زالت تحجم عن معاودة الكتابة ونشاطها الصحفي والأدبي رغم محاولات الكثيرين لحثها على العودة ومنهن بالطبع مجموعة النونز، فتوقف الجروب ونشاطه وتوقفت اللقاءات اليومية بينهن في انتظار عودة "أمال"، لكن طال

انتظارهن، وبينما هي جالسة في غرفتها تقرأ كتابًا، جاءتها أم محمد ووجهها متهللٌ مشرقٌ جعلت "أمال" تبسم متفائلة من طلتها المضيئة المفاجئة، فقالت: ماشاء الله يا أم محمد، وشك منور كده ليه؟

- منصور.

- ماله؟

- برّه.

- برّه فين؟ عندنا؟

- أيوه عندنا، وعائز حضرتك.

- عايزني أنا؟! خير؟

- مرضاش يقولي، هو قالي اندهي الست أمال، عايزها ضروري.

- طبعًا الفرحة اللي في وشك دي من شوفتك لحبيب القلب رجب!.

تضحك أم محمد، وتخفي وجهها بكفها حياءً وخجلًا: يوه يا أمال،

حبيب القلب منصور.

- يا بختك يا عم منصور بحب الست دي، دا انتوا يتعمل عليكم

فيلم، حاضر يا ست جوليت، ثواني وطالعة، قدميله بقى حاجة، نقول

شربات!.

وتضحكا معًا.. وتخرج "أمال" لمقابلته وهي تتساءل لماذا يريدنا

منصور؟

وكانت أول مرة تراه، فمعرفتها به كان من خلال كلام أم محمد عنه، وكما تخيلته وجدته رجلاً طويلاً بشرته سمراء مشربة بالحمرة وملامح وجهه المجهد لم تخف آثار وسامة واضحة، مرتدياً ملابس ريفية نظيفة ومرتبة وطاقيه بيضاء على رأسه، ويلتحف بشال حول الرقبة وشاربه وشعره غزاه الشعر الأبيض، لكنه ما زال محتفظاً بقوة بنيانه.

وبدأ "منصور" بالكلام بلهجته الريفية بعد أن قدمت له "سعيدة" مشروباً، وطلبت منها "أمال" الجلوس بجوارها: أنا عارف إن أم محمد حتزعل مني إني حاكلمك في الموضوع ده من غير ما استأذنها، لكن الحقيقة أنا اتكلمت قبل كده معاها لما جات البلد آخر مرة في وفاة خالتها وصدتني.

وكان "منصور" يتحدث ناظراً لـ "سعيدة" وهو يخشى ردة فعلها من كلامه، فوجد وجهها يتجهم بعد أن كان سعيداً مبتسماً وهو يفصح لماذا جاء. فردت سعيدة: كده برضه يا منصور، حتفتح الموضوع ده تاني؟ ما أنا قولتلك مش حينفع خالص.

فنظرت أمال لها وهي تبسم: وأنا قاعدة في النص بينكم مش فاهمة حاجة، مش أعرف بس يا سعيدة إيه الموضوع؟!

فأكمل منصور: يا ست أمال، لما جات أم محمد آخر مرة قتلها لازم ترجع، أنا ولادي كبروا وأمي ماتت، مرضيتش، وقالتلي مقدرش أسيب الست أمال ولا إني أزعل مراتك بعد ما خدمتك السنين دي كلها، واللي هي متعرفهوش إن مرتي كانت عيانة وعاجزة، وأنا وبناتي اللي كنا بنخدمها، لكن هي مدتنيش فرصة أفهمها وطلعت تجري من قدامي.

نفت سعيدة ظنه قائلة: لأ، أنا كنت عارفة، أخبارك كلها أعرفها يا منصور، إنت كنت عايزني أدخل على مراتك العيانة العاجزة أجيب أجلها لِمّا تعرف إنك اتجوزت عليها، بقى تعرف عني كده برضه؟ دا أنا زعلت منك يومها أوي.

فواصل منصور كلامه: طول عمرك بنت أصول يا أم محمد، بس دلوقتي مرتي ماتت الله يرحمها من سنة، وانت معدتيش بتيجي البلد خالص، فقلت مبدعهاش بقى آجي أنا وأعرض عليكى الأمر.

تنظر أمال بعتاب لأم محمد قائلة: كده برضه متقوليليش وتخبي عليا، مش ده منصور اللي إنت عايشة على حسه زي ما بتقولي، بترفضي ترجعيله وتتحججي بيا يا سعيدة!

أحنت سعيدة رأسها وهي تخفي دموعها: أتحجج بيكي يا أمال! لا والله دا إنتِ غالية عندي زيه بالظبط ومقدرش أسيبك، ده إنتِ أختي وبنتي وأهلي كلهم. وانهمرت دموعها.

فقامت أمال واحتضنتها ودموعها تملأ عينها وقالت: بس جه الوقت اللي تستردي روحك وترجعي لمنصور، وتقضوا بقية عمركم مع بعض. ثم التفت لمنصور وواصلت.. أنا حامد للبنات النهارده إن أم محمد حتسبينا، أنا مش عارفة أنا وهما حنعيش من غيرها إزاي، لكن كفاية إنني أعرف إنها معززة مكرمة معاك.

علا صوت سعيدة وهي تقول من خلال دموعها: بقى كده، تتخلي عني بسرعة كده، ما أنا روحي هنا برضه يا أمال، دا لو روحت معاه حاقلبهاله محزنة، أديني اتعودت على غيابه وعايشة وراضية ومبسوطة، ربنا عوضني بيكي وبالبنات، لكن إزاي أسيبك، وإنتِ في الظروف دي!، إزاي أسيب بيتي، مش ده بيتي برضه؟!!

- طبعاً بيتك يا سعيدة، ده بيتك أكثر من إنه بيتي، لكن أنا حازورك، وحتيجي في أي وقت، متضيعيش حقلك في السعادة اللي اتحرمتي منها عشان خاطر أي حد، ولا أنا ولا البنات حنرضي بكده أبداً، منصور.. بكره تجيب مأذون وتيجي تأخذ الست دي على بيتها.

وتعترض سعيدة: وأنا مليش رأي يعني!، لأ، مش حاروح معاه، بص يا منصور، روح البلد وأنا حاكلمك أقولك رأيي النهائي بعد أسبوع، لازم أفكر، الدنيا اتخلقت في ست أيام، الدنيا ما طارتش.

ينصرف "منصور" بعد محاولات منه ومن "أمال" لتغيير رأي "سعيدة" لكنها أصرت أنها تحتاج وقتاً للتفكير، فانصرف منكسر الخاطر للمرة الثانية التي ترفض "سعيدة" العودة إليه!

تتعجب "أمال" من موقف "سعيدة" الراض للعودة لحب حياتها وروحها كما تصفه، ولكنها قبل أن تصرح بتعجبها هذا بادرتها سعيدة قائلة: أنا عارفة إنك مستغربة رفضي ده، وأنا اللي عايشة طول عمري على حب منصور وسيرة منصور، لكن يا أمال، السنين بتغير البني آدم، السنين غيرتني

وغيرته، صحيح كان جوزي وون عيني لكن ده كان من سنين طويلة، أنا اتعودت على عيشتي هنا معاكم واتعودت على فرشتي وأوضتي والمطبخ والشارع واللبس والكلام، وكل حاجة هنا مختلفة عن البلد وعيشة البلد، مبقتش أعرف أتكلم حتى بلغة منصور، ولا حاعر أعيش في بيته المليان ناس معرفهمش ومتعودتش عليهم، ما شاء الله هو باني دلوقتي بيت كبير ومقعد فيه بناته بأجوازهم وعيالهم، أروح أنا وسطهم أعمل إيه؟!

مقدرش في السن ده أغير حياتي كده، مش حابقي مبسوفة، مش عايزة أندم في أي وقت إني وافقت ورجعت، مش عايزة أحس إنه سبب في عدم راحتي، هو مش محتاجني دلوقتي، بناته مالين عليه البيت بأحفاده أنا حاكون غريبة وسطهم، لكن إنتوا هنا محسسيني إني منكم وإني صاحبة بيت، مش حينفع أرجع إلا إذا كنتي إنت مش عايزاني معاكي.

- مش عايزاكي!!! ده أنا متصورش حياتي من غيرك، لكن أنا مفكرتش خالص إن دي رغبتك! أنا عايزاكي تكوني مبسوفة يا سعيدة، واللي يخليكي راضية اعمليه.

- أنا يرضيني ويفرحني أقضي بقية عمري معاكم يا أمال، ومرجعش البلد إلا على تربتي، أنا مليش حد في الدنيا دي غيركم.

- ومنصور؟

- منصور حاقوله أنا بطريقتي، وعارفة إنه حيفهمني ومش حيزعل

مني.

الفراشة

ظللت سنين، أزحف إليك،
أتتبع خطواتك، أنتظر ديبها
أرهقني تتبع ظلك، تشمم عطرك
فتشرنقت على قدميك
بخيوط حرير نسجت حولها وطناً
لم يدفئني الحرير
لم تحمني شرنقتي من تساقط ثلوج قلبك
كدت أموت برداً، كدت أموت ظمأً
فثلجك يحرق ولا يروي
لكني بفعل القهر، تحولت
وبفعل النار، تلونت
وبفعل الألم، تحررت
فراشة، أصبحت فراشة.. لا تقترب من النار
أصبحت فراشة.. تنعم بالشمس وبالهواء
أصبحت فراشة.. لا تقترب من الأرض
بل تعلق وتعلو.. نحو السماء

كانت الفراشة هي أول ما كتبه "أمال" بعد توقف أكثر من ثمانية أشهر عن الكتابة، كتبتها وحفظتها داخل ملف أعمالها على اللاب توب، لم تستطع العودة لقرائها في الجريدة أو صفحتها الأدبية، فقد أحست أنها أمضت كل السنين الماضية تمثل دورًا كاذبًا، أحست أنها خدعت الناس بأنها الزوجة السعيدة التي لديها كل وصفات السعادة الزوجية وهي أتعسهم، ولم تستطع أن تأخذ قرارًا جريئًا طوال حياتها كما كانت تنصحهم!

حتى أنها خافت من نظرة المجتمع، وعلى بناتها، وفضلت أن تعيش زوجة بالاسم كغالبية النساء التي كانت تراهن مفرطات في حقهن وظالمات لأنفسهن ولمن حولهن، فما الفرق بينها وبين "تهاني" التي كانت تصفها بالضعف والجبن ومخالفة الشرع!

هذا التناقض الذي ظهر عند وجود مشكلة حقيقية مسّتها شخصيًا كانت ترفضه وتمقته من غيرها، صحيح أنها تداركت الأمر لكن لولا تصاعد الأمور مع طليقها لفعلت مثل أغلب النساء! لا بد أن تثبت لنفسها أولاً أنها قادرة على مواجهة الحياة ومواجهة المجتمع بكل موروثه الثقافي وبكل عاداته وتقاليده البالية، عودتها للكتابة مرهون بشعورها أنها أصبحت واحدًا صحيحًا، أنها تفعل ما تقوله. ولهذا اعتذرت لجريدتها عن العودة للعمل الأسبوعي، لكنها وعدتهم أن تنتهي من كتابها المشترك مع صديقاتها في أقرب وقت لينشر ويكون بداية لمرحلة جديدة تكتب فيها بواقعية عن المجتمع وما فيه من مأسٍ مغلقة عليها أبواب البيوت!

دخلت "أمال" أيضًا على صفحتها على الفيسبوك بعد أن شكرت الجميع، وكل من سأل عنها، وردت على كل الرسائل المتأخرة، ثم دخلت على جروب الكتاب وأعلنت لهم طلاقها وعودتها للكتاب بمناقشة قصة "صفاء" والتي كانت سببًا في تطور الأمر بينها وبين زوجها للطلاق، وكتبت لهن كل ما حدث.

وقرأت صديقاتها ما نشرته، وتسايقن للتهنئة بعودتها، وأسفهن على طلاقها، وكانت مشاعر مختلطة بين الفرح بعودتها والحزن على ما عانته طوال الفترة الماضية، وتعاهدن على تكملة الكتاب وتعويض ما فات من الوقت، وكانت قصة "صفاء" آخر شيء وصلها منهن فنشرتها وطلبت منهن إرسال بقية القصص، فأسرعت "شمس" بإرسال قصتها، وكذلك فعلت كل من "كريمة" و"منيرة" ولم يتبق إلا البدء في مناقشة قصة "صفاء" لكي تعود المجموعة لسابق نشاطها وحماسها، فحددت موعدًا معهن في اليوم التالي لمناقشة القصة.

أم محمد

قامت "أمال" بعد أن أنهت اجتماعها مع النونز؛ لتتفقد بناتها ودخلت عليهن الغرفة، فوجدتهن دون أم محمد فسألتهن: فين أم محمد يا بنات؟ في أوضتها؟ سلسبيل: مش عارفة يا ماما، هي كانت قاعدة معانا وحضرتك في مكتبك، ومن شوية قامت وقالت حاقوم أصلي ركعتين، ممكن تكون صلت ونامت.

أمال وهي تنفي قاطعة هذا الاحتمال: لا يمكن تنام من غير ما تيجي تسألني مش عايزة حاجة؟ وبعدين تنام إيه الساعة لسه عشرة ونص! حاروح أشوفها.

أحست "أمال" بانقباض في صدرها لعدم وجود أم محمد مع البنات ولا في المطبخ، وليست من عادتها أن تختفي هكذا دون أن تقول، فطرقت باب غرفتها المتروك مفتوحًا قليلًا كما تعودت دائمًا؛ لتسمع "أمال" إن نادتها، وفتحت الباب بهدوء؛ فوجدتها ساجدة تصلي، فابتسمت ووضعت كفها على صدرها مطمئنة، وانسحبت في هدوء، وذهبت لتعد وجبة خفيفة وهي تنتظر وصول أم محمد لتشاركها إياها وتحدث معها كعادتهما كل ليلة، انتهت من إعداد الطعام ولم تأت أم محمد؛ فأسرعت إلى غرفتها؛ فوجدتها ما زالت ساجدة كما تركتها!

وقفت أمال متجمدة وهي تشعر بأن في الأمر مكر وهًا، ونادتها بصوت

متهدج: أم محمد، إنتِ بخير؟

لم تتحرك "سعيدة" أو تصدر صوتًا.

فصاحت آمال وهي تقترب منها: سعيدة، ردي عليًا إنتِ بخير؟

وهوت بجوارها لتهزها وتحركها، ولكنها وجدتها تحتضن بيدٍ ملابس ولدها

محمد واليد الأخرى أسندت بها نفسها؛ لكي تسجد ووجهها مبتل بالدموع!

سعيدة... أم محمد، ردي عليًا، سعيدة، سعيدة. سلسيل، الحقيني.

صاحت "أمال" على ابنتها لتسعف أم محمد، جاءت "سلسيل"

تجري هي وأخواتها في هلع، وحاولت إسعافها وتشيط قلبها الذي توقف

عن النبض، لكنها كانت فارقت الحياة!

وبكت "سلسيل" وهي تقول لأمها: مفيش نبض خالص يا ماما.

أمال وهي غير مستوعبة: يعني إيه! ماتت!! سعيدة، سعيدة. لا إله إلا

الله. صاحت "أمال" وهي تبكي وتحتضن أم محمد التي فارقت الحياة

ساجدة لله، لا أحد يعلم ماذا كانت تقول في سجودها، ولماذا كانت تبكي؟

هل كانت تبكي شوقًا لوليدها؟ هل استجاب الله دعوتها الدائمة أن يجمعها

به في جنته وهو الرحمن الرحيم؟ هل كانت أحلامها الكثيرة بوليدها في

الفترة التي سبقت رحيلها تخبرها بقرب اللقاء!؟

رحلت أم محمد، دون تمهيد بمرض أو إنذار بفراق، رحلت دون

وداع، لم تبك "أمال" طوال حياتها كما بكت عليها، شعرت أن روحها

نزعت منها،

شعرت باليتم يتجدد في قلبها وقد رحلت حبيبته وونستها وكاتمة أسرارها، وتولت "تهاني" مهمة إبلاغ رجال في القرية؛ كي تدفن هناك بجوار محمد ابنها كما أوصت من قبل، وتولت "سلسيل" مهمة إبلاغ صديقات "أمال" على الجروب ما حدث وتأجيل نشاطهن لحين قدرتها على التواصل معهن، فـ"أمال" لا تقوى على الكلام من الحزن، فوقع الخبر الصادم المفاجئ عليهن بحزن بالغ، وبكى أم محمد، وأشفقن على "أمال" من الخسارات المتتالية التي تصيبتها؛ فالمصائب لا تأتي فرادى!

كان "منصور" أول القادمين للقاهرة؛ لكي يكون معها في رحلتها الأخيرة لمسقط رأسها، كان يبكيها مثل الطفل الذي ماتت أمه، كان منهاراً وهو يردد: كده يا أم محمد تروحي من غيري، ده حسك في الدنيا هو اللي كان مصبرني على فراقك" يارب.. يارب.

وكأنه يدعو الله أن يقبض روحه هو الآخر لكي يوقف هذا الألم الذي يخترق قلبه كالسكين.

لم تتحمل "أمال" رؤية "سعيدة" تخرج من بيتها محمولة؛ فخارت قواها ولم تتحملها قدماها فجلست على أقرب مقعد وسط نحيب وبكاء البنات على أمهن الثانية، واللائي لم يستوعبن بعد موتها وفراقها لهن.. ولم تستطع لسوء حالتها أن ترافقهم، وذهبت "تهاني" بدلاً منها برفقة زوجها المتأفف المتعجب لهذا الحزن والبكاء على شغالة كما وصفها لزوجته التي تحاول في خجل مداراة تأفف زوجها، وتطلب منه خفض

صوته وهو يقول لها: يعني أنا ليه أتدبس في السفرية دي، هي كانت من بقية عيلتكم!، دي حياه شغالة وبنت خالتك عاملة مناحة عليها ولا كأنها أمها! ظلت "أمال" في فراشها بضعة أيام، واهنة باكية لا تنفك تقرأ القرآن وتدعو لها بالرحمة والمغفرة، بعد أن استردت عافيتها قليلاً أصرت أن تذهب لقبر أم محمد، ورغم طول المسافة وصعوبة الموقف إلا أنها كانت تشعر أنها ذاهبة لرؤيتها لا للترحم عليها، وكذلك لتزور قبر والديها، كانت ذاهبة لزيارة أحبابها الثلاثة.

أصر "منصور" أن يرافقها بعد أن علم بقدمها، وهما في الطريق أخبرها أنه كان يعد العدة لترك القرية والترحال للقاهرة؛ ليستأجر شقة بالقرب منها لكي توافق أن تعود إليه ولا تشعر بالغرابة بين بناته وأزواجهم كما أخبرته عندما رفضت العودة إليه، وأنه لم يخبرها بذلك حتى لا تثنيه عن قراره، وحتى تتأكد وقتها أنه لا يستطيع العيش بدونها، لكن ما أخره هو التزامه بموعد حصاد المحصول وتسليم الأمر لأولاده، بكى "منصور" وهو يحكي لـ "أمال" وهو يلوم نفسه أنه تأخر عليها.

لم تستطع "أمال" هي الأخرى أن تمنع دموعها وتدعي القوة؛ فما قاله "منصور" أدمى قلبها، وأكبرت فيه هذا الحب الذي لم يضعف ولم يستسلم أمام هوة السنين. رغم شيب شعره وسنه الذي تعدى الستين عامًا كان قلبه المحب ما زال شاباً مثيراً يتكلم عن حبيبته وكأنها عروسه البكر التي حرم من الزواج منها! عادت "أمال" من زيارة أحبابها تحمل في قلبها لوعة الفراق والحنين لرحماء الدنيا، وتضائل أي حزن وأي ألم مرت به أمام هذا الإحساس القاتل باليتم والحنين إليهم، بعد عدة أيام زارت "صفاء" "أمال" لتقديم واجب

العزاء، وكانت المرة الأولى التي تذهب لبيتها رغم أنها الوحيدة من بين المجموعة التي من القاهرة، لكن كانت مقابلاتهما دائماً خارج البيت، وفي مناسبات متعلقة بعمل "أمال" ونشر كتبها، كانت مشاعر "أمال" مختلطة بين الحزن على "سعيدة" وبين الفرحة لرؤية "صفاء" وقد تغيرت تماماً بعد أن وصلت لوزنها المثالي الذي كانت تحلم به، لدرجة أنها أخذت لحظات كي تتعرف عليها خاصة أن ملابسها السوداء زادت من نحافتها، لم تستطع "أمال" أن تخفي دهشتها وفرحتها بـ "صفاء" فهنأتها على إنجازها التاريخي وقوة إرادتها التي جعلتها تنقذ نفسها من هلاك مؤكد للصحة وللروح معاً. اقترحت "صفاء" على "أمال" أن يذهبا سوياً إلى الإسكندرية كي تلتقيا بصديقاتهما ولتخفيف هذا الحزن بلقائهن، فمئذ فترة طويلة لم يسافرا لهنالك والكل مشتاق لها، ولكن الظروف التي مرت بها منعتهن من القدوم إليها، وهن الآن يُرذن تقديم واجب العزاء، فأمر محمد كانت غالية عليهن جميعاً، لكن "صفاء" قالت لهن إنها ستقترح عليها أن تأتي و"أمال" في أقرب وقت، خاصة أن "منيرة" ستصل للإسكندرية بعد أسبوعين، وفرصة أن يجتمعن معاً كسابق عهدهن.

ردت "أمال" ودموعها تسبق كلماتها..

- أنا تعبانة أوي يا صفاء، حاسة قلبي بينخلع مني، مكنتش متصورة إنني مرتبطة أوي كده بسعيدة، أنا حاسة روحي راحت معاها، لولا البنات ولولاكم كنت مت من الحزن، وجودكم في حياتي مهوون علياً كثير، ربنا ميحرمينش منكم أبداً.

- ولا منك يا أمال إنت متعرفيش مكانتك في قلوبنا أد إيه، لازم حبيبتى تخرجي من الحالة دي، إنت عارفة الدنيا مبتقفش على موت حد، وأم محمد تحبك عايشة مبسوطة وقوية.

ولكي تقنع "أمال" بالسفر أكثر، قالت:

- بصي يا أمال، أنا كنت بأتجنب خالص أسافر في المواصلات عشان زي ما إنت عارفة وزني والإحراج لأي سبب، وكنت دايمًا أروح وأرجع في العربية، فأنا بجد نفسي أسافر بالقطر معاكي، نفسي أحس إنني رجعت طبيعية زي كل الناس، ممكن تحقيقي الأمنية دي ونسافر سوا؟ بالله عليكى مترفضيش، ها، أرد عليهم وأقولهم حنروح إمتى؟

لم تستطع أمال الرفض أمام رغبة صفاء وقالت:

- طيب مفيش مانع، أنا يسعدني أكون معاكي في أول مرة تسافري فيها من غير العربية، وأنا فعلاً محتاجة أشوفهم وحشوني جدًا، ومنيرة بتيجي مرة في السنة ومقدرش مشوفهاش، وعارفة إن القاهرة حر عليهم، ومش حيستحملوا ييجوا في الحر ده، نذّي أسبوع لمنيرة ترتاح وتزور قرايبها ونتقابل بعد ثلاث أسابيع إن شاء الله.

بعد انصراف "صفاء" جلست "أمال" في غرفة "سعيدة" التي ما زالت على حالها تحمل ملابسها وسريرها النظيف المرتب رائحتها الطيبة الزكية، أخذت تستنشق هواءها كأنها تستدعي "سعيدة" لتحتضنها ودموعها تنبئ عن شوقها وألمها لرحيلها وحيدة دون أهل ودون سند، ولكنها حمدت الله أنها وبناتها كنّ

عوضاً لها عن فراق أحبابها، وأخذت تتمتم بالدعاء لها وأن يعوضها الله الفردوس الأعلى، وأن يساعدها الله على تحمل هذا الحزن وهذا الألم؛ فالحزن شعور يستوطن القلب بعد فقدان أول حبيب، كان والدها هو ذلك الحبيب الذي رحل بعد معاناة مع المرض، لم تكن تشعر بوخز الحزن وألمه قبل رحيل والدها، كانت تتعاطف مع كل من حولها إذا فقدوا حبيباً لديهم، كانت تبكي معهم وعليهم، لكنها لم تذق مرارة طعم الحزن إلا عندما فقدت والدها، ومن بعده انفرط عقد الأحباب واحداً بعد الآخر، رحيل أمها بعد مرض قصير لكنه كان كافياً أن ينذرنا بقرب النهاية، لكنه وبرغم هذه الرحمة من رب العالمين لم تستطع تحمل مشهد تكفين أمها وحملها لتوارى التراب، مشهد يتكرر وقوة تنهار، استوطن الحزن مكانه في الروح والقلب لم يبرحهما ولم يعيدهما أي فرح سيرتهما الأولى، كانت الدموع تسبق الفرحه وتسرق منها بهجتها، كانت غصة الفقد تقطع الضحكة، وكان الحنين يُغير على هدوء صباحها فيشير الذكريات والآهات. كانت تلجأ لزوجها في تلك الأوقات لكي يشعرها بالأمان وبأنها ليست وحيدة، لكنه إما يكون غائباً بسفر أو غائباً بحضور. لم تنس ذلك اليوم بعد عودتهم من عزاء والدتها وهي في قمة الحزن والبكاء والإرهاق البدني والنفسي احتضنته لتبكي بين ذراعيه، فحوّل الأمر لواجب شرعي طلبه منها لأنه مضطر للسفر صباحاً!

كيف يكون الإنسان بهذا التبدل وانعدام التعاطف ومراعاة الشعور، يومها كذبت عليه لأول مرة في حياتها وتعللت بدورتها الشهرية، كي لا يقترب منها فما كان منه إلا أنه أدار لها ظهره متأففاً لينام!

قطعت "سلسبيل" أفكارها الحزينة وقد اقتربت منها لتحتضنها وتبكي معها فراق أم محمد، وتقول من بين دموعها:

- ربنا يرحمها يارب، وحشتني أوي يا ماما، وحشتني أوي.

وانضمت لهما "سندس" و"جنة" وكل يبكي فراق طيتها وحنانها.

لم تفارقي الدنيا وحيدة يا "سعيدة" فلك من الأولاد ثلاثة بنات يدين لك ليل نهار، وأخت تفتقد كل لمحمة منك، تفتقد ابتسامتك التي كانت تنير وجهك الجميل المستدير فتحوله لقمر في ليلة تمامه، وعيونك الخضراء خضرة عشب نديٍّ ممتد للأفق، تفتقد كفك الحنون الذي كان يربت على كتفها وأنت تسألها.. أعملك حاجة تشربها؟

تفتقد صدقك وعفويتك وحياءك الفطري عندما كانت تمتدح جمالك وجمال شعرك الذهبي المختلط بشيب فضي عندما تمشطيه كأنه سنابل قمح تتوهج تحت أشعة شمس الصباح، وهي تقول لك: "ملكة جمال ياخواتي، له حق منصور يبقى مغرم صباية كده"

فيحمر وجهك حياءً وأنت تنفين بتواضع ما حباه الله لك من جمال، وتقولين: "هو فين الجمال ده يا أمولة، دا إنت الجمال كله"

تفتقد دعواتك لها كل حين بالخير والبركة وراحة البال، لم تموتي وحيدة يا "سعيدة" فهناك قلوب تذكرك.

القدرة

أحضرت "سلسبيل" فنجان القهوة لأنها بعد أن أصرت أن تقوم هي بدور أم محمد في عمل القهوة، وجلست بجوارها لتحادثها في أمر هام:

- ماما حبيبتي، كان في موضوع المفروض كنت أكلمك فيه، لكن جت وفاة أم محمد الله يرحمها المفاجئة وطبعًا كلنا كنا في حالة متسمحش بطرح الموضوع أصلًا، لكن دلوقتي مينفعش يتأجل ومحتاجة أعرف رأيك..

- خير حبيبتي، قولي.

- فيه معيد كنت بالاحظ إنه متابعني دايمًا، وكنت حاسة إنه عايز يكلمني، وأنا لأنني مش فاضية ومش عايزة حاجة تشغلني عن مذاكرتي ومستقبلي كبرت دماغني منه، لكن لقيته آخر يوم امتحانات بيطلب يكلمني في أمر مهم، وقعدت معاه في كافتيريا الكلية وقال لي إنه معجب بيًا، وعايز يتقدم لبابا وتم الخطوبة والزواج خلال شهر عشان هو مسافر بعثة لأمريكا، فأنا قلت له إن كده الفترة قصيرة جدًّا، وأنا معرفش عنه حاجة وفهمني إنه جيعرفني كل حاجة عنه بعد ما يقابل بابا، لكن عطاني معلومات أساسية عنه ولما يأخذ موافقة مبدئية جيجابو علي أي سؤال وأي حاجة عايزة أعرفها؛ لأنه عايز يدخل البيت من بابة زي ما قال لي، وأنا بصراحة عجبنتني الحتة دي فيه، وهو مريح وشكله

كويس والإنجلش بتاعه مطبوط مش محتاج ظبط زوايا، وكمان مستقبله قشطة ومسافر أمريكا يدرس، وهو نفس اللي بخطط إني أعمله، ومتأكدة إن بابا مكانش حيوافق أسافر لوحدي، فحسيت إن ربنا بعتهولي نجدة من السما، كانت أم محمد اتوفت وقت ما اتصل بيأ عشان يحدد ميعاد مع بابا، فأنا قلت له الظروف وإنه مينفعش فراح مأجل سفره على أد ما يقدر عشان يتقدم لبابا ويأخذ الموافقة ويسافر، وبعدين ينزل فترة قصيرة نتجوز ونسافر.

ظلت "أمال" تستمع لابنتها وهي متعجبة من سرعة الأحداث!

- نتجوز ونسافر! يعني إنت خلاص وافقتي؟! من غير رأي بابا وماما!
فأسرعت تقول وهي تتدارك زلة لسانها:

- لأ طبعًا موافقتش، أنا بأقول يعني في حالة الموافقة عليه يعني...

- وإنت رأيك إيه؟ الواضح إنك موافقة، صح؟

فابتسمت وقالت:

- مقدرش أرد نجدة ربنا ليا.

- يعني إنت موافقة بس عشان حتسافري معاه أمريكا، طيب افرضي

لأي سبب اتلغت بعثته حتعملي فيه إيه، حتفسخي خطوبتك؟

- إيه الافتراضات السيريالية دي يا أمولة، إيه بس اللي حيلغي بعثته، ده

خلاص مسافر بعد ٥ أيام!

- ٥ أيام!!! عايز يخطب ويتجوز في ٥ أيام!

- أمولة حبييتي، ركزي معايا، هو بس عايز يتقدم ويرتبط بدبلة ويسافر شهرين تلاتة يظبط حاله، ويرجع نتجوز ونسافر على طول، قشطة؟
ردت متهكمة:

- لأ، رز بلبن يا حبيبة أمولة، حتروحي أمريكا تقوليلهم قشطة!
تهللت سلسيل:

- يعني حضرتك موافقة؟

- لأ، أنا عايزة أتأكد الأول إنك مش موافقة عليه بس عشان السفر، ولازم نسأل عنه وعن أخلاقه وعلاقته بأسرته وعلاقته بربنا، وده ميكفيش في ٥ أيام خالص.

- هو قال لي إن والدته متوفيه، ووالده متجوز، وإن مرات أبوه هي اللي كملت تربيته هو واخواته البنات، ويعتبرها أمه الثانية، وهو ولد وحيد، وكم ان عنده زبببة صلاة يعني شكله بيصلي، وممكن بابا يسأل عليه في الشغل خلال يومين، واليوم التالت نقرا الفاتحة ونلبس الدبل.

- طيب أقول السؤال بصيغة واقعية مش سيرالية يا ستو أنا، نفترض إنه عريس من غير بعثة من أساسه كنت حتوافقي عليه؟ كان حيكون هو ده الشاب اللي يملى عينك وقلبك؟

- عين وقلب وفشة، إيه يا ماما، قلب إيه بس!، الحاجات دي فكسانة خالص.

- فكسانة يعني إيه؟!

- يعني المشاعر والحب من أول نظرة وشغل الأفلام العربي والاشتغالات دي، هو مالي العقل، متوافق مع الشروط والمواصفات.

- هو داخل مناقصة يا سلسيل، إزاي يعني!

- زيك يا ماما، هو إنت اتجوزتي عن حب وقلب وفشة!، اتجوزتي جواز عقل.

ابتسمت آمال ساخرة:

- والنتيجة زي ما إنت شايفة، مطلقة مع مرتبة الشرف!

- لأ، حضرتك متطلقتيش عشان اخترتيه من غير حب، حضرتك اتطلقتي عشان بابا شخصيته عكسك تمامًا، لكن خالد حساه النسخة الرجالي مني، إنسان عملي وملوش في "السهنتة"، ويحب شغله ومهتم بالعلم.

ابتسمت آمال وهي تقول:

- اسمه خالد؟ اسمه حلو، بس إنت شايفة المشاعر والحب سهنتة؟

- بصراحة أيوه، الحب بالنسبالي يا ماما أفعال وحياة مستقرة واحترام، وزبي ربنا ما قال مودة ورحمة، الإطار ده باشوفه أكبر من الحب المتعارف عليه اللي كله عذاب وشوق وانتظار وناس فاضية مورهاش حاجة، الحب متقدم لينا بصورة غبية بصراحة، زي مجنون ليلى اللي قعد فاضي لا شغلة ولا مشغلة، عمال يحب ويشعر في الست ليلى ويجوب الصحراء، وفي الآخر زحلقتة واتجوزت واحد تاني. واللا دلوقتي، البنات بتخلص كل مخزون المشاعر على

ولاد مراهقين زبهم أو على خطيها اللي بيخطبها بالتلات سنين ويخلصوا فيهم كل الكلام وكل العسل ويدخلوا في مرحلة الخناقات الزوجية، ولما بيتجوزوا بيتقوا خلاص ملّوا بعض واتخفقوا من بعض أصلاً، ويجيبوا أولاد نتيجة زواج فاشل يدفعوا همّاً تمن سنين الخطوبة الطويلة واليوم الأسود اللي اتجوزوا فيه.

قاطعتها أمال قائلة: هو أنا برضه عايزاكي تختاري أو عملي كده! ده إنت بتقولي نفس الكلام اللي أنا بأقوله دائماً ومقتنعة بيه، أنا بس عايزاكي تتأكدي إنك قابلاه وفيه توافق روحي وانسجام، لو ده حسيتيه يبقى تمام، لكن متبقيش بتتنازلي عن الأساسيات دي بسبب إنه مسافر أمريكا! لكن تعرفي رغم إنني عارفة إنك عملية جدّاً، لكن متصورتش إنك عاقلة أوي كده يا سلسيل.

ابتسمت وقالت: صحباتي مسميني ذا روك The Rock شايفيني معنديش قلب، لكن بالعكس أنا فاهمة الحب صح، ومتأكدة إنني حاكون سعيدة مع شخص يتوافق معاي ومع أفكار وميولي، وحاقد أسعده، ومش حيبقى بينا المشاكل المتكررة في بيوت أغلبية المتجوزين.

- ربنا يكملك بعقلك حبيتي، طيب حانبلع بابا إزاي؟

- خالد أخذ نمرة، وحايكلمه بعد ما أرد عليه بموافقتك.

- حبيتي، أنا مش حوافق إلاّ لما أشوفه، وبابا يسأل عليه، هو يعرف

إنني أنا وبابا منفصلين؟

- بصراحة لأ، مجاتش فرصة أقوله!

تجهمت آمال وقالت: هو من حقه يعرف وضعنا، يمكن ده ميعجبوش ويغير رأيه قبل ما يطلب بابا وييجي ويروح، لازم يعرف.

- يغير رأيه ليه! هو فيها إيه لَمَا تكوني مطلقة؟، إيه اللي يهمله في كده أو إيه اللي يضره، أنا مش فاهمة؟

- حبيبتى، الطلاق كان سبب لبنات كتير إنها تترفض؛ لأنهم بيشوفوا إن البيت كده مش سليم نفسياً ولا اجتماعياً، ويعتقدوا إن أكيد البنت اللي أمها مطلقة حتتأثر بالمشاكل دي أو تطلع زي أمها بتاعة مشاكل ومتحافظش على بيتها، ونظرة المجتمع للمطلقة إنها صيادة رجالة ومخربة بيوت ومشياها بطال زي ما الأفلام والمسلسلات بتظهرها، لو أرملة لها الاحترام لكن لو مطلقة أكيد العيب منها، واكفي القدرة على فمها تطلع البنت لأمها!

- إيه القدرة دي؟! إيه الكلام العجيب ده يا ماما، حضرتك اللي بتقولي كده، أو مال الناس اللي مش مثقفة تقول إيه!

- يا بنتى، ده كلام الناس واللي بيحصل في مجتمعنا من متعلمين ومثقفين وشهادات، دي ثقافة مجتمع وموروث فكري بيدعمه الإعلام!

- ده يبقى مجتمع متخلف، وكده عمرنا ما حنعيش صح ولا سعداء، في بنات متجوزين عرفي واللي مصاحبة واللي مدمنة واللي بتشرب حشيش وبنات عائلات كبيرة وكلهم عايشين مع باباهم ومامتهم عملوا لهم إيه بقى بالعيشة تحت سقف واحد وهم ميعرفوش عنهم حاجة ولا مترين صح!، إنت يا ماما أحسن أم في الدنيا، أي حاجة كويسة اتعلمتها في حياتي كانت منك، وياربنتي

أكون زيك واللي يرفضني عشان أمي مطلقة إنسان متخلف ميلز مينيش، أنا حاقوم أتصل بيه وأقوله، واشوف رد فعله لو تردد ثانية حاقل التليفون في وشه.

أسرعت "سلسيل" لإجراء هذه المكالمة الفاصلة، و"أمال" يلهج لسانها بالدعاء ألا تُصدم ابنتها فيمن تو سمت فيه أن يكون رفيقها في الحياة. عادت سلسيل بعد لحظات إليها متهلة: قال لي أنا عارف، أنا سألت عليكم وعارف إن والدتك كاتبة معروفة وعرفت إنها اتطلقت قريب.

انفرجت أسارير "أمال" وحمدت الله، وقالت لها أنا موافقة مبدئيًا، وزى ماهو عمل تحرياته علينا لازم إحنا كمان نسأل، خليه يكلم بابا والخير يقدمه ربنا حببتي.

قبلت "سلسيل" أمها، وقد أشرق وجهها، وذهبت لتخبر "خالد" بموافقة أمها المبدئية لكي يحدد موعدًا مع والدها. تنتهد "أمال" وتمسح دموعًا تجمعت سريعًا..

♦ - آه يا أم محمد.

وقالت بصوت خافت كأنها تخاطبها: بنتك البكرية حتتجوز يا سعيدة. في خمسة أيام تمت خطبة "سلسيل"، وأعلنت "أمال" هذا الخبر السعيد على صفحة جروب الكتاب، وتلقت التهاني والدعوات من النونز مع تأكيد على موعد الزيارة المرتقبة للإسكندرية، بينما كانت "أمال" ترتب غرفتها رن جرس الهاتف فذهبت مسرعة للرد عليه، فوجدت صوت "تهاني" هادئًا خافتًا على غير عاداتها:

- مالك يا تهاني، حصل حاجة مع أسامة؟
- أيوه حصل، اتطلقت..

قبل بضعة أيام في بيت تهاني تصرخ في وجه زوجها أسامة، وأولادهما حولهما يبكون، بينما ابنها الصغير أحمد "ميدو" انفطر بكاءً ويرد على صراخ أمه بصراخ أشد، فكان الأمر أشبه بحالة هستيرية انتابت الجميع!:

- تتجوز علياً بعد كل اللي عملته عشانك، لَمَّا ربنا فتح عليك بدل ما تصرف علينا وتعوضني سنين الشقا والغلب ووقفتي جنبك أسدّ عنك طلباتنا رايح تتجوز!، وأولادك دول نسيتهم؟

يرد عليها زوجها منفعلًا، وهو يصيح لكي يغطي صوته على صوت صراخها وبكاء الأولاد:

- إيه من حقي، هو إنتِ فاضياي، على طول تعبانة، على طول نايمة وأنا صاحي، وصاحية وأنا نايم، عمالة تخلفي واحد ورا الثاني، تفتكري كده حتربطيني بيكي! إنتِ اللي ربطي نفسك بيهم وبتريتهم، وبعدين أنا مش مقصر معاكم في أي حاجة، إنتِ أصلاً محستيش إني اتجوزت وكنت طايرة بيا وبتدعيلي وأنا عمال أصرف وأجدد لك شقتك، مش هو ده اللي كان همك تتفشخري قدام قرابيك وقدام بنت خالتك اللي طول النهار تحسديها على شقتها واللي عندها وإنتِ معنديش!

ردت تهاني وقد زاد انفعالها:

- أنا أحسدها!، أنا بحب أمال أكثر من أختي، أنا كان نفسي بس أكون في مستوى قرابيي وبعدين متغيرش الموضوع، إنت من حقك تتجوز وأنا مفكرتش فيا، جايّ تقولي، فاكّر يعني حاعمك فرح تاني وازغرطلك! واللا عايزني أروح بالولاد أبارك للعروسة! إنت جاي بتقولي ليه عايز تشلني واللا عايزني أموت نفسي!

- بأقولك عشان أنا تعبت من إني مخبي، ومش عارف أعيش صح، وأنا مبعملش غلط ولا حرام.

صاحت تهاني:

- آه، قول كده، العروسة ابدت تشتكي وتزن عايزة تلهفك لوحدها، ماهو أنا بقيت القديمة اللي ملهاش لازمة، عايز تتفرغ للجديدة! قاطعها أسامة، وهو ما زال في ثورة الغضب:

- أتفرغ إيه، أنا عايز أعيش عيشة طبيعية، أنا بأتصرف كأني بهرب مخدرات. زاد بكاء الأولاد وخوفهم مما يحدث، فأوقفت "تهاني" الكلام وأخذتهم عند جارتها، وطلبت منها ملاحظتهم لبعض الوقت، وقد تعودت الجارة على ذلك كلما سمعت صياحهم، فأشفقت عليها من منظرها وبكائها وأخذتهم وهي مطمئنها بالأ تقلق، ولم تستطع الجارة أخذ "ميدو" الصغير الذي تشبث بأمه ولم يرض أن يتركها، عادت "تهاني" لزوجها وأنزلت ابنها ووضعته على

الأرض، وبدأ البكاء والصراخ مجدداً؛ كي تحمله لكنها صاحت في زوجها: شوف، أنا مش قابلة الوضع ده ومش موافقة عليه ولازم تطلقها يا تطلقني.
- وأنا مش حاغيره، وحاعدل بينكم.

ضحكت تهاني ساخرة: حلوة أوي حتعدل بينا دي، طيب ما تعدل بينا في اللي فات الأول! خلي العروسة تأخذ نص سنين شقيا من يوم جوازنا والمشاكل اللي مرينا بيها والجمعيات اللي كنت باعملها عشان أوفر مصروف البيت، والنزول في عز البرد والحر عشان أروح الشغل، لا وكمان خليها تتحمل وجع الحمل والولادة مرتين، كل حاجة مرّيت بيها تأخدي النص وأنا النص، وبعد كده حارضى تعدل بينا في اللي جاي.

صرخ فيها محتداً: إنتِ كل مرة تعارينني باللي عملتيه، واللي شقتيه أنا حادفعلك كل قرش صرفتيه، وكمان أنا مغصبتكيش تقبلي بيّا، إنتِ كتتي عارفة ظروفي وإنتِ اللي وافقتي.

هدأت ثورة تهاني، وهي تردد من بين دموعها المنهمرة: صحيح، عندك حق، أنا اللي غلطانة، أنا اللي غلطانة، ولازم أصلح غلطتي، طلقني يا أسامة وأنا متنازلة عنك كلك للعروسة الجديدة هنيالها.

انخفض صوته وكأنه وصل لضالته وهو يقول: إنتِ عارفة لو طلقتك حتكون الطلقة الثالثة، ومش حينفع نرجع لبعض زي المرتين اللي فاتوا، أنا سألت شيخ وقال لي لفظ الطلاق بيوقع الطلاق لأنني عارف إنك حتطلييه، ففكري كويس المرة دي.

نظرت إليه تهاني بكل خيبة الأمل فيه:

- وكمان سألت شيخ ومحضّر الإجابة، كتر خيرك على التنييه، لأ متخافش قولها، وخلي الثالثة ثابتة، الثالثة بفورة، تكسب يا عريس!.

- حاسييك تفكري، أنا مش عايز أشيل ذنبك.

في لهجة أمرة لا تقبل التأجيل ولا المساومة قالت: لأ، دلوقتي، حتقولها دلوقتي، أنا بأفكر بقالي سنين ليل ونهار في سبب تعاستي، ومعادش عندي حيلة معملمتهاش، ولا عندي قوة أكمل بنظام المشاركة بالنص.

- أنا مش حاقصر في أي حاجة تطليها، و...

قاطعته: كتر خيرك، طلقني.

صمت قليلاً..

فرددت بصراخ: طلقني.

- إنت طالق يا تهاني.

قالها وانصرف، وتركها صامته متحجرة الدموع، وسكتت الأصوات إلا من صوت بكاء "ميدو" وصراخه وهو متشبث بثوب أمه يريد أن تحمله، حملته بحركة لا إرادية، وأخذت تربت على ظهر ابنها تهدئه، وبركان حسرة وغضب يعترىها، وكلمة أنت طالق تتردد في أذنيها كرجع الصوت، وشريط حياتها كله يمر أمامها وكيف أصرت على "أسامة" يوم تقدم لها رغم فقر إمكانياته، وحذرتها أمها وقتها أنها ستشقى معه فهو لا

يملك أي شيء ولا حتى مسكنًا، وهي تقول إنه يكفيها إنه يحبها وبكره يكون عندها كل حاجة، وإنها تساعدته ومش حتطلب من والدها أو منها أي شيء فقط موافقتهم، وفشلت كل محاولاتهم في إقناعها على أن تغير موقفها وتتخلى عنه!

وبتمسكها الشديد وتهديدها لهم بأنها لن تتزوج إلا "أسامة" رضخ والدها لرغبتها، وعرض الأب شراء شقة لها شرط أن تكتب باسمها لكنها رفضت لأن هذا يقلل من شأن زوجها أمام نفسه، بل ورفضت أي مساعدة مالية منه، وبدأت معه في شقة صغيرة مؤجرة في حي متواضع لم يكن فيها إلا الضروريات، وتنازلت عن عمل فرح لكي تستطيع أن تؤثت تلك الشقة، وكانت في شهور زواجها الأولى تشعر أنها أسعد النساء، وبدأت حالتهم المالية تستقر قليلاً، وانتقلت لشقتها الحالية في حي أفضل وبأثاث أفضل لكن ظلت دون مستوى العائلة وقرباتها، لكنها كانت تعمل بكل جهدها أن تحسن من مستوى معيشتها، ولكن بقدوم مولودها الأول زادت الأعباء وفتر الحب من زوجها فهي دائماً مرهقة ومشغولة عنه، وكانت كلما أحست بتحسن أوضاعه المالية أسرع بالإنجاب حتى أصبح لديها أربعة من الأبناء جعلوها أقرب للجنون من كثرة الأعباء والطلبات والصراخ فيهم ليل نهار؛ كي يقوموا بما عليهم من واجبات.

مرّ على زواجها اثنا عشر عاماً قضت منهم ستين دون إنجاب، ثم من بعدهما كانت إمّا حاملاً وإمّا مرضعة، ومع عملها وطلبات البيت كانت

تسقط من الإعياء آخر اليوم.

من بعد خيانة زوجها لها وجدته يصدق عليهم المال ويغير لها الأثاث والأجهزة الكهربائية ويشترى لها ذهبًا وحليًا، ولأولاده ما يؤمن لهم مستقبلهم، كانت طفرة تجارته هي السبب في كسبه المفاجئ للمال، وكانت تظن اهتمامه بالبيت وبها هكذا بداية صفحة جديدة رغم أنه لم يعد يلح عليها بحقه الشرعي، كما كان يفعل طوال سنين زواجهما، وكانت دائمًا تشعر بهذا التقصير كزوجة، فزادها هذا الشعور الدائم بالتقصير بالتوتر والعصبية الشديدة، لم تعلم وقتها أنه كان يفعل ذلك لكي يريح ضميره بظنه أنه هكذا أنهى ما عليه نحوها كدين مستحق لها كما قال؛ لكي تتركه يفعل بحياته ما يشاء، وأنه تزوج ليعف نفسه بدلًا من كبت رغباته أو الوقوع في الحرام وهو قادر ماديًا على فتح بيتين، وكان هذا الخبر بداية صراخها في زوجها وانتهاء بطلاقها!

ظلت "تهاني" بضعة أيام تبكي وتراجع ما حدث وما قاله زوجها، وبدأت تسترجع كل ما مر بها من مواقف، وتتذكر قراراتها واختياراتها وأين أخطأت، هل أخطأت في البداية وهي تزوج زواجًا دون مستوى أسرتها، وتضطر لفعل كل ما فعلته؛ لكي تحسن مستوى معيشتها، فلا هي قبلت بفقره وضعف إمكانياته وتعايشت معه راضية غير عابئة بأي مقارنات بينها وبين محيط صديقاتها وأقاربها، ولا هي رفضته من البداية لأنه لا يحقق رضاها عن حياتها ومستواها الاجتماعي بينهم، فقد كانت تشعر أنها دائمًا أقل منهم؛ فكانت تسعى لكي تصل لمستوى معيشتهم! ولا هي حافظت على نفسها وصحتها فقد أهلكت نفسها

بالحمل والإنجاب المتوالي مع العمل فتحولت لشيء آخر غير كونها امرأة من حقها أن تهدأ وتسكن وتشعر بأنوثتها، وهي دائمة التقليل من شأنها ولا ترى في نفسها أي ميزة كي تستحق حياة أفضل أو زوجاً أفضل، ولهذا قبلت بزوجها لأنها كانت ترى رغبته بالزواج منها فرصة لن تعوض؛ ولأنه أعقد عليها مشاعر إعجاب لم تسمعها قط من غيره، فمن الذي ظلمها؟ هل هي ضحية زوجها أم ضحية نفسها؟ هل كان مطلوباً منها أن تقوم بدور الرجل، وتحمل كل هذا كي تستمر في زواج لم تذق فيه طعم السعادة غير شهور! وهل كانت بالفعل سعيدة بشقتها المتواضعة في ذلك الحي المتواضع، أم كانت تمنى نفسها بالسعادة لحين الانتقال لمستوى أفضل! فالزوج لا يلتفت لكل هذا التعب وهذه المشقة عندما يريد أن يعف نفسه بعلاقة أحلها الله له بالزواج، وهي قد تكون سبباً مباشراً في خيانة زوجها لها بعد تلك السنوات معاً! فهو أحبها بالفعل، وكان يراها هدية الله له، وكان لا يصدق أنها ستكون زوجته فمستوى عائلتها المادي والاجتماعي يفوق حلمه بالزواج من إحدى بنات العائلة، لقد ظلمته بالموافقة عليه وتحميله فوق طاقته وظلمت نفسها معه.

أخذت "تهاني" تتذكر وهي تبكي في صمت حتى لا يسمعها أولادها الذين كانوا هم أيضاً ضحايا لظلمها، فما ذنبهم أن يسمعوا الشجار الدائم بينها وبين والدهم؟ وما ذنبهم أنها دائماً مرهقة؛ فتصرخ فيهم من فرط تعبها وإجهادها، ما ذنبهم لكي يدفعوا ثمن زواج غير متكافئ وزوجة غير راضية وزوج وضع نفسه في مسئولية أكبر من قدراته ولم يكن مستعداً لها واستسلم لزوجته في سد ثغرات

تقصيره؟! لم ترَ فيهم كنزاً رزقها الله به، بل كانت تتعامل معهم رغم حبها الشديد لهم على أنهم عبءٌ تضاعف به حملها وغلبها كما كانت تردد دائماً!

أمضت "تهاني" أياماً في البكاء واللوم لنفسها؛ فقد أفرغت - منذ سنين - اللوم على زوجها وأولادها، لكن الحقيقة أنها من اختارت عذابها، بل وأصرت عليه! وما أقسى أن يدرك الإنسان أنه من ظلم نفسه فتقاسم الظلم مع من حوله، فإناء الظلم داخلها نضح على زوجها وأولادها!

لم يعد في الإمكان إصلاح ما مضى، فما حدث قد حدث، لكن لا بد أن تصلح ما هو آت، فكان كل تفكيرها كيف تعوّض أولادها كل ما عانوه معها، كيف تعيد إليهم هدوء سريرتهم وقد حملت أعمارهم الصغيرة هموماً لا تتحملها أعمار الكبار!.

مضت خمسة أيام منذ ترك "أسامة" البيت بعد طلاقها، وقد هدأت ثورتها وجفت دموعها، فهي اكتفت حسرة ودموعاً، وكان لا بد من التواصل معه للاتفاق على ما هو آت، فاتصلت به وتعجب من هدوئها الشديد وهي تطلب منه إتمام الطلاق رسمياً بما يرضي الله، والإنفاق اللائق على أولاده، ووعدته بأنها لن تستغلهم في أي مشاكل مستقبلية، واتفقا على موعد للذهاب للمأذون بعد يومين، وقامت لتتصل بـ "أمال" لتخبرها بما حدث، وبأنها طلقت.

تصبح أمال من صدمة الخبر:

- اتطلقتي، ليه وإمتي؟ ليه كده يا تهاني حصل إيه تاني؟

وبنفس الهدوء أجابت:

- إحنا متطلقين من زمان يا أمال، مكانش بينا غير الخناق وخيبة الأمل، هو اتجوز وقبل ما تقولي إنه حق ربنا أنا مش باعترض على حق ربنا، لكن أنا مقدرش أتحمّل الموقف ده، غيري ممكن تتحمّله لكن أنا لأ، وإنّ كمان متحمّلت هوش وطلبتى الطلاق.

- بصي يا تهاني، الكلام ده مينفعش في التليفون، أنا نص ساعة وحاكون عندك.

وأنهت معها الحديث، وذهبت لترتدي ملابسها مسرعة متوجهة لبيتها.

وصلت "أمال" لمنزل "تهاني" وعلى غير العادة وجدته هادئاً ومرتباً ونظيفاً، و"تهاني" تحمل ابنها الصغير في حب وتقبله كثيراً، وتحتضنه في حنان؛ فسكن في حضنها وهو يلهو بلعبته، وبقية الأولاد في غرفتهم يشاهدون الكرتون.

بأدرتها أمال بقولها: بصي حبيبتى كل شيء يتصلح، ولازم نقعد كلنا ونشوف نصلح حياتكم إزاي، و...

قاطعتها تهاني باسمه في استسلام: أمال دي الطلقة الثالثة، خلاص معادش ينفع، في خناقنا اللي قبل كده رمى عليّا اليمين مرتين، ومكانش في ساعة غضب مجنون زي ما دايمًا يقولوا عن طلاق الغضب، لأ، هو كان واعى لليمين وبيحذرني قبل ما يقوله، وأنا اللي كنت باستفزه، وبعد ما يطلقني.. أنهار وأصوت.

أخبرتها أنها أخفت عنها لأنها كانت تشعر بالحرج أن تعلمها بوقوع الطلاق والرجوع عنه في نفس اليوم! وحكت لها كل ما حدث وتسبب في وقوع الطلاق الثالث!

ووجدت "أمال" نفسها لا تملك ما تقوله لها، فقد وقع الطلاق الثالث، وأنهيا ما بينهما بغير رجعة، لكنها طمأنتها وقالت: حبيبي، رغم الخسارة الكبيرة لك وللأولاد، لكن الطلاق مش نهاية الدنيا، وربنا حيعوضك خير إن شاء الله، وأنا تحت أمرك في أي حاجة تطليها مني في أي وقت، إحنا ملناش إلا بعض، وكلتي تحت أمرك يا تهاني.

ردت تهاني في امتنان كبير لها: منحرمش منك أبداً يا أمال، إنتِ ساعدتيني أكثر مما تتخيلي، كل كلامك معايا السنين اللي فاتت وحرصك دايماً على مصلحة بناتك، وصورة أبوهم واحترامهم ليه والقوة اللي واجهتي بيها ظروف طلاقك، كل ده ساعدني إنني أوقف الظلم عن نفسي وعن أسامة والأولاد، وأديكي أكيد ملاحظة إنهم لأول مرة تيجي تلاقهم هاديين كده! تخيلي ندى بتقولي.. ليه بابا مراحش يسكن بعيد من زمان؟! إنتِ يا ماما بتضحكي معانا ومش بتضربينا ولا بتشتميننا وتصرخي فينا.

وهنا بدأت تهاني في البكاء وهي تقول:

- شفتي يا أمال أنا عملت إيه في ولادي، شفتي جنيت عليهم إزاي؟!
- تهاني، متجلدش نفسك، كلنا لما بنبقى جوّه المشكلة مش بنشوف اللي بيحصل حوالينا بنبقى مش شايفين غير ألما ومعاناتنا، إنتِ عندك

وقت وحب تعويضهم عن كل اللي مرّوا بيه، لكن أنا عاتبة عليكي إن كل ده يحصل ومتقوليش ليّا!، إنتِ عمرك ما كنت بتقدري تخبي عني حاجة ساعة، تقعدني خمس أيام لوحدك في مشكلة بالحجم ده!

- كان لازم أواجه الوضع بنفسي، وأحله بنفسي، إنتِ كتير كلمتيني يا أمال.

- عندك حق المواقف المصيرية دي الواحد لازم يواجه نفسه، وأنا عملت

كده، إنتِ بتقوليلي في التليفون إنتِ كمان متحملتيش وطلبتي الطلاق، أنا مطلبتش الطلاق عشان حسين اتجوز، لكن عشان خبي عني عشر سنين وكمان مخلف ومخبي عن بناته إن لهم إخوان؛ لأنه معطنيش الحق أقرر عايزة إيه؛ لأنه استضعفني واتجوز بعد وفاة بابا؛ لأن مبقاش بينا لا مودة ولا رحمة يا تهاني.

المهم، ربنا بيعوض والواحد وقت المصيبة لازم يتذكر ربنا، فقولي ورايا

عشان ربنا يعوضك بكل خير "اللهم أوْجرني في مصيبتِي واخلفني خيراً منها"
تردد تهاني وراءها، اللهم أوْجرني في مصيبتِي واخلفني خيراً منها.

- اللهم آمين.

- أنا دعيت أهو بس متفتكرش إني ممكن أتجوز تاني أو حد يربي

أولادي ويتحكم فيهم غير أبوهم.

ابتسمت أمال وقالت: أوّلاً إنتِ متعرفيش الغيب مكتوب فيه إيه في

علم الله، وثانياً الأجر في المصيبة وتعويضها عند ربنا مش لازم يكون زوج بس!، ممكن يكون حاجات كتير رزق أو صحة أو تحقيق أحلام أو في

مستقبل أولادك أو كل ده.

وتبتسم تهاني: أنا مش طماعة أوي كده، أنا بأدعي ربنا يقدرني أعوض أولادي وأريهم أحسن تربية، وبعدين جواز إيه يا أمال!، يآدي الفضيحة، وكمان مين اللي أمه داعية عليه ده عشان يتجوز واحدة عندها أربع عيال! - يآدي الفضيحة ليه يا تهاني! ده جواز، بس مش وقته، خلينا في اللي احنا فيه.

- آه خلينا في اللي إحنا فيه، يارب يقدرني على الولاد يا أمال.

- حيحصل إن شاء الله، وأبوهم الحمد لله موجود، وحيشيل مسئوليتهم وإن كمان خليه دايمًا حاضر معاهم، وتخليهم يكلموه وتقوليلهم دايمًا لَمَّا نسأل بابا، لَمَّا يوافق بابا، خليه موجود بالفعل معاهم، خصوصًا إن ولادك صغيرين يا تهاني، ومحتاجين دايمًا وجود الأب معاهم، واحنا كلنا معاكي وربنا معاكي. تركت "أمال" "تهاني" وهي تدعو لها بالقوة، وأن يعينها الله ويكتب لها الخير كله.

وبدأت "أمال" في إعداد العدة للسفر للإسكندرية، ولكي يكون هناك قفزة في إنجاز الكتاب المشترك؛ نشرت قصة "كريمة" أيضًا على صفحة الجروب كي يتمكن من مناقشة ما فيها مع قصة "صفاء" التي تأجلت مناقشتها بسبب وفاة أم محمد.

كريمة

اعتادت أن تهاجر بهمومها بعيداً عن الجميع، لا زاد لها في هجرتها سوى
كومة من مشاعر الحنين، تعترف لنفسها هناك الكثير من أحلامها تركته، لا
بل نسبيته في هذا الدرج المهمل، فتحت الدرج.. وجدت كثيراً من الحروف
تلومها، بل بعض الحروف تتهمها، كيف تركت كل هذه الأحلام ترتطم بصخرة
الحياة، حاول أحد أحلامها أن يقف ويدافع عنها، لكنه تراجع للخلف.

صمت طويلاً وهو ينظر لها: من أنت؟

أجابت: أنا من كنت أغزل أجمل الأحلام.

أنكرها الحلم وقال: أعرف جيداً من كانت تغزل الأحلام هنا.

كانت عذبة مشاكسة ضحوكاً.

قالت: ربما أنا بعض من بقاياها.

لم يتكلم الحلم مرة أخرى، بل سكت واختبأ بين الحروف، فأغلقت

الدرج وخرجت.

في أجنحتها القديمة خطت "نور" أحلامها، أحلاماً بسيطة وممكنة لم

تطلب المستحيل، بل طلبت أقل القليل، لكن حلم السعادة كان هو سبب

وأد كل أحلامها البسيطة.

في شقتها بمنزل عائلة زوجها تضع "نور" طعام الإفطار لتطعم أمها المريضة العاجزة عن الحركة، والتي كلّ بصرها، ولا ترى به إلا بصيصاً من النور بفعل مرض السكري والروماتويد الذي نهش شبابها وأقعدها عن الحركة وهي في منتصف الثلاثينيات من عمرها، شبت "نور" وهي ترى أمها قعيدة ووالدها يقوم بخدمتها وخدمتهم دون شكوى وبكل الحب والتفاني، وتراه يقبل يد أمها ويطمئن عليها ويفقد طعامها وملابسها وفراشها، كان يعاملها كأمرعى وليدها لا كزوج حُرْم من زوجته الشابة الجميلة وهي في ريعان شبابها بعد أن أنجبت له "نور" وأختاً لها وأخوين آخرين، وكان - رغم مرض أمها - البيت دائماً نظيفاً، وملابسهم نظيفة والطعام متوفرًا لهم، لا تعلم "نور" كيف كان كل شيء يسير على ما يرام وأمها لا تقوى على الحركة إلا لخطوات بسيطة وقتها!، ولكنها كانت ترى والدها يعامل أمها بهذا الحنان وهذا العطف فتمنى أن يرزقها الله بزواج مثله يحنو عليها ويرعاها، وكان هذا أول أحلامها، كانت تحلم ببيت بسيط صغير بأثاث قليل، لكنه ممتلئ بالحب والأطفال؛ فهي كانت تعشق الأطفال، كانت تتصور نفسها تطعمهم وتعلمهم وتصنف شعر ابنتها وهي ذاهبة إلى المدرسة؛ فأما كانت لا تقوى على ذلك، بل كان والدها هو الذي يصنف لها شعرها أو جارتهم الطيبة التي كانت تتفقدهم وتتفقد أمها وقت انشغال والدها، هكذا رأت "نور" الحياة الزوجية بيتاً هادئاً يتكلم فيه الأب والأم بصوت هادئ، وأطفالاً لا يتشاجرون بل يتسابقون لخدمة بعضهم البعض،

وكان الله جعلهم هكذا حتى لا يكونوا عبئًا على الأب الذي يحتاج لمن يرعاه ولا على أمهم التي لا تقوى على رعايته ورعايتهم.

أخذت "نور" تطعم أمها وهي صامته، والأم تشعر أن ابنتها بها شيء لا تبوح به، تسألها فتجيب:

- سلامتك يا ماما، مفيش حبيبتى.

ولكن الأم تميز نبرة صوتها وأنفاسها الساخنة، وكان ما يعتمل بصدرها يخرج نارًا تشعر بلهيبها أمها، فتقول:

- هو إنتِ فاكره عشان مبشوفش أبقى مش حاسة بيكى!، بس إنتِ عمرك ما حتقولي فيكى إيه، خليكى اكنمى فى قلبك كده لغاية لما تقعي من طولك.

يمرّ اليوم على "نور" وهي تشغل نفسها بأعمال البيت والتنظيف وغسيل الملابس وتحضير طعام الغذاء لزوجها وأولادها حتى لا تشعر أمها بما تعانیه، تربط نفسها في ساقية الحياة وتدور معها تخاف أن تتوقف لترتاح فيتوقف كل شيء وتخسر كل شيء فلا تجد أمامها إلا أن تربط على أمها حجرًا وتكمل!، وكيف تتوقف ومصير حياة أولادها وسعادتهم وأمانهم مربوط معها في نفس الساقية، هي من تملك زمامهم وزمام كل الأمور، هي التي تأخذ بالها من كل صغيرة وكبيرة، وتسرع لإنقاذ هذا وإصلاح تلك.

تزوجت صغيرة، كانت لا تزال في أوائل مرحلتها الجامعية، زوجها

كان هو حلمها الذي تحقق؛ فطموحه كبير ويميّنها بأن تعيش كملكة متوجة، أحبته، بل ذابت فيه وجعلته فلکها الذي تدور حوله، أينما ذهب تكون معه، تراقبه بحب، عينها على لفتاته فقد يحتاج أي شيء فتسرع بتلبيته، أحبت صخب عائلته وهي التي تعودت على الهدوء؛ لأنها عائلته، أحبتهم جميعاً لأنهم منه وهو منهم، تعودت على حياتهم وعاداتهم المختلفة عما عرفته في بيت أبيها من أجله، من أجل أن تثبت للجميع أنه أحسن الاختيار، وأن أهلها أحسنوا تربيتها! كان عندما ينام تظل مستيقظة تراقبه، وتتأمل فيه كوليدها وتدثره بالغطاء، وتقبل كتفه وتدعو الله أن يديم وجوده، حبها الشديد له جعل الغيرة تدب في قلب شقيقته التي تقيم معها في نفس البيت الكبير فكانت تترصد لها الأخطاء وتفتعل معها المصادمات وتكيل لها الاتهامات الباطلة لتوغر صدر شقيقها ضدها وصدر أمها "حماتها"، لكنها لم تفلح لأن "نور" كانت تحرص على رضا زوجها فتهدئ كل صراع منها، وكلما أشعلت ناراً للحرب أطفأتها؛ فيئست منها وتركتها، لكن مافي القلب في القلب، اختزنته تنتظر الفرصة لبث سمومها ضدها.

أكملت دراستها الجامعية بمساعدة زوجها؛ فأحبهه فوق الحب حباً آخر، حباً ممتناً لحمله ظروف مذاكرتها وأوقات امتحاناتها جعلت من هذه المراعاة الطبيعية جميلاً فوق رأسها خاصة أنها أنجبت ولدها البكري، وكانت تتركه في رعاية حماتها أو أخت زوجها الأخرى التي كانت تحبها، وبعد أن أنهت دراستها أنجبت ابنتها الجميلة فلم تسع للعمل، بل تفرغت

لولديها ترعاها وتهتم بكل صغيرة وكبيرة كعادتها، كانا قرة عينها، وبعد ولادتها لابنتها بشهر توفت صديقتها المقربة وهي نفس الوقت ابنة خالة زوجها وهي تلد مولودها الأول، وكانت صدمة وفاتها هائلة على كل العائلة خاصة "نور" التي أحست أنها فقدت شقيقتها وليست صديقتها، ويوم وفاتها حملت وليدها تبكيه وتبكي أمه.. فتعلق بها وبدأ يبحث عن صدر ليرضعه فقد كان يصرخ من الجوع بعد أن فقد صدر أمه ورائحتها وصوتها وحنانها، ضمته إليها بقوة وجلست لترضعه؛ فشبغ ونام. وأخذت تنظر إليه وقد وقع حبه في قلبها، وكيف تتركه بعد أن تعلق بها هكذا ونام بأمان بين ذراعيها!.

ذهبت تبحث عن زوجها وطلبت منه، بل توسلت إليه أن يقبل أن تربي هذا الرضيع مع أولادها، وافق زوجها فقد كان الأمر لا يقبل الرفض، وهو يرى مصاب موت ابنة خالته على زوجها وعلى أمها، أخذت "بلال" ليتربى مع ابنها وابنتها، ووافق والده بأن يبقى عندها حتى يجد حلاً.

كانت "نور" ترضعه فتشبعه أولاً وتجعله ينام، ثم تقوم بإرضاع ابنتها بما تبقى من لبنها، وكانت تشبع هي الأخرى وتنام، فالله أرسل رزقه معه فلم يسلبها منه شيئاً.

مرت الشهور، وتزوج والد "بلال"، ورفضت الزوجة الجديدة أن تقوم بتربية ابنه؛ فحمدت "نور" ربها، فقد تعلقت به كأنه ابنها بل هو ابنها فهي أمه ولا يعرف أحداً غيرها.

ومرت السنوات، وكبر "بلال" ودخل المدرسة مع أخته، وتحقق حلمها بتمشيط شعر صغيرتها وتجميلها وهي ذاهبة إلى المدرسة بصفاتها اللامعة المعقودة بعناية.

دخلا المدرسة المشتركة القريبة من منزلها سوياً وفي نفس الفصل، كانت توصلهم صباحاً وتوصي ابنها على أخيه "بلال" وعلى أخته، لكن ابنها الذي كان يكبره بثلاث سنوات كان يحس بالغيرة منه لحب أمه وعطفها الزائد عليه، وكانت "نور" تفهمه دائماً لأنه يتيم وحتى لا يشعر أنه غريب بينهم، لكن هذا التبرير لم يقنع طفولة ابنها الذي يرى "بلال" يتصدر كل حنان وكل حب من أمه، غيرته لم تكن مؤذية فحس خلقه منعه من إيذائه، لكن غيرته منعه من التودد إلى "بلال" فكان يتركه ليلعب مع أصحابه، ويرفض أن يأخذه معه إلى أي مكان، فلا يجد "بلال" غير حنان "نور"؛ فارتبط ارتباطاً كبيراً بها.

في تلك السنوات كان عمل زوج "نور" الحكومي لا يكفي للإنفاق على أبنائهم الثلاثة؛ فباعت "نور" ما تملك من حليّ مع ميراثها من أبيها، وأعطت المال لزوجها كي يبدأ مشروعاً خاصاً مع أخويه.

كانت الأرباح قليلة لكنها كانت تكفي بالكاد طلبات البيت الكثيرة مع تدبير "نور" ودخولها جمعيات مع جيرانها ومعارفها؛ فنجحت في توفير كل شيء يزيد عن مقدرة زوجها!

كانت فترة هادئة في حياة "نور" وأولادها المتفوقين دراسياً؛ فقد وصل ابنها للسنة النهائية في المرحلة الثانوية، بينما "بلال" وأخته في أواخر المرحلة

الإعدادية، لكن هدوء هذه الفترة لم يدم فقد كان هدوءاً يسبق العاصفة، ففي يوم كان هو الفيصل بين حياة وحياة، اشتكى زوجها من آلام مبرحة بساقيه استدعت عملية كبرى، وفرت ثمنها "نور" بعد أن استدان ولجأت لأمها، فأعطتها من مالها ما أكملت به ما تحتاجه من مال، كان نجاح العملية وقدرة زوجها على السير مرة أخرى تحتاج معجزة كما قال لها الطبيب، لكنها كانت على يقين أن الله سيشفيه فقد لجأت إليه بالدعاء والصلاة والصيام وإخراج الصدقات رغم ديونها لكي يشفى زوجها، ومنَّ الله عليه وعليها بالشفاء بعد أن تركت العملية عجزاً بسيطاً في الحركة، لكنها كانت تمنعه من استمراره في عمله الحكومي الذي قدم لهم فيها حالته بعد أن أعلمته "نور" أن له تعويضاً كبيراً يصرف له عند الخروج على المعاش المبكر، كانت "نور" تبحث وتساءل في كل مكان عن مخرج لها ولزوجها من حالتهم المادية التي تدهورت بسبب هذه العملية، فلما علمت بأمر هذا التعويض أسرع لتقول لزوجها، وتم له صرف مبلغ جيد من المال؛ فأشارت عليه أن يشتري به نصيب أخويه في التجارة بعد أن خسروا فيها؛ لعدم متابعتهم لأعمالهم فعرضوا نصيبهم للبيع، وقالت له إنها ستساعده وتقف معه ولن يخسروا مالهم مثلهم.

وبعد أن سددت "نور" ديونها اشترى زوجها نصيب أخويه، وبدأ في تجارته وهي تساعده وتقوم بكل الأعمال كي تريحه وكي تُنجح هذا المشروع، لم تكن تنام إلا سويقات قليلة، فتقوم وهي تجر نفسها جراً من التعب والإرهاق؛ لتقوم بمهامها العديدة كأم لثلاثة أبناء وربة بيت، تنظف

وتحضر الطعام، وزوجة أخ كبير تهتم بأمه وطلبات منزل العائلة، وكزوجة تليبي نداء زوجها وقتما يريد، وكعاملة تدير بهمة ونشاط كل ما يتعلق بتجارته من توريد وشحن وتخليص.

قسمت نفسها أجزاءً على الكل، ونسيت نصيبها من نفسها، كان يمر اليوم ولا تنظر لنفسها في المرأة أو تهتم بنفسها أو تترتاح قليلاً، فكلما جلست لتأخذ أنفاسها وجدت أحداً ينادي عليها أو هاتفاً يطلب منها أن تسرع هنا وهناك، إرهاق وتعب ظهر على وجهها وعلى صوتها وضحكتها التي لم تعد تُسمع كما كانت من قبل، فكانت جادة معظم الوقت، عقلها يعمل حتى وهي نائمة.

مع نجاح "نور" في إدارة المشروع بدأت معاملة زوجها تتغير خاصة أنها كانت مشغولة ومرهقة دائماً، وهو لا يستطيع مجاراتها في نشاطها وحركتها الدؤوب، بدأ يسفّه منها ومن إنجازاتها وينسبها لنفسه، ويتهمها بأن لولاه لخسر المشروع بسببها وبسبب قراراتها الغير مدروسة، كان يتعمد أن يظهرها أمام أهله وأهلها أنها لا تفهم، وأنه لولا يقول لها افعلي هذا وذلك على النحو الذي يشير إليه ما فعلته على الوجه الصحيح.

لم تعباً "نور" بتصحيح صورتها أمام الجميع، فكل ما كانت تهتم له هو توفير حياة كريمة لأولادها بنجاح المشروع، وعدم ضياع رأس مالهم، لكن معاملته الخاصة وعاطفته معها تغيرت، ووجدت أنه يتعد عنها ولا يتودد إليها كما كان يفعل، ولاحظت تغير سلوكه بإطالة النظر للنساء من حوله ومطاردتهم بنظراته بشكل لافت يحرجهما ولا يقيم لوجودها اعتباراً.

جاءتها يوماً سيدة مطلقة تشتري منهم بضاعة بالتجزئة، واشتكت لها سلوك زوجها معها وأنه يراودها عن نفسها، وأنها لن تذهب عنده بمفردها بعد الآن وتريد بقية مالها عندهم، وأعطتها حقها وهي لا تصدق ما سمعته من تلك السيدة، وعندما راجعته لتبين أنكر وأنهم السيدة أنها تتحجج لتهني التجارة بينهما، لكن تنامي المواقف المتشابهة مع أخريات؛ جعلها توقن أن حال زواجها في خطر وانهايار، حاولت أن تتقرب منه وتصلح من شأنها واهتمامها بنفسها وعلاقتها الخاصة، لكنه لم يكتفِ بها واستمر يحاول التقرب من أخريات، إلى أن علمت أن زوجها يريد الزواج بأخت تاجر يتعامل معه وأنه أقنعها بالقبول بعد أن شرح لها مأساته؛ لأنه متزوج من امرأة عجوز ومريضة ولا يجد عندها ما يريد!

من أوصلت لها هذه الكارثة كانت قدراً صديقة مشتركة بين هذه السيدة و"نور" فكذبت ما قاله لها، وجعلتها تتراجع عن الزواج به، لكنها لم تستطع أن تخفي عن "نور" ما حدث فأبلغتها كي تتصرف معه، وواجهته وأنكر وتوالت الحكايات وتوالى الإنكار، وكان كل همها ألا تصل هذه التصرفات لأبنائه؛ فيتوقفوا عن احترام أبيهم، فكانت تخفي كل هذا عنهم وعن أقرب المقربين منها حتى أمها التي لا تريد أن تغير صورته لديها وهو يعاملها مثل أمه وبكل الحب والاحترام.

وفي خضم معاناتها، جاء استدعاء من مدرسة "بلال" الذي كان في هذه الآونة في مرحلة الثانوية، وبدأ يتراجع قليلاً عن تفوقه وبدأ يتكاسل

عن الصلاة وحفظ القرآن كما كان يفعل، فذهبت وحدها لتتحرى ما الأمر بعد أن رفض زوجها الذهاب معها، وقال إنه لا دخل له؛ فهي المتولية أمره في كل شيء فلتكمل مهمتها، علمت هناك أن سلوكه أصبح عدوانياً، ويتسبب في إيذاء نفسه وزملائه، وأوصوها بعرضه على طبيب نفسي.

كانت هذه المصيبة أكبر من قدراتها؛ فهي لم تقصر في تربيته، بل كان دائماً هو الأول وتبديه عن ولديها، فلماذا يسلك هذا السلوك العدواني مع الغير وهو معها مثل الطفل الصغير المطيع الذي دائماً يحتضنها ويقبل يدها ورأسها!

كانت الوحيدة التي تحسن التصرف معه والوحيدة التي كان يسمع كلامها، لكن ظل حاله مع أخيه كما هو، ينامان في غرفة واحدة لكن لا تواصل بينهما، جعلت "بلال" يتشاجر كثيراً معه، وكان ابنها يشكو لوالده أن أمه لا تنتصر إلا لـ "بلال"! وانضمت ابنتها لأخيها وبدأت تلوم أمها على هذا الإفراط في تدليل "بلال" على حساب أخيها وحسابها.

كانت "نور" تعلم أنه يحتاج للحب والعطف، لكنه أصبح أكثر عنفاً مع أخيه وأخته، وبدأ يسبهما ويتشاجر معهما على أنه الأسباب.

لم تجد "نور" مفرّاً من عرضه على طبيب نفسي بعد أن فشلت كل محاولات تهدئة حالته، وصف له الطبيب دواءً مهدّئاً، فكان كأنما يخدره؛ فكان يمضي يومه نائماً، وتأخر مستواه في الدراسة، ورفض أن يذهب إليها؛ لأنه لا يتلقى فيها غير الإهانة واللوم على تأخره الدراسي.

أصبح بيت "نور" بعد أن كان ملاذًا للراحة والهدوء؛ أصبح الصباح والشجار وكسر الأشياء هو الموقف المتكرر كل فترة، ضجّ كل من في البيت من سلوك "بلال" وطلبوها بإيجاد حل، وأن يذهب لبعض الوقت عند والده وجدته، ولكنه كان يرفض بشدة الذهاب إلى هناك خوفًا من عدم عودته لأمه "نور"، كم حاولت معه أن تقنعه لكنه لم يكن يوافق إلا إذا ذهبت معه وانتظرته حتى يعود معها، فكانت تعلم أن هذا الحل لن ينفع ولن يكون.

أصبح زوجها يمضي معظم وقته خارج البيت هربًا مما يحدث داخله من شجار وصياح، وهي لم تعد تتابع تجارته؛ لأنها تفرغت لـ "بلال" حتى لا يؤدي إخوته، وضجّ ابنها هو الآخر وكان لا يحضر للبيت إلا عند النوم حتى لا يتواجه مع "بلال"، وكان يستذكر دروسه عند أصدقائه، وابنتها كانت تتركها وحدها مع "بلال" وتذهب عند عمته في نفس البيت فهي لا تحب رؤية أمها تقوم كل يوم بتهدئة "بلال" وإقناعه بأن يفعل كذا ولا يفعل كذا، ووسط كل هذه الأزمات علمت "نور" أن زوجها سيتزوج؛ فلا سر في منطقتهم فالكل يعرف الكل، فأخبرته بما سمعت فأنكر كالمعتاد لكنها لم تستطع هذه المرة أن تحول بينه وبين ما يسعى منذ فترة. وكان يوم زواجه هو نهاية دورانها في فلكه؛ فقد انهارت وهي تراه يتجمل ويذهب في سفر طارئ كما ادّعى، وهي تعلم أنه ذاهب ليعقد على أخرى أنكر علاقته بها وكان يصفها بأنها في عمر أمه!

كان على "نور" أن تتماسك ولا تظهر ما بها أمام الجميع، فيكفي ما يحدث داخل بيتها بين أبنائها، ولكن أخته التي كانت تنتظر اللحظة لكي تخرج حقدتها القديم جاءتها لتقول لها إن أباها تزوج، وكأنها تلقى عليها مصيبة لا تعلمها، فقالت لها إنها تعلم ولن تطلب الطلاق، ولن تعطيها فرصة للشماتة فيها وأخرجتها من بيتها ومن حياتها للأبد.

تحملت "نور" خداع زوجها وتظاهرت أنها لا تعلم، وهي ترى اهتمامه بالأخرى وغيابه المتكرر وتأخره في كثير من الليالي بحجة العمل، ولكن بعد فترة لم تستطع أن تتحمل كل هذه الضغوط وكل هذا الكذب والخداع منه؛ فواجهته بأنها تعلم بأمر زواجه فلم يستطع الإنكار هذه المرة، وكأنه استراح من إخفاء الأمر فقد ترك البيت بعد هذه المواجهة للمبيت عند زوجته الأخرى، وادّعت "نور" لأولاده أنه سافر من أجل تجارته حتى تجد مخرجًا مما هي فيه.

تركها ولم يترك لها مالا، ولم يسأل عنهم لأيام، وكانت "نور" تسأل الله الستر والمعونة، فكان يرسل لها ما يغنيها عن سؤال الناس من خلال مستحقات متأخرة لتجارة زوجها تقبضها بدلًا منه كما كانت تفعل من قبل.

وحدها "نور" ظلت وحدها،

وحدها مع الألم والحسرة،

وحدها مع التفكير الذي سلبها النوم والرغبة في أي زاد..

وحدها مع "بلال" الذي لم تتحسن حالته، والذي كثيرًا ما كان يخرج غاضبًا هائجًا، إلى أن جاءها اتصال من أحد أصدقاء ابنها يخبرها أن "بلال"

تعرض لحادث بعد أن صدمته سيارة مسرعة وقد نقل إلى المستشفى، مادت الأرض بـ "نور" وهي لا تعلم مدى سوء حالة "بلال"، فاتصلت بزوجها لكي تخبره فوجدت هاتفه مغلقاً، واتصلت بوالد "بلال" فلم تجده وتركت له خبراً مع زوجته، بينما هي في طريقها للمستشفى القريب تجري ودموعها تغرق وجهها ولسانها يلهج بالدعاء كي ينقذ الله ابنها "بلال".

وصلت للمستشفى وهي تصيح وتسال: ابني فين، ابني جراه إيه؟ والكل ينظر بأسى لها مشفقاً عليها، أخبرتها ممرضة الطوارئ أنهم لم يستطيعوا إنقاذه.

تصرخ "نور" متسائلة في ذهول: يعني إيه؟ يعني ابني مات؟ تردد الممرضة: البقاء لله.

أسلم "بلال" روحه لبارئها، وأسلمت "نور" أمرها لله، بعد موت "بلال" عاد ابنها لغرفته، وعادت ابنتها لغرفتها، وعاد زوجها ليقيم بصفة غير دائمة معهم، وعاد الهدوء القاتل إلى بيتها، لكن نور لم تعد..

فقد أخذ "بلال" ما تبقى من قلبها وروحها معه، بعد أن سُلبت منها أحلامها ونزع من داخلها الأمان وخسرت رفيق دربها وخرجت من فلكه تائهة في فضاء لا يسع خيبة أملها، ويبقى هناك نور لـ "نور" يضئ لها ظلمة هذا الفضاء تراه أملاً في ابنها وابنتها، وتعيش من أجله.

جاء يوم السفر للإسكندرية فتوجهت "أمال" لمحطة القطار مبكرًا قبل موعد القطار بأكثر من نصف ساعة لتقابل "صفاء" بعد أن حجزت لها معها مقعدًا، وفضّلت "جنة" أن تبقى مع أخواتها؛ لأنها لن تشعر بالراحة بين صديقات والدتها دون أن يكون معهن بنات في مثل عمرها، ولكي تساعد "سلسيل" المشغولة بإتمام أوراق لها من الكلية؛ لكي تتمكن من السفر مع خطيبها الذي اقترب موعد قدومه للزواج، وبالطبع لم تترك "سندس" هي الأخرى أختها بمفردها وهي التي تريد ملازمتها في كل دقيقة حتى يحين موعد سفرها.

استقبلت "أمال" "صفاء" في المحطة، والتي جاءت قبل موعد القطار بعشر دقائق في سعادة؛ لأنهما سيسافران معًا لأول مرة، فهي أول مرة لـ "صفاء" بالقطار، وأول مرة لـ "أمال" دون بناتها وأم محمد كما اعتادت في السابق! أعطتها "أمال" تذكرة العودة حتى لا تنساها معها؛ لأنها ستعود غدًا للقاهرة، فقد رفض زوجها أن تطيل الإقامة أكثر من ذلك، والذي بدأ في محاسبة زوجته وسؤالها أين تذهب ومع من؟، ويطلبها مرارًا على الموبايل ليعرف ماذا تفعل منذ أن اهتمت بنفسها، وأنقصت وزنها واستعادت جمالها ورشاقتها!

وقالت "أمال" وهي تعطيها التذكرة:

- أنا كمان مش حاطول هناك عشان البنات لوحدهم، حارجع بعدكي

- ألف مبروك لسليل يا أمولة، عقبال أخواتها يارب وتفرحي بأولادهم.

- الله يبارك فيكي، عقبال أحفادك يا صفصف يا غزالن إنت، أنا مش مصدقة عيني والله، أنا مبهورة باللي عملتيه.

وضحكت صفاء في سعادة وهي تقول: شوفتي بقى ده فضل من ربنا، ودعوة مستجابة يا أمال بأدعيها بقالي سنين، وسبحان الله كل شيء بأوان، قدرت أخيراً أتحكم في إدماني للأكل وأخفّ.

قالت لها أمال وهي تسحبها من يدها:

- تعالي نكمل كلامنا في القطر طالما موجود في المحطة ليسرقنا الكلام ونلاقيه بيتحرك من غيرنا.

وصعدتا للقطار الذي كان منتظراً موعد الانطلاق لرحلته نحو مدينتهم المفضلة؛ فجلست "أمال" و"صفاء" متجاورتين، أمالت "صفاء" رأسها ناحية "أمال" وبادرتها بسؤال فيه كثير من الشفقة عليها مما مرت به:

- قوليلي الأول، إنت عاملة إيه يا أمال؟

- الحمد لله رب العالمين، الأمور ماشية والدنيا ماشية..

وتحرك القطار فجأة؛ فهزهما برجة خفيفة فضحكت وقالت:

- والقطر كمان ماشي.

فضحكت صفاء وقالت:

- الحمد لله، وفي ميعاده بالثانية، يتحسد.

ردت آمال مبتسمة:

- عشان كده لازم آجي قبل ميعاد القطر بنص ساعة على الأقل، بابا
الله يرحمه عودنا على كده، كان دايمًا يقول القطر مبيستناش حد، إحنا اللي
نستناه، مكانش أيامه قطارات بتتأخر خالص.

- الله يرحمه ويرحم والدي، الواحد من غيرهم مبقاش له سند ولا ضهر.
رشقت هذ الجملة قلب "أمال" مثل سهم أصاب سويداءه؛ فتنهدت بألم:
- آه والله، ربنا يرحمهم برحمته يارب.

- فرصة يا أمال واحنا لوحدنا أشكرك، بجد وجودك في حياتي إداني
قوة كبيرة، كلامك معايا كان بيرن في وداني في كل محاولاتي اللي قبل كده،
والمرة دي كمان لقبتك معايا، وكنت بتديني قوة وحقولك على سر، أنا
كنت حاطة مقالتك "عيشي حرة" على باب التلاجة، كل ما الشيطان يوزني
أروح أكل أقف وأقرأ المقالة وأقرأ جملتك اللي كاتبها في آخر المقال،
عيشي حرة من كل قيد فالله خلقنا أحرارًا، وأفتح التلاجة وأخذ جزراية،
وأقطم فيها زي الأرنب، بس أرنب حر. (وتضحك صفاء في سعادة).

ضحكت "أمال" وفي نفس الوقت تعجبت فقد سمعت نفس المديح
من "تهاني"، فالواضح أنها نجحت مع الآخرين وساعدتهم بشكل أو
بآخر، ولم تنجح مع نفسها!

فقلت: تشكريني على إيه، لولا إنك قوية وعندك إرادة مكانش أي كلام أثر فيكي، إنت اللي حررتي نفسك بقوة من ربنا حبيبتي، أنا طيارة من السعادة إنني شايفاكي فرحانة وبتكلمي بالثقة دي، وماشاء الله باين عليكى الحيوية والصحة.

- أه، الحمد لله، أنا كنت وصلت لمرحلة كنت باحتضر فيها لما أمشي أو أتحرك أو أضطر أطلع سلالم وحاجات كتيرة تانية، بس ربنا أمر بالستر. قطع كلامهما مفتش القطار جاء ليتحقق من التذاكر وخطَّ عليها بقلمه، وأرجعها لـ "أمال" مبتسماً متمنياً لهما سلامة الوصول، همت "أمال" أن تسأل "صفاء" سؤالاً، ولكن عامل البوفية كان قد جاء لمقعدها بعربته النقالة فطلبت منه فنجاناً من القهوة، وطلبت "صفاء" مثلها لكنه أخبرهما أن القهوة مكانها هناك في آخر العرب، وأن ما معه مشروبات ساخنة وباردة فقط، فطلبتا كوبين من الشاي، بينما ترتشفان الشاي والقطار يطوي المسافة بصوت عجلاته الرتيب على القضبان؛ عاودت أمال الكلام وقالت: إنت بدأت تنقصي وزنك من إمتى؟

- من سنة وشوية، بس مكانش تقليل أكل بس.. مكنتش حاوصل للنتيجة دي، أنا أخيراً استخدمت الجيم اللي عندي، كنت كل ما اشوف جهاز جديد على التلفزيون أو النت أبعث اشتريه، وبعدين يتركن جنب إخواته لحد لما جه الوقت واستخدمتهم، بس مقولكيش بقى على أول مرة.. كانت مسخرة.

وتضحك وتحكي لها أنها حاولت تشغيل آلة المشي ولم تتبه أنها كانت على سرعة عالية فطرحتها أرضاً، وظلت محتضنة الأرض أكثر من عشر دقائق غير مصدقة أنها تستطيع أن تقوم أو تتحرك. ضحكتنا سوياً على مغامراتها المتعددة على الآلات الرياضية حتى وصلت الآن أنها أصبحت من ضمن نشاطها اليومي.

وطوت الحكايات والضحكات المسافة في وقت قصير وانتبهتا على قرب دخول القطار لمحطة سيدي جابر، والركاب يستعدون للنزول بالتجمع عند الأبواب، وقد أذهلتها سرعة الوصول، أسرعتا بالتحرك ناحية الباب وكل منهما تحمل حقيبة خفيفة، وفتحت الأبواب بعد توقف القطار واستقبلتهما نسيمات الهواء المحملة بعبق المدينة التي تعشقانها فأخذتا نفساً عميقاً.

وقالت صفاء: آااه يا اسكندرية، وحشتيني..

وصلت سيارة الأجرة للفندق الشهير الفاخر على شاطئ البحر مباشرة، وتبقى ساعتان على موعد اللقاء المرتقب مع بقية النونز، فتوجهت كل من "أمال" و"صفاء" لغرفتيهما لكي تستعدا للقاء وترتاحا قليلاً من تعب السفر. فتحت "أمال" الشرفة الكبيرة المطلة على البحر مباشرة، فقد اختارت الطابق الأرضي كي تكون قريبة من البحر، وخلعت حجابها وجعلت الهواء يتخلل خصلات شعرها وهي تستنشق الهواء مغلقة عينها كأنها تعبى كل خلاياها بنسمات البحر لتزيل عنها أي أثر للتعب أو الألم وهي تردد: الله، الله.

ووجدت صفاء تنظر ناحيتها من شرفتها المجاورة لغرفتها، وتقول:

- مش قادرة يا أمولة أتفرج على البحر من البلكونة ومنزلش!، أنا بقالي سنين نفسي أمشي حافية على الرمل وأحس بالمية، أنا حانزل تيجي معايا واللا تعبانة؟

- تعبانة إيه! وهو إحنا جايبين نرتاح، دول يومين ومش حنشع منها، ياللا بينا.

هللت صفاء فرحة: حبيتي يا أمولة، طيب قدامك أد إيه؟

- أنا جاهزة. يدوبك ألبس الطرحة وأفتح الباب ياللا بينا.

وضحكتا سوياً، وأعادت "أمال" وضع حجابها على رأسها، وتوجهت للباب ووجدت "صفاء" تنتظرها فسارت معها في الممر المؤدي للشاطئ.

قالت صفاء وهي تملأ أنفاسها من نسيم البحر العليل: ياااااه يا أمال، أنا حاسة إنني طفلة صغيرة رايحة تنفسح، فرحانة جداً، صحيح نفسي أنزل البحر وأببط زي زمان، لكن بلاش طمع، حاكتفي بالتمشية وأبل رجلي وأنا مشمرة البنطلون كده.

- تعرفي أنا عمري ما نزلت البحر!

علاقتي بيه علاقة حب شديد لكن من بعيد لبعيد، ماما وبابا الله يرحمهم من أصل ريفي، ومكانش عندهم بنات تنزل البحر، وحتى بناتي برضه والدهم منعهم ينزلوا البحر، وده شيء مزعلني جداً، إن مفيش

شواطئ تقدر الستات تنزل فيها البحر من غير اختلاط، حمامات السباحة أكيد مش بتدي إحساس البحر..

- ياااه البحر ده متعة تانية خالص، لما كنت زمان بأنزل مكنتش بأبقى عايزه أطلع، بصي تعالي نروح تركيا سوا.. فيه هناك شواطئ للستات، متخافيش أنا سمكة وحاعلمك العموم.

تضحك أمال وتقول: عشان ننزل البحر نروح تركيا!، ما البحر أهوزيه بالظبط بس للأسف مفيش لنا حق فيه، يا تنزلي بهدومك وده شيء مش حلو خالص.. يا تنزلي بمايوه وده مستحيل أعمله.

تقول صفاء وهي تعيد فكرة السفر: أنا باتكلم جد، بعد ما تجوزي سلسيل حيبقى لسه وقت في الصيف نروح أسبوع أنا وإنّ وسندس وجنة، ونقول للنونز اللي عايزة تطلع معانا.

- نفكر فيها يا ست بلطية، إنّ كنت في جرّة وطلعتي لبرّة يا صفصف، وجوزك حيوافق!

تأففت صفاء وقالت: أووه، ماهو ده بقى السايديفكت بتاع الخسسان، بقى فجأة كده بيبغير عليّا! ويسألني بأروح فين وحتأخر أد إيه، وبقى بيبلاحقني بالموبايل، ده مرضاش أبداً يخيليني أقعد اليومين معاكي وقالي لازم أرجع بكره. نظرت لها أمال مبتسمة: عنده حق بصراحة يغير على القمر ده، إنّ أصلك مش متصورة إنّ احلويتي جدّا، وحجابك الجميل ده مخليكي أحلى وأحلى.

تضحك صفاء فرحة: قمر بالستر يا أمولة، ما أنا كنت قاعدة زي شوال البطاطس في البيت مكانش بيعبرني، وكان مطمئن إن مفيش حد حيصلي وأنا حجم عائلي، دلوقت ابتدى يحس إنني ست؟

- طيب نقول اللي لنا واللي علينا، هو صح إنك كنتي تسيبي وزنك يزيد بالشكل ده يا صفاء أكيد كان مآثر سلبًا على علاقتك بجوزك.

- صحيح، كلامك مضبوط، لكن هو أهملني من قبل ما أتخن، وكان ييقضي معظم وقته مع أصحابه زي ما كتبت في القصة، ليه دلوقتي ابتدى يحس بيًا ويغير عليًا؟

- هو عنده كام سنة؟

- عنده ٦١ سنة، بس شكله أكبر من سنه بكثير، بيصبغ شعره عشان يداري الشعر الأبيض، لكن سنه باين على وشه، من السهر والدخان والبلاوي اللي بيشر بها مع صحابه!

- هو بيشر بلاوي؟!!

- والله يا أمال مانا عارفة، أهو كان بيرجع من سهراته هاف منه روايح لها العجب، ومكنتش برضه بأفتح بقي عشان بأخاف من عصبيته، اللي بيخليني زعلانة من إنني خسيت إنه رجع يتودد ليًا، وعايز بقى يعيد أيام الشباب بعد سنين ميقربش مني غير في السنة مرة ولا مرتين ويبقى قرفان مني وكأنه مغضوب عليًا!! حيندمني إنني خسيت! ومش عارفة أعمل إيه؟

- ده حقه يا صفاء، متقدريش تمنعيه من حقه، أو مال متجوزك ليه!

- هو بس متجوزني عشان كده! ده كده فعلاً يكون زي اللي مأجرني،
فين المشاركة والمشاعر والأحاسيس والحنية؟

تفهمت أمال تمامًا مقصدها وقالت: طيب حتعملي إيه؟

- مش عارفة، أنا مش طايقاه وفي نفس الوقت خايفة منه جدًّا، إنتِ
متعرفهوش لِمَا بيكون عصبي بيعمل إيه!، ده بيقعد يكسر في الحاجات
وبيبقى زي المجنون، لو طلبت الطلاق ممكن يعمل فيّا حاجة خصوصًا
دلوقي، وهو بيشك فيّا ويقول لي إنتِ إيه اللي خلاكي تهتمي بنفسك كده؟،
ومش مصدقني إن ده عشان نفسي وصحتي، كأن لازم الست تكون مهتمة
بنفسها بس عشان الرجل!

- دي حقيقة وواقع، إحنا كستات غالبًا مش بنهتيم بنفسنا غير عشان
نتخطب ونتجوز، وبعد الجواز والخلفة والرضاعة بتتحول الست لكائن آخر،
وبأحجام زي مصارعي السومو، وبعدين نزعل بعد كده لو أجوازنا بصوابرة!
تضحك صفاء وتتساءل: إيه مصارعي السومو دول؟!؟

تضحك أمال وتقول: حابقي أوريكي صورهم، حاجة كده زيك قبل ما
تخسي، متضر بنبيش.. ها..

- لأ، متخافيش، أنا عارفة إنني كنت كارثة بشرية، بس كنت مستريحة
منه، أهو ده اللي جبته لنفسني من الخسسان!

- إوعي ترجعي للأكل تاني يا صفاء.

- لأ، طبعًا، هو أنا مجنونة، بس بجد مش عارفة أعمل إيه؟

- نقول للنونز مشكلتك ونسألهم يمكن حد يكون عنده حل، وبعدها

نتكلم عن مشكلة كريمة، مش عارفة الوقت القصير ده حيكفي إيه واللا إيه!

- ياللا نرجع بقى، زمانهم على وصول، يادوبك نرجع، إحنا بعدنا أوي.

وتسرع "صفاء" و"أمال" في الرجوع للفندق للقاء النونز، وفي طريق

العودة تسأل أمال صفاء: قوليلي يا صفاء، فترة إهمال جوزك لكي قعدت

سنين وزى ما فهمتيني قبل كده من بعد وفاة حمااتك الله يرحمها، إن اللي

خلاكي تتحجبي وتقربي من ربنا أوي هي الوحدة دي؛ كتي بتقضي وقتك

إزاي غير في الطبخ والحلويات والأكل؟

تتنهد صفاء مستجمعة شجاعته: حاقولك بصراحة شديدة، وأنا عارفة

ومتأكدة إنك أمينة على أسراري، كانت فترة صعبة جدًا عليا، ودخلت فيها

النت أتسلى وأضيع وقتي لقيتني أنا اللي حاضيع، هناك سهل تنحرفي أخلاقياً

والسحب شديد جدًا، وناس بتضحك على بعض، وناس متخصصة تصطاد

اللي زيي اللي داخلين يدوروا على الونس، ومعظمهم للأسف متجوزين!

بينما تحكي "صفاء" هذه الفترة كانت "أمال" تستمع وفي ذهنها

عشرات المشاكل التي وردتها لنفس الموضوع، والتي تطورت في بعض

الحالات لعلاقات آثمة حوّلت حياة أصحابها لجحيم مقيم!

وواصلت صفاء كلامها: لمّا لقيت نفسي بانسحب زي المسحورة جوّا العالم ده؛ حسيت إنني بعدت، وأهنت نفسي أوي، وأنا متجوزة وحرام وعيب اللي باعمله حتى لو كنت محافظة في كلامي، لكن كان بيظنوه تمنع! وقررت أنقذ نفسي، وقلت بناقص التت وسينيه رغم إنه كان يسرق الوقت بشكل عجيب، وده اللي كنت بأدور عليه.. إنني ما أحسش بالوقت ولا تكتكة الساعة ولا صوت الصمت المخيف، وملقتش غير ربنا ألجأ له وأحتمي فيه وبه.

تصمت "صفاء" هنيهة - وهي تتذكر تلك الليلة الفاصلة في حياتها، وتكمل: يومها قفلت الكمبيوتر وأنا مخنوقة جدّا، حسيت إنني عايزة أصرخ؛ فلقيتني رحت اتوضيت ووقفت أصلي ودموعي مغرقة وشي، وسجدت وأنا مش عارفة أسجد من تخني؛ فرميت نفسي على الأرض أبكي وأبكي وأتوسل لربنا ينجدني..

واختنق صوت "صفاء" بالبكاء وهي تحكي، فأشفقت عليها أمال، وقالت: حبيبتني متعيطيش، أنا أسفة فكرتك بحاجات ضايقتك.

- لأ، لأ. أبداً بالعكس، أنا بأبكي شكر لله، إمتنان لربنا لأن علاقتي بربنا اتغيرت خالص بعد اليوم ده، وبقيت مداومة على الصلاة، ووظبطت حجابي ولبسي ومعاملاتي مع الناس، وحتى مشكلتي مع جوزي.. بقت أشوفها إن لولا المعاناة اللي أنا فيها مكنتش يمكن قربت من ربنا كده أكثر، فمبقتش أندب حظي، وبقيت أحمد ربنا على طول، ومبقتش أفكر أبداً أدور على مشاعر نقصاني بعيد عنه، حتى وهو مش معبرني كده!

ودخلت بعد فترة انت بشخصيتي الحقيقية أدور على صحبة صالحة
تعيني على ديني ولقيتكم ولقيتك، واطلعت منك حاجات كثير واطلعت
مع صحبة تانية إزاي أقرأ القرآن اللي مكتش باعرف منه غير الفاتحة وكام
سورة قصيرة كنت بأصلي بيهم وقت يعني لَمَّا كنت بأصلي، وكمان اتضح
إني كنت بأقولهم غلط!!

وعرفت أد إيه أنا كنت مقصرة في حق ربنا وفي حق نفسي، السنين
دي هي السبب في اللي وصلته دلوقت، خلقتني من جديد بس لكل شيء
أوان، فالحمد لله رب العالمين.

- ألف حمد وشكر، ربنا يرضى عنك يارب يا صفصف.

وابتسمت لها وقالت: امسحي دموعك يا صففاء، وصلنا أهو مش
حنقابلهم معيطين كده.

ابتسمت صففاء: دي دموع الفرحة يا أحمد!!

وضحكتنا في سعادة وود.

وعلى مدخل الكافية المطل على الشاطئ وجدنا بالفعل أن كريمة
كانت أول الواصلات، ورأتهما فأقبلت تهوول وهي تهلل وتصيح: مش
معقول يا صففاء، الله أكبر، أنا معرفتكيش غير من أمال! حبييتي أمال.

وتبادلن القبلات والأحضان والشوق الصادق والمشاعر المحبة الخالصة

لله،

وجاءت بعدها "علياء" تحمّل ابنها يحيى في حمالة على صدرها، تسابقن للترحيب بها وحمل ابنها منها والذي يروونه لأول مرة، وقبل أن يجلسن وصلت كل من "منيرة" و"شمس" وأحدثن جلبة كبيرة في الترحاب ببعضهن البعض وخاصة لابنهارهن بما وصلت له "صفاء" .. ولابن "علياء" الذي كان يضحك لهن؛ فزادهن صياحًا وفرحًا، وقدمن الهدايا لابن "علياء" وبعض التذكارات الجميلة من "منيرة" أحضرتها لهن من أمريكا، وبعد أن هدأن قدّمن واجب العزاء لـ"أمال" في أم محمد، وقرأن لها الفتحة، وتكلمن عنها بكل الحب والدعاء لها بالرحمة والمغفرة، وبعد قليل جاءت المشروبات والجاتوه احتفالاً بجمعتهن.

وقالت منيرة: أنا مش مصدقة عنيا يا صفاء!، ما شاء الله عليكى، إنجازك ده بيتعمل بيه مسابقات وبيتأخذ عليه آلاف الدولارات في أمريكا. ضحكت صفاء: الصحة والحيوية اللي أنا شاعرة بيهم والله ميسويهمش أي مال، الحمد لله رب العالمين، وإنّ كمان يا منيرة خسيّتي جدًّا. وعلياء ماشاء الله عليها ولا كأنها مخلّفة ومحتفظة برشاقتها.

علياء: أنا بآكل أكل الأيام دي!، لكن الرضاعة ساحبة مني الغذاء كله الحمد لله، وكمان بأمشي وأتحرك كثير، أنا واخدة بالي جدًّا من مسألة التخن دي، بآكل كثير بس أكل صحي.

منيرة: أنا لازم أحافظ على نوعية الأكل، أنا وجوزي مبقناش في سن يسمح بأي أكل مش صحي.

تتنحج كريمة وتقول: طيب خليكوا إنتوا بقى في الأكل الصحي وسيبوني أنا أخلصلكم الجاتوه.

يضحكن، وتقول صفاء: خدي بالك يا كريمة، الجاتوه ده المخزن بتاعه الهاناش والأرداف، اسأليني أنا، خبرة ٣٠ سنة حلويات، وأصعب دهون تنزل في الرجيم.

كريمة: ومين قالك إني حاعمل ريجيم، أنا مش تخينة أوي!، كلهم عشرين كيلو عمى.

صفاء: متحوليش الموضوع لضحك يا كريمة، متعمليش زيي، بعدين صحتك مش حتستحمل الهزار ده.

كان "يحيى" ابن "علياء" يضحك كلما ارتفع ضحكهن؛ فزاد الجلسة ألفة وجمالاً. وأخذته أمال من علياء لتحمله وتلاعبه وقالت: قوليلي يا علياء لو كان اتأخر حملك تفتكري كانت حياتك حتمشي عادي مع زوجك وحماتك؟

علياء: بمعرفتي حالياً بزوجي وحماتي أقولك لأ، ما كانوش هيربطوا بين سني وتأخر الحمل، لكن اللي يضحك إن أمي كانت مقررة إنه لو محصلش حمل على طول أول الزواج هنروح لدكتورة وده بعد أول شهر زواج! يعني اللي كانت هتعمل الربط هي ماما مش حد غريب، بس إنت معاكي حق فعلاً، في حالات أعرفها لبنات تزوجوا في منتصف الثلاثينيات وأزواجهم وحمواتهم كمان لَمَّا ماحصلش حمل على طول حصلت مشاكل.

أمال: يعني الموضوع متوقف على تقبل أمر الله من الزوج والحماة!
 كريمة: ماهي ممكن كانت تتجوز وهي صغيرة وربنا ميرزقهاش
 بالخلفة برضه، حصلت كثير.

شمس: في الحالة دي من حقه يتجوز؛ عشان يخلف.

صفاء: وهي مش من حقها تطلق وتتجوز في حالة إن العيب منه؟

علياء: من حقها ومن حقه ومن حقنا كلنا نعمل اللي يسعدنا، بس إحنا
 ثقافتنا مش بتقبل ده، وإنّ يا شمس مقومة الستات عليك في الفيسبوك
 بموضوع التعدد، كل شوية تفتحيه لحد لما اتهموكي إنك عايزة تتجوزي
 واحد متجوز!

تضحك شمس وتقول: كان ماي إكس حجر عليا، هو مطلقني بس
 حططني تحت الوصاية، مطلقة مع إيقاف التنفيذ، مطلقة بس مش من حقي
 أفكر مجرد تفكير في الزواج!

منيرة: ليه؟! هو من حقه يتجوز وإنّ لآ ليه؟ ولادك كبروا وصبيان
 يعني مرتبطين بأبوهم أكثر.

شمس: خالص، مرتبطين بيا أنا، البنات بيبقوا مرتبطين بأبوهم أكثر من
 الصبيان، سبحان الله.

أمال: صحيح فعلاً، أنا عندي جنة انهارت بعد طلاق من أبوها؛ لأنها
 كانت مرتبطة بيه جداً وأكثر واحدة اتأثرت يمكن عشان هي الأصغر، لكن

هي حبيبتي كانت دائماً بتعمل كل حاجة عشان خاطر بابا، البنات عاطفتهم الأولى بتكون متوجهة ناحية الأب دائماً، عشان كده بتبقى عايزة زوج يعاملها بحنية الأب.

كريمة: والراجل عايز واحدة تعامله بحنية أمه، وتحملها له ولغلطاته وتقصيره! يمكن عشان كده جوزي راح اتجوز واحدة أد أمه!!

علياء موجهة كلامها لصفاء: عندي سؤال يا صيفف، ممكن؟
صفاء: اتفضللي حبيبتي، قولي اللي إنت عايزاه.

- ليه لَمَّا أولادك كبروا مطلبتيش الطلاق من الأستاذ صلاح؟

تسأل صفاء باستغراب: صلاح مين؟!

علياء: الأستاذ صلاح جوزك، إنت كاتبة اسمه في القصة!

تقهقه صفاء ضاحكة، وتقول: آه صلاح، لأ. ده اسم مستعار يا لولو، إحنا مش اتفقنا نكتب قصصنا بأسماء مستعارة ونغير شوية في الحاجات اللي تخصصنا عشان التمويه ورفع البصمات وكده، بالنسبة لسؤالك بقى، لسه كنت بأتكلم مع أمال واحنا بنتمشى قبل ما تيجوا، الموضوع مش سهل خالص؛ لأن جوزي عصبي جداً، ولَمَّا بيغضب بيكون فعلاً زي الرجل الأخضر، ده مش مبالغه ولا هزار، بيتحول لواحد تاني زي المجنون يكسر الحاجات ويرميها.. فلو طلبت الطلاق مش حيكسر الحاجات حيكسرنني أنا، ويمكن يموتني، عشان كده استسلمت، لكن أنا عندي مشكلة دلوقتي

أهم من أي حاجة، أنا من ساعة ما خسيت وهو بقى بيتودد ليا بشكل مبالغ، وأنا مش طايقة الموضوع ده، ومش عارفة أعمل إيه!

منيرة: قوليله مش عايزه، هوّه بالعافية؟

ضحكت صفاء بيأس: بأقولك الرجل الأخضر تقوليلى أقوله مش عايزاك! حتتفعيني إنت بقى يا منيرة، وأنا متجسدة فى المستشفى.

شمس: اتحججى بأى حجة.

صفاء: معدش فيه حجج، أنا بلغت سن اليأس، ومعنديش عذر شرعي وحتى لو اتحججت مرّة اللي بعديها أعمل إيه؟!

تمتت شمس: همّا لا بيمينهم عذر شرعي ولا غير شرعي.

سمعتها أمال فقالت: تعرفى فعلاً يا شمس، مشكلات كانت بتجيلي بخصوص الموضوع ده، وكانت منهم بتشتكي من زوجها إنه مش بيحلاله يقرب منها إلا وهي في فترة الدورة الشهرية!، وكان بيطلب منها حاجات حرام، وكانت مكسوفة تشتكي منه لأهلها، وكانت بعثالي تعمل إيه؟!

كريمة: أعوذ بالله، ودول رجالة دول! دول أبالسّة وخنازير، لكن يا صفاء ليه إنت رافضاه نفسياً كده؟ ما إنت استحملتيه عمرك كله!

صفاء: مش عارفة يا كريمة، يمكن عشان أهملني جدّاً في الفترة اللي تخنت فيها، وكان بيتريق عليّ، وجاب نفسيّتي الأرض، وياما بكّاني على حالي، دلوقت مش عايزه أديله ثمرة تعبي يتمتع بيها وقت برضه ما يحلاله.

منيرة: ماهو يا صفاء كده حتجيبني مشاكل كتيرة لنفسك، لازم تشوفي حل، ولازم تقررري يا تعيشي معاه زوجة وله كل الحقوق عليك يا تطلبي الانفصال!، أنا مش شايفة لها حل تالت.

أطرقت صفاء وهي تعلم أن كلام منيرة صائب: عندك حق، مفيش حل تالت.

وأعقت منيرة تدعو لها: ربنا يحلها إن شاء الله.

كريمة - وهي تنظر ليحيى وهو نائم - توجه حديثها لعلياء وتقول: ماشاء الله عليك يا يحيى، أحلى سن ده يا علياء، استمتعي لأن بعد ما يكبروا شوية بيجنونا ويخلونا نصرخ طول النهار، همّا بيبقوا عسل وهمّا بياكلوا ويناموا كده.

شمس: أنا صوتي بيتنبح وأنا طول النهار ورا ولادي أشيل وراهم وأعلق هدمهم، وأشيل الأطباق وأتكعبل في شنطهم وحاجتهم لّمّا حاسة إني عايشة في مستشفى للمجانين!

منيرة: كل الأمهات مع الجيل ده كده حتى مرات ابني الأمريكية بتزقق أكثر منّا، ولّمّا بأقولها بالراحة على الولاد وأطبطب عليهم ترعل وتتقمص، وبتتهمني إني بأبوظ عليها تربية أولادها، كنت في الأول بأزعل ويمكن أعيط منها بس لّمّا قعدت مع نفسي لقيتني لو مكانها وحماتي عملت معايا كده حازعل زيبها، فبطلت خالص أتدخل، وبالوقت بقت هي اللي تيجي تسألني أعمل إيه في كذا وكذا.

صفاء: اللي خلاني أحب حماتي أوي كده الله يرحمها وندمت إنني معشتش معاها من الأول إنها وأنا معاها في نفس الفيلا عمرها ما اتدخلت وجات مع أحفادها ضدي، كان ابني يجري عليها عشان تحوشه عني تقوله اسمع كلام ماما وروح اتأسف لها، أنا مش موجودة.

أمال: حماتي كانت طيبة ومكتتش بأشوفها إلا في المناسبات، لكن معاملتها اتغيرت ليًا لِمَا عرفت إنني مش حاخلف تاني، ماكتتش تقريبًا بتتكلم معايا.

علياء: سبحان الله، الستات بيعاملوا الستات اللي زيهن باضطهاد وجبروت رغم إن المفروض يكونوا حنينين على بعض!، ماهي في الأصل كانت زوجة ولها حماة، كانت تحب حماتها تعاملها كده! أو تعتبر مرات ابنها زي بنتها هي ترضى لبنتها تطلق!، أو جوزها يعاملها وحش أو يتجوز عليها بدون سبب!؟

شمس: متفتحنيش يا علياء في موضوع الجواز التاني، مش لازم يكون فيه سبب، ربنا شرع للرجال يتجوزوا طالما عندهم القدرة الصحية والمالية حتى لو مراتهم مفيهمش عيب.

علياء معترضة: بصي، أنا مع التعدد قلبًا وقلبًا لكن بسبب، واحد عايز يخلف ماشي، واحد مراته عيانة ماشي، لكن غير كده يتجوز ليه ويقهرها!؟

شمس: قولتلك متفتحنيش في الكلام، كلامك مش مضبوط، أيام الرسول صلى الله عليه وسلم كان فيه تعدد بدون الأسباب دي، والستات كانت راضية ومفيش مشكلة، كان فيه غيرة لكن غيرة حب على الزوج، وكانوا بيتسابقوا يرضوه إزاي.

صفاء: وشهريار ده بقى مش بيتسابق ليه يبسط مراته ويعاملها زي الرسول عليه الصلاة والسلام ما قال "رفقاً بالقوارير" دول بيعاملونا كأننا بلاليص مش قوارير!، الواحدة منّا ناسينها في البيت ومهيصين بقى مع حالهم! لَمَّا تبقى أخلاقهم زي أخلاق الصحابة يبقى يعملوا زيهم!

"شمس" و"كريمة" تتكلمان في نفس واحد؛ فتتداخل الأصوات، ولا أحد يميز ماذا تقولان؛ فتشير لهما "منيرة" لكي تهدها. وقالت وهي تبسم: واحدة واحدة يا نونز عشان نفهم بتقولوا إيه، وكمان حتصحوا يحيى.

فتسكت شمس، وتقول كريمة وهي تصف حالها من واقع قصتها: يعني بعد ما الواحدة يطلع عينها وتخلص شبابها على شهريار - على رأى صفاء - وتقف جنبه في كل أزmate وتخدمه برّه وجوّه، وتربي عياله؛ تكون مكافئتها إنه يتجوز بدون سبب!، أنا مع علياء إن التعدد شرع ربنا مفيش كلام ومن حق الراجل مفيش كلام، لكن لَمَّا يكون فيه سبب ولَمَّا ميكونش فيه ظلم لمراته اللي شقيت وتعبت معاه.

أمال: طيب ليه تتعب وتشقى معاه؟ ليه ما تتجوزش اللي يغنيها عن التعب والشقا ويستتها وترضى بمستواه، أم محمد - الله يرحمها - كان جوزها فقير وقت ما اتجوزته ورفض تمامًا إنها تشتغل أو تساعده، وكانت طايرة من السعادة بيه وبتحبه على حاله الضيق، وعملت من الفسيخ شربات، وخلّت بيتها جنة الكل بيحسدها عليه.

كريمة: قسمة ونصيب يا أمال، والواحد بيرضى بنصيبه واللي ربنا كتبوله.

أمال: لأ، مش صحيح، الرضا مش حد الكفاف، الرضا حد الكفاية، الرضا هنا إنه يكون مالي العين والروح، ويكون هو الكفاية حتى لو كانت الكفاية هنا هي الكفاف نفسه، بس حيكون فيه وقتها رضا مش حتعايره بتعبها وشقاها ووقفها جنبه وتطالبه بقى بتسديد الفاتورة، اللي مخلي الناس تعبانة وتاعبة اللي حوالها إن مفيش رضا حقيقي بالمعنى ده.

كريمة: أنا طول عمري راضية وقانعة، وكنت أتمنى أعيش في بيت صغير مفيهوش غير كليم ومرتبة وضروريات العيشة بس أكون سعيدة.

أمال: أنا مش باتكلم عن حالتك إنتِ يا كريمة بالتحديد، أنا باتكلم عموماً، ومع ذلك هل إنتِ اكتفتي بالكليم والمرتبة واللا سعيتي عشان تحسني مستوى بيتك عشان أولادك؟

كريمة: لأ منكرش إنني سعيت لحياة أحسن عشان أولادي، وهو ده غلط؟

أمال: لأ مش غلط، بس مش مطلوب منك إنتِ اللي تحققيه، ده دور جوزك، إنتِ أخذتي دوره وسديتي عنه وتعبتي جداً، عشان كده حياتك معاه كلها تعب، يمكن جوازه مكانش أثر فيكي كده لو مكنتيش تعبتي أوي كده، وكنت متستتة في بيتك.

منيرة: حتى لو كانت متستتة يا أمال ماكنتش حتقبل برضه، مفيش ست بتقبل جوزها يتجوز عليها غير لو كان مجتمعهم بيقبل ده زي دول الخليج مثلاً. شمس: التعدد ده شرع ربنا، ومينفعش نقول ينفع هناك ومينفعش عندنا.

كريمة: إنت أكيد محبتيش جوزك يا شمس، عشان كده مش هامك لو كان راح اتجوز عليكى لكن أنا حبيته، أنا مكنتش أعرف من الدنيا إلا هو، وكان هو دنيتي كلها.

شمس: لآ، غلطانة، مين قالك إنى محبتوش، بالعكس أنا كنت مبهورة بيه، وكنت صغيرة وهو راجل وسيم وشيك وابن ناس، وكنت طائرة بيه لكن أنا رومانسية جداً وهو كان بيعتبرني مراهقة وطفلة. زي أمال بالظبط، أنا تقريباً النسخة الإسكندراني بتاعة أمال، ربنا مش حيشرع التعدد عشان يظلم الست بالعكس ده نجدة ليها.

علياء: نجدة ليها إزاي يا شمس؟ أنا أعرف حالات حصل فيها زواج تاني والزوجة الأولى أصرت على الطلاق وبيوت اتخربت بسبب ده، وأولاد اتعقدوا أو انحرفوا أخلاقياً ودراسياً، وبلاوي كثير.

شمس: أيوه بيحصل كده عشان مش فاهمين التعدد والراجل مش بيعدل، أخلاقه زفت أصلاً، إحنا محتاجين نتربى صح عشان نتعامل بما يرضي الله، كل المشاكل والخلافات اللي بتوصل للمحاكم ولحد الانتقام والأولاد يستخدموهم سلاح ضد بعض؛ ده لأنه مفيش حد بيتقي الله وحاطه قدام عنيه، بيتصرفوا كأن مفيش ربنا مراقبهم وحيحاسبهم!

أمال: التعدد مش مباح للكل يا شمس، التعدد مباح للي ينطبق عليه شروطه، يعني الغير قادر مادياً ملوش يعدد، والغير قادر صحياً ملوش يعدد، واللي متجوز وبيخلي مراته تشقى معاه عشان تسد عنه ملوش يعدد لَمَّا ربنا يفتح عليه طالما

مقلهاش إن ده حيحصل لو زاد ماله، فين الرحمة بالزوجة لَمَّا يتجوزها صغيرة وشابة وبصحتها وبعدين وقت ما تكبر وتتعب من الخلفة والشقى، ولأنه هو لسه عنده طاقة وقوة وزاد ماله؛ يقهرها ويتجوز عليها! وخصوصاً إن لولا وقفها جنبه مكانش فعلاً قدر يعمل حاجة، الرحمة فوق العدل يا شمس.

شمس: أيوه بس ده حقه، ربنا اذّاله الحق ده.

أمال: حقه مرهون بعدم الظلم، إذا كان مطلوب منه يعدل في كل شيء إزاي يقدم على جواز جديدة وهو ظالم؟! وكمان ثقافة المجتمع بتاعتنا لازم تتغير، ولازم البنات تختار صح، ومتنسيش التعليم والإعلام بيشكلوا الوعي فإحنا بتتكلم في شيء عايز ثورة فكرية على كل اللي اتعلمناه عشان نعرف نطبق شرع ربنا صح، إنتِ عندك كل بنت شايفة الحب "أحمد ومنى"، "روميو وجوليت"، "قيس وليلى"، مفيش أحمد ومنى ومديحة ونوال، مفيش روميو وجوليت واليزابيث وفكتوريا!! الجواز عندهم فرداني، واحدة بس.

شمس: إحنا بنقف قدام شرع ربنا يا أمال ومانعين الحلال عشان الأنانية اللي عندنا وحب التملك، إنتوا فاكرين العنوسة مش سببها إننا بنحارب شرع ربنا! حتى الست المطلقة أو الأرملة ممنوع عنها الجواز، التعدد حيحل مشاكل كتير، ربنا بيحلها لنا واحنا اللي بنصعبها على نفسنا! أمال: معاكي وقلتي اللي بناقشه بقالنا ساعة، إنه بيحل مشكلات بشروط، لكن لو مفيش مشكلة يبقى ليه نخلق مشكلة ونظلم ناس معانا، شرط التعدد العدل، واللي فوق العدل الرحمة.

يقطع حديثهن ومناقشتهن الساخنة، الله أكبر، تعلن أذان العصر؛
فيرددن الله أكبر، الله أعظم.

وتردد كريمة: الله أكبر على كل ظالم يارب، ياللا نقوم نصلي في
المسجد يا نونز.

أمال: طيب نطلب الغدا قبل ما نروح عشان لَمَّا نرجع نلاقيهم حضروه.
كريمة: غدا إيه! أنا لازم أمشي، قعدتكم ميتشبعش منها بس عندي
حاجات مهمة جدًّا لازم أروح أعملها.
علياء: متكلمناش عن قصتك يا كريمة.

كريمة: يعني اتكلمنا شوية، بس أصل الكلام اتشعب ومش حيقضي
كل حاجة، أنا قدامي ساعة وأمشي.

أمال: طيب تعالي بكره من بدري، أنا لسه قاعدة بكره، تعالوا نتكلم سوا.
صفاء: ليه الخيانة النونية دي بقى، هو ينفع تتكلموا من غيري، منك
لله يا اللي في بالي.

تضحك أمال: معلش يا صفصف دي فرصة، معرفش حتقابل إمتي
تاني، حابقي اقولك على كل اللي اتقال.

صفاء ضاحكة: ينفع تسجلهولي؟

تضحك كريمة وتقول: وبعدين تهددونني بيه بعد كده يا الدفع يا حنقول
لجوزك.

تضحك النونز وتقول منيرة: مش عارفة يا أمال حاقدرا آجي بكره واللا لآ، حأرد على كريمة بالليل أو حاقولك.

علياء: أنا للأسف مش حاقدرا آجي عشان عندي شغل، ومقدرش أسيب يحيى طول اليوم مع ماما من غير رضاعة، وحتى لو روحت وأخذته مش حاالحق أقعد معاكم.

أمال: لأ حبييتي، طبعا مينفعش، بيتك وجوزك وابنك أهم من أي حاجة. علياء: والله جوزي مش بيمانع خالص إني أخرج مع صحباتي وخصوصا إنه بيرجع متأخر، لكن المشكلة في يحيى، بس برضه زي صفاء ما قالت ينفع تسجلهولي، وتضحك.

- وإنّ يا شمس؟ (سألها أمال)

شمس: حاشوف برضه زي منيرة، وأرد عليكي بالليل لما أروح وأشوف العيال الصغيرة اللي بشنبات اللي عندي في البيت ظروفهم إيه.

- طيب على خيرة الله، ياللا نروح نطلب الغدا ونصلي العصر. (ردت

أمال وهي تهتم للقيام من مجلسها)

تركن مكانهن وتوجهن لمكان الطعام في الكافية، وطلبن من المسئولين هناك وجبات الغداء لهن دون كريمة، وقيل لهن إن الطعام سيكون مجهزا خلال ساعة، ثم توجهن للمسجد للصلاة. وفي طريقهن للعودة استأذنت علياء للذهاب للحمام؛ لتنظف ابنها فأعطتها "أمال" مفتاح غرفتها كي تستخدمها،

وأرشدتها إلى مكانها القريب، وأكملن طريقهن للكافية فوجدن مكانهن لم يعد شاغراً، وأخذ من قبل آخرون؛ فتوجهن للمطعم مباشرة للجلوس هناك انتظاراً للطعام الذي ما زال أمامه وقتٌ للانتهاء منه، رغم أن المقاعد لم تكن مريحة مثل المكان الآخر، لكن لم يجدن بديلاً عنه.

قالت منيرة موجهة كلامها لأمال: أمال، أنا مش عارفة ليه قلقانة من الكتاب يكون مجرد تفرغ شحنة لنا ومحدث يستفيد من تجاربنا دي وتفضل العادات الموروثة والثقافة والإعلام والتعليم زي ما بتقولي همّا المسيطرين على حياتنا بكل أخطاءها ومعارضتها في كتير منها للدين.

أمال: إحنا علينا نقول اللي نعرفه، لكن النتيجة وتأثيرها على الغير دي مش في إيدنا إحنا.

كريمة: تعرفي يا منيرة مش حتصدقني، أنا لما كتبت قصتي، حاجات فيا اتغيرت وبقيت أشوف الصورة أوضح من الأول لما كنت كاتماها في نفسي، زي ما تكوني بتشوفي قصة حياتك قدامك بكل تفاصيلها وبتشوفها من بعيد فتلاقي حاجات مكتتيش شايفها قبل كده، فلو الكتاب محدش استفاد منه أنا متأكدة إننا حنستفيد منه، واحنا من الشعب يعني. (وضحكن)

أمّنت على كلامها صفاء: بالظبط زي اللي حصل لي وأنا بأكتب بطبيعتي كده، ولولا إن ربنا أمر بالستر كنت حكيت حكايات كتير وطلعت كل اللي جوايا، لكن اللي كتبتة ريحني جدّاً، وشوفت زي ما قالت كريمة حياتي في الكام صفحة دول رغم إن اللي جوايا كتير أوي!

منيرة: أنا كمان والله عمري ما مسكت قلم من ساعة ما اتخرجت
عشان أكتب حاجة وكمان بالعربي فكنت فرحانة زي العيال الصغيرة وأنا
باكتب والاقى نفسي منستش الكلام زي ما كنت متخيلة!

أمال: الكتابة هي أكثر وسيلة للتعبير عن اللي جوانا، واللي بتكتبوه
أجمل حاجة فيه مش استعراض اللغة لكن الصدق والعفوية بتوصل
للقلب؛ لأنها من القلب، وأنا ضامنة واحدة من القراء حتستفيد جدًّا من
الكتاب يا نونز.

سألت كريمة وصفاء معًا: مين؟

أمال: الحقيقة مش واحدة بس، همّا ثلاثة، بناتي، لكن قلت واحدة
وهي سلسيل؛ لأنها مسافرة زيك يا منيرة لأمريكا، وأكيد لما تقرأ تجربتك
حتستفيد منها، وإزاي عشتي في مجتمع غريب عنك طول السنين دي، وهي
متابعة معانا وعاجبها جدًّا كمية الغم والنكد الأسري اللي في مجموعتنا.

ضحكن، وقالت شمس: مش قولتلكم ده كتاب عاهات!، عبرة لمن

لا يعتبر.

صفاء: ليه بس، ما احنا زي الفل أهو، وعاشين، محدش مات من
الزعل ولا القهرة، يعني صحيح إحنا عيطنا في حياتنا وسحينا دموع ولا
أسطورة أوزوريس كان ممكن يعمل بيها نهر إحنا كمان بس نسيمه نهر
الغلب، لكن في النهاية عايشين، وصلحنا حياتنا وعرفنا أخطاءنا واستفدنا
منها، ولو عاد بينا الزمن مش حنكررها تاني.

منيرة: الحمد لله بالنسبة ليّأ أنا حاعمل نفس اللي عملته لو الزمن عاد بيّأ، حياتي سعيدة الحمد لله ومكتتش أتمناها أحسن من كده.

أمال: إنتِ وعلياء، النموذجين المضيئين في الكتاب يا منيرة، الدنيا مش كلها قصص فاشلة زينا كده.

شمس: صح. وممكن تكتبي قصة أم محمد نموذج للجواز الصح رغم إنه كان قصير.

تنهدت أمال وقالت: الله يرحمك يا سعيدة، كانت بتقولي حكايتي تنفع تكتبيها لكن مقدرش أكتبها بدون إذن منها.

شمس: ليه؟، ماهو كلامها ده إذن، وبعدين عندك جوزها استأذني منه لو وافق ضميها للكتاب عشان بس ميقاش فعلاً كتاب حانوتية كده.

ابتسمت أمال وقالت: فكرة برضه، حاكلمه واستأذن منه، أنا نفسي أكتب عنها كتب مش كتاب.

كريمة: وجواز أمي وأبويا والله ما شوفت راجل بيعامل ست بالحنية دي رغم إنها كانت معظم الوقت عيانة!، وفي آخر أيامه كانت كمان فقدت بصرها من السكر وهو اللي كان بيعملها كل حاجة، أنا مشوفتش راجل زيه كده.

صفاء: وكمان والد ووالدة علياء كانت بتقول في والدها شعر، وكتبت إن جوزها طالع حنين زي والدها.

أمال: مش ملاحظين، إن معظم جوازات الجيل اللي قبلنا ناجحة وجميلة وتتحدى زي الأساطير! حتى الزيجات العادية مكانش فيها المشاكل والمحاكم والبهذلة اللي بنسمع عنها الأيام دي، إيه اللي حصل؟، فين الغلط اللي خلانا واحنا تربية الجيل ده نبقى معظمنا جوازة فاشلة!، وفيه كمية تعاسة تكفي العالم؟. كريمة: الغلط زي ما قولتي إننا مبقناش ستات زي أمهاتنا، وبقينا رجالة بشنات قايمين بدورهم ونسينا دورنا وبقينا نقول راسنا براسكم.

شمس: صح، الحالة المادية للزوج هي العامل الأول للي بينجح أو يفشل الجواز.

أمال: يعني قصدك الراجل ميعبوش غير جيبه؟ لأ، معتقدش. ماهو كتير من الزيجات مرتاحة مادياً ومفيش سعادة.

منيرة: هو زي ما قولتي يا أمال، الرضا وحد الكفاية، الناس مش راضية عن حالها.

وجاءت علياء وابنها يضحك كعادته، وقالت: اوعوا تكونوا قولتوا حاجة مهمة وأنا مش هنا؟

ضحكت أمال وقالت: فعلاً، كنا بنقول كلام مهم جداً عن خوف منيرة محدش يستفيد من الكتاب، وكنت بسأل ليه أغلبية الزيجات للأجيال اللي قبلنا ناجحة وسعيدة وبنحكي عنها زي الأساطير زي نموذج والدك ووالدتك يا علياء!

جلست علياء بعد أن أخذت كريمة منها ابنها تلاعبه، وقالت:

- بالنسبة لخوف منيرة إن مفيش حد حيستفيد من الكتاب أنا أول واحدة استفدت، وكل كلمة باقرأها منكم بتتحط حلقة في ودني، وبأحلل كل قصة وأشوف الغلط فين، وإيه اللي كان ممكن يصلح الموقف ده أو ده وباطبق اللي باستفيد بيه مع نبيل، أما بقى عن سعادة الجيل اللي قبلنا عننا فمتهيألي إن السبب إن المجتمع نفسه.. فكرة الطلاق دي مكنتش واردة خالص، وكمان مكانش العالم منفتح زي دلوقت، والراجل كان بيشف مراته ملكة جمال رغم إنها ممكن متكونش جميلة، كان فيه احترام لفكرة الزواج نفسه على إنه شيء مقدس وجوازة العمر زي ما يقولوا، مكانش فيه هيفاء ونانسي!

أمال: كلامك صح يا علياء، بس في موضوع هيفاء ونانسي لأ؛ لأن كان فيه مارلين مونرو وهند رستم ورقص شرقي وفساتين عريانة ومايوهات وكل حاجة، ده كان فيه كمان أماكن دعارة مرخصة! ومكانش الحجاب منتشر ولا حتى معروف، ولبس السواريه والقصير من غير أكمام منتشر بين الستات، لكل زمن هيفاءه ونانسيه يا علياء!!.

لأ، المسألة مش كده، الراجل هو الراجل على مر العصور، وكلهم بيصوا للجميلات حتى العواجيز بيصوا! وكان كمان التعدد عادي جدًّا، أنا جدي لوالدي كانوا متجاوز اتنين وفي نفس البيت، بس الثقافة اختلفت زي ما قلنا.

شمس: شوفتي، كانوا بيتجوزوا أكثر من واحدة ويعيشوا في نفس البيت مع بعض، وأنا جدتي أم أبويا كانت الزوجة الثانية وكانت بتحكي إن اللي ولدتها هي ضررتها! مكانش فيه الغل والأنانية اللي احنا فيها دلوقت عشان كده كانوا مبسوطين. أمال: أيوه ماختلفناش، عشان كانت ثقافة المجتمع قابلة ده مكانش فيه ظلم للزوجة الأولى، مكانتش الست بتسد عن جوزها، صلحي الحاجات دي وبعدين طبقي التعدد، إحنا والله مش مختلفين عن إن التعدد حق ونعمة ورحمة وكل حاجة بس حقيقي ظروفه وشروطه الصح الأول.

يا ست شمس الشموسة، إحنا ثقافتنا غربية بحتة كل حياتنا تطبيق للحياة الغربية، دلوقت فيه بنات عايشين في شقق لوحدهم ومستقلين تمامًا عن أهلهم، ودعوات للعلاقات خارج الزواج، وعايزة تقنعي جيل يفكر كده إن التعدد هو الحل!! حيتهموكي بالتخلف والرجعية، وإنك عايزه ترجعهم لعصر الحرملك، وفيه رجالة كمان ضدك! وبعدين جمعيات حقوق المرأة اخترقت حتى المجتمعات الخليجية وبقوا بيحرضوهم يثوروا على وضعهم الاجتماعي والديني، الموضوع أكبر من نداء على صفحتك الأدبية، ده حصيلة غرس أكثر من ٨٠ سنة.

شمس - وهي تهز رأسها موافقة لتحليلها ساخرة من محاولات الغرب لتغيير مجتمعاتنا - : آه، عايزينهم يبقوا سعداء زينا كده، جاتهم خيبة.

منيرة: يعني همًا يعني اللي سعدا بحياتهم اللي كلها أمراض نفسية دي!! بنات هناك بتحمل من علاقات وهمًا عندهم ١١ و ١٢ سنة، مجتمعاتهم بايظة

وحالات اغتصاب وتحرش ملهاش حصر! ولولا إنا محوطين على بناتنا وبنعلمهم الدين واللغة وعادتنا كانوا بقوا زيهم، وفيه كثير من العجالية العربية اسم بس لكن حياتهم بقت زي الأمريكيان بالظبط، اللي صاب الأجيال الجديدة هنا صابهم هناك بمراحل، البعد عن الدين خلّى كل شيء مباح، دول بيتجوزا الكلاب والقطط!، ده غير مصيبة جواز الشواذ، اللهم احفظنا.

علياء: لمّا بسأل والدتي عن سبب إن الجوازات زمان أفضل وبتدوم كانت بتقولني.. عشان الست كانت ست والراجل راجل، يعني فعلاً ممكن يكون ده سبب المشكلة.

شمس: أعتقد إن الموضوع كان تركيبة على بعضها.. إعلام وتعليم وتربية وقدسية الزواج والراجل راجل والست ست، كل واحد شايف دوره صح وقانع بيه. هو فيه سعءاء بس قليلين وكمال بيخافوا يقولوا إنهم سعءاء عشان الناس بقت عنيتها تخرم التعريفة!

تضحك كريمة: ياااه، دا إنت قديمة أوي يا شمس!، هو فيه تعريفة دلوقت، قولي تخرم الجنية.

تضحك شمس وتقول: قديمة قدم الوجع يا كريمة، تعرفي أنا اللي خلاني أفضل في جوازي إني شخصية رومانسية جدًّا، وجوزي ملوش في اللون ده خالص، تحطي زيت على مية وعايظه تدويهم مع بعض إزاي! مهما تقربي حبيجوا في الآخر ده فوق وده تحت، زمان بقى لو أمي أو جدتي مكانتش حاولت تقلبه أو تمزجه عشان يبقى زيها كانت حترضى بيه زي ماهو وتحبه كمان زي ماهو. لكن لا هو رضي بيّا كده ولا أنا رضيت بيه كده.

كريمة: يعني واحدة تانية تشوف جوزك لقطه وتقول المجنونة دي تطلق منه ليه؟

شمس: فعلاً كده، معجباته كتير، وده اللي كان بيضايقه مني إني مش طوعه زي أي واحدة تتمنى كده.

كريمة: يعني إنتِ ندمانة عليه؟

شمس ترد نافية بسرعة: لأ، طبعاً ندمانة على إني وافقت عليه، مكانش ينفع ليًا خالص؛ لأنه مبطلش محاولة يغير فيًا، ولا أنا بطلت أكون نفسي، معرفش أكون واحدة تانية، أنا كده وحافضل كده، يبقى خلاص شيل ده من ده يرتاح ده عن ده، إيه الغلط في كده؟، لكن لو ده غلط أو عيب يبقى خلاص الغلط والعيب فيًا ما أنا بأدفع تمنه أهو لوحدي، وسنين عمري ضاعت في الهم وعيالي بيدفعوا التمن قبلي!

أمال: يعني العيب فينا يا شمس، أنا وأنت طول الوقت، إحنا اللي ظلمناهم معنا؟

شمس: وظلمنا نفسنا قبلهم، كان عندنا حَوَل، اخترنا غلط وكملنا في الغلط، وهما كمان اختاروا غلط، ربحانهم، مش يسيبونا بقى نعيش حياتنا صح زي ماهما عايشين، الراجل يتجوز مرة واتنين وتلاتة وعشرة ويقولك راجل، وتيجي الست تتجوز بعد طلاقها أو وفاة جوزها يقولولها يآدي الفضيحة، والكل يقف قصادها كأنها حتعمل حاجة حرام، ما السيدة خديجة رضي الله عنها تزوجت قبل النبي عليه الصلاة والسلام، والستات كانت بتخلص العدة وتتجوز بعدها على طول! مخوفنا من مجرد التفكير!

أمال: عشان نبقي منصفين، إحنا كنا بنفكر كده بالظبط قبل ما نتعمق في ديننا، اللي قربنا من بعض كمجموعة هو تقارب ثقافتنا وفهمنا المشترك للدين، ومن حقنا نطبق اللي مقتنعين بيه زي ما همّا من حقهم يطبقوا قناعاتهم، ليه نهتم برأيهم وموافقتهم ورضاهم وهمّا عمرهم ما حيتغيروا إلا لو عايزين أو اقتنعوا بالتغيير زيّنا.

شمس، بجد، لو عندك فرصة جواز كويسة متخافيش، ده من حقك واللي مش عاجبه يشرب من البحر الروعة بتاعكم ده.

تقول شمس وهي تضحك: أنا فعلاً خايفة جداً أقدم عالخطوة دي، ورفضت أكثر من عريس.. آخر واحد كان غني وجاه ومركز بس عاطل عن العمل ومقضي حياته.. مارينا صيفاً والنادي شتاءً، وقلت: وماله طالع معاش مبكر ومبسوط مادياً وعايز يستقر، ووافقت أقابله، جواز صالونات، وعلى رأي ستي رضيت بالهم والههم مرضيش بيّا.. أنا كنت رايحة وناوية أرفض، بس مجاملة لصديقتي رحت الأقي الأخ يقول لصاحبتني بعد ما رocht: هي مش ممكن تغير ستايل لبسها ده؟ ستايل لبسي زي ما انتوا شايفين كده عبايات كاجوال وطرحه كبيرة مغطيانني.. بصراحة أنا ضحكت ضحك، وقلت لصاحبتني يا امي خليه يشوف عروسة من مارينا، ده مش توبي وانا مرحتش مارينا من عشر سنين يعني جاهلة ساحلياً.. وخايفة كمان اتجوز الأقي جوزي كوبي بيست من زوجي السابق، واطلع من تجربتي بمطلقة للمرة الثانية.. وعليه أنا مرحة بوحدتي مع كتي وقهوتي وطقوسي وأولادي وشغلي وأصدقائي وخواطري وقصصي.. حتى إشعار آخر.

منيرة: أهم حاجة يا شمس تكوني مبسوطة، يمكن ربنا لسه حبيعتلك
الراجل الحنين اللي يناسب شخصيتك.

تبتسم شمس في هدوء: العلم عند ربنا يا منيرة، بس لو اتأخر عن كده
يروح يطلبنى بقى من دار المسنين.

كريمة وهي تضحك حتى أدمعت عيناها: ويقولك تتجوزيني يا شمس،
تقوليله أنا كنت مشتتياك يا حشن.

تنكزها شمس في كتفها وهي تضحك، وتقلدها وتقول: لأ يا شتي، أنا
عايزاه اسمه يكون أمير.

كريمة وهي تكمل ضحكها: أمير عشان يلزق ميطلعش.

شمس: لأ، عشان أحقق حلمي ورومانسيتي بقى، بدل ما اتجوز برنس
بجد أتجوز واحد اسمه أمير وخلاص.

ويضحكن جميعاً..

وتقفز كريمة واقفة بعد أن نظرت في هاتفها المحمول؛ قائلة:

- أنا لازم أمشي، والله ما عايزه أسيبكم، الكلام ده ممكن يقعدني
للفجر، بس لو مروحتش دلوقت الدنيا حتبوظ عندي في البيت.

صفا: خير يا كريمة!، فيه حاجة ممكن نساعدك فيها؟

كريمة تخبى وجهها بكفيها وهي تضحك: لو قتلتمك حتضربوني.

منيرة ضاحكة: حتعملي مصيبة إيه يا كريمة؟

كريمة: لا والله مش مصيبة، أنا بس رايحة عشان ضررتي حتيجي عندي
عشان أصلحها على جوزي؛ لأنه عايز يطلقها!

شهقت صفاء: بتتكلمي جد!! إنتِ مجنونة يا ست إنتِ والله!
علياء - وهي تضحك لمنظر صفاء التي تنظر لكريمة كأنها كائن فضائي
هبط على كوكب الأرض! - تقول: بالراحة علينا يا كريمة، الكلام ده جديد
خالص، وبتحديه زي القنبلة كده قبل ما تمشي!
تضحك كريمة وتقول: ما أنا جاية بكرة إن شاء الله، حابقي أقولكم
بقي على التفاصيل، بس ألحقها لتروح ماتلاقيش وتزعل.

وأخذت تقبلهن واحده تلو الأخرى، وأعطت يحيى لعلياء بعد أن قبلته
كثيراً، وأسرعت بالانصراف وهي تقول وتضحك: عارفة إن بقية القاعده
حتكون علياً، حاشراً كتير كده، بالراحة علياً يا نونز.
وبالفعل بعد أن انصرفت بدأ الكلام عنها وموقفها العجيب من زوجة
زوجها التي تريد أن تصالحه عليها كي لا يطلقها..

أمال: إنتوا مش فاهمين كريمة، أنا فاهمة هي بتعمل كده ليه، غير إنها
فعالاً إنسانة طيبة وقلبها كله خير، لكن هي بتعمل كده عشان ميرجعش يقعد
معاها، هي عرفت قيمة الجوازة الثانية؛ لأنها استريحت من الضغط اللي
كان عليها، هي كانت بتحبه ومرتبطة بيه جداً، لكن لما أهانها كده وهضم
حقها مبقتش تحمل له الحب اللي يخليها تستحملة طول الوقت.. هي
مكلمة معاه عشان أولادها وبكرة لما تيجي نسألها.

بينما يكملن حديثهن جاء طعام الغداء، وظللن يتحدثن بعده حتى جاء الوقت قبيل المغرب، فقمنا للاستعداد للصلاة، بينما انصرفت "علياء" بعد وداع حار لها ولابنتها الجميل؛ لأن موعد رجوع زوجها من عمله قد اقترب، بعد الصلاة كانت السماء ما زالت تحتفظ ببقايا أطراف الغروب البرتقالية، وأقبل الظلام حثيثاً، وجاء اتصال لـ "شمس" من ابنتها يريد منها أن تعود؛ فاستأذنت منهن وذهبت معها "منيرة" لأنها على نفس طريقها على وعد باللقاء غداً مع "أمال" و"كريمة" إذا سمحت الظروف.

بعد انصراف النونز توجهت "أمال" و"صفاء" إلى غرفتيهما للراحة قليلاً قبل أن تبدأ سهرة ليلية تتسامران فيها حتى الفجر، في الطريق إلى الغرفة مرَّ بجانبهما رجلٌ وصبية صغيرة يبدو أنها ابنته، وأخذ ينظر ناحية "أمال" بتمعن، وكست وجهه ابتسامة مخفية، ثم أخفض رأسه، ولاحظت "صفاء" نظراته؛ فسألت أمال: تعرفيه؟

ترد أمال باستغراب: هو مين؟!!

- الرجل الحليوة اللي عدى من جنبنا!

- راجل مين؟ مأخذتش بالي، أنا مش بأبص خالص على حد وأنا ماشية. ونظرت صفاء خلفها وقالت: بصي بسرعة قبل ما يحوِّد.

نظرت أمال خلفها فلم تتبين أيًّا من ملامحه؛ فقد كان ظهره لها فقالت: أبص على إيه؟ هو أنا حاعرفه من ظهره!

- كان يبص عليكي أوي وهو معدي جنبنا، وابتسم كمان.

- علياً أنا؟! هو أنا أعرف حد في الإسكندرية غير النونز، يمكن بيْسبّه. وصلتا لغرفتيهما ودخلتا للراحة واتفقتا على اللقاء بعد ثلاث ساعات، دخلت "أمال" غرفتها وتوجهت للحمام لتزيل آثار اليوم الحافل بالسفر واللقاءات بحمام منعش، ووقفت تمشط شعرها أمام المرآة وتحسست براحة يدها وجهها المتعب الذي تشرب بالحمرة من أثر الشمس والبحر، وقالت وهي تتنهد: عجزتني يا أمولة.

قطع شرودها مع نفسها رنين هاتفها المحمول، ووجدت اتصالاً من سلسيل، فردت وهي فرحة: حبيبتي، عاملة إيه خلصتي مشاويرك؟ أخبرتها انتهت عن يومها، واطمأنت منها على أحوالها وأحوال أختيها، أنهت "أمال" المكالمة، وتوجهت للفراش لتستريح بعد أن ظبطت منبه الهاتف؛ لكي يوقظها بعد ساعتين، وأغمضت عينيها بينما عقلها تموج فيه أحاديث اليوم وابتسمت وهي تتذكر "يحيى" ابن "علياء" ووجهه الجميل وضحكته المشرقة، وأخذت تتمم بالدعاء له ولهن جميعاً، وسحبت بهدوء لنوم عميق.

أمال، أنا مستنيكي متأخرش، بتبسم في حياء، مقدرش أتأخر عليك، أنا مستنيك عمري كله، وصوت الموسيقى يعلو وهو يتعد والصوت يعلو ويعلو فتفتح عينيها لتجد صوت منبه الهاتف هو الذي كانت تسمعه وهي نائمة فتسكته وتجلس على الفراش، تنظر حولها متعجبة من حلمها المحسوس كأنه الحقيقة، ولكنها لا تتذكر ملامح من كان يحدثها، ولكن تتذكر صوته الرخيم الحنون... مين ده؟ ومتأخرش على إيه؟ مستنيك عمري

كله!! هو أنا لسه حاستنى!! هو بقى من العمر قد اللي عدى، قومي يا أمولة حتتأخري على "صفاء"، وابتسمت ساخرة من نفسها ومن حلمها العجيب! ارتدت ملابسها وذهبت لمقابلة "صفاء"؛ لتناول عشاءً خفيفاً في الكافيه المطل على الشاطئ والمكتظ برؤاد الفندق.

وفجأة وجدت صفاء تقول: أهو أهو. (وهي تنظر ناحية طاولة بعيدة عنهما)
- هو مين يا صفاء!؟

- الراجل اللي كان يبص عليكى واحنا راجعين في الممر قاعد هناك على التراييزة اللي جنب العمود الأبيض.

تنظر "أمال" تجاه الطاولة التي أشارت إليها فوجدت رجلاً في أوائل العقد الخامس، شعره فضي، هذا اللون الذي تحبه "أمال" يبدو من بعيد أنه وسيم الملامح وله لحية بيضاء خفيفة، يجلس وسط عائلته المكونة من زوجته ترتدي السواد بعباءة وحجاب أسود وشاب يافع يشبهه وبتتان إحداهما تبدو في المرحلة الثانوية والأخرى في المرحلة الإعدادية وهم يتناولون طعام العشاء ويتسامرون ويضحكون في ألفة لافتة للنظر.

سألتها صفاء: ها، تعرفيه؟

أمال وهي تحاول أن تخفي تمعنها فيه: مش عارفة، مش شايقة كويس من هنا ملامحه بس مش حساه غريب، ثم التفتت لصفاء وأكملت.. بأقولك إيه منظرنا وحش واحنا عمالين نبص عليهم كده، خيلنا في حالنا وشوفي حناكل إيه عشان عايزه أتمشى على البحر شوية.

ابتسمت صفاء ابتسامة ماكرة: أيوه، ملناش دعوة، بس أنا شفته من قريب شبه الممثل الأُمور اللي بيعطش السين ده واسمه على بالي.
تضحك أمال وتقول: بيعطش السين إزاي! الجيم هي اللي بتتعطش.
تضحك صفاء وتصف لها ما تقصده: بيقول السين فيها اش اش أيوااااا
افتكرته شون كونري.

أمال: شون كونري مرة واحدة حيبص عليًا أنا!

صفاء: يعني هو مش بالظبط بالظبط، بس هيئته كده النسخة المصرية منه،
(وتضحك)، وبعدين يعني إنت قمر أصلاً، بس تعبري إنتِ شون كونري.
وتضحكا وتقول لها أمال: طيب حتطلبي إيه على العشا يا صنفف؟
أنا حاطلب سيزار سالاد، ويس؟
- وأنا كمان حاطلب زيك.

ونظرت "أمال" بطرف خفي على مكان هذا الرجل الغامض، وأرجعت
بصرها سريعاً عندما رأته ينظر ناحية طاولتها، وانشغلت بتناول عشاءها ولم
تنظر مرة أخرى، وقامت لتتمشى على الشاطئ مع "صفاء".

كان صوت الموج كوشوشة تحكي أسرار من حمّله حكاياته وأوجاعه،
وأضواء الشاطئ تنعكس على الرمال المبتلة؛ فكان منظرًا أخاذًا، وساد
صمت كأن "أمال" و"صفاء" تنصتا لهذه الأسرار!

قطع الصمت وبوح الموج؛ سؤال صفاء: ساكتة ليه يا أمولة؟ تعبتي من

الكلام النهارده؟

تنهدت أمال قائلة: مستمعتة جداً بصوت الموج.

ضحكت صفاء وقالت: يعني أسكت؟

- لا لا، أبداً، بالعكس، اتكلمي.

- لأ، أنا عايزاكي إنت اللي تتكلمي، إنت السنة دي مرّيتي بطروف

صعبة ولغاية دلوقت مش عارفة ترجعي لطبيعتك ولا لشغلك، حتفضلي كده كثير؟

- آآاه يا صفاء، أنا بقيت كويسة جداً عن الأول الحمد لله، لكن غضب

عني فيه ألم جوايا مش بيروح، حاسة بيه على طول حتى وأنا باضحك. كل حاجة بتأخذ وقت، وإن شاء الله حبيجي الوقت اللي أرجع فيه لأمال.

- حيحصل إن شاء الله، ربنا حي عوضك بكل خير.

أخذت "صفاء" تحدثها عن أيام حزنها ويأسها، وأنّ كل حزن

لزوال، وتجاوزت أطراف الحديث، وموج البحر ينصت لهما، ونسيم الليل يصاحبهما في سيرهما حتى حل بهما التعب فرجعتا لغرفتهما للراحة.

صباح اليوم التالي رافقت "أمال" "صفاء" لبوابة الفندق الخارجية

حيث تنتظرها سيارة أجرة للذهاب بها إلى المحطة، وتبادلتا السلام والقبلات والدعاء بسلامة الوصول.

وهي تلوح مودعة لها - قالت أمال: متنسش أول ما توصلي ترنييلي

أظمن إنك وصلتي بالسلامة.

بتسم صفاء وتقول: حاضر، وإنّ خدي بالك من نفسك ومتعملش شقاوة.

الغيث

تترك "صفاء" المكان مخلفة بسمه كبيرة على وجه "أمال" لوصيتها خفيفة الظل، وإحساس كبير بالفراغ داخلها أحست به وهي تعود أدراجها لغرفتها، ولكنها بدلاً من التوجه للغرفة توجهت للشاطئ فهي تريد أن تفتش الرمال وتجلس لتنظر إلى الأفق فأخذت تبحث عن مكان خال من الناس ولحسن حظها أن الوقت ما زال مبكراً قبل أن يزدحم الشاطئ، فلم يطل سيرها واختارت أقرب بقعة جافة قريبة من الشط لتجلس، وأخذت تنظر للبحر الممتد أمام ناظرها حتى خط الأفق والموج مستمر في وشوشته وبوحه بأسراره، وأصابها تداعب الرمال وتبدأ في الحفر بيديها وهي تبسم وتذكر وهي طفلة مع أخواتها ووالديها، والدها ينهاها عن الحفر ويطلب منها أن تجلس دون حراك!!

وبحركة لا إرادية تعيد "أمال" الرمال داخل الحفرة وتسويها بيدها، وكأنها تستجيب لملاحظة والدها وتنفض يدها من آثار الرمال وتجلس بلا حراك تنظر للأفق وللبحر..

ماذا فيك أيها البحر يجعلنا ندوب هكذا عندما ننظر إليك؟! كأنك تعتمر وجودنا وذكرياتنا، كأنك ترسل موجك بوشوشته الهامسة فيسحبها

من أعماقنا ويعود بها لأعماقك، ويذكرنا بها مع كل موجة بلغة لا يفهمها إلا كل صاحب سر وكل صاحب وجد، ماذا فيك يجعلنا نريد أن نتحرر من كل قيودنا ونتحرر من ذاتنا ونلقي بأنفسنا بين ذراع أمواجك! ماذا فيك فتجعل خواطرننا ترتعش وترتعد بين جنباتنا وتوقظ الشوق والدمع والحنين!
- آمال حلمي؟.

بعينين دامعتين تختبئان وراء نظارة سوداء تنظر "أمال" لأعلى؛ حيث مصدر الصوت فرأته واقفاً مبتسماً ويكمل قائلاً: طبعاً، لا يمكن تكوني فإكراني؟

ويصمت ليعطيها فرصة أن تتذكر و"أمال" تنظر له وهي مشدوهة لهذا الصوت؛ لأنها سمعته من قبل! نفس الصوت الرخيم الحنون الهادئ، وتبينت أنه هو نفسه الرجل الغامض الذي أشارت إليه "صفاء" ورأته يجلس مع عائلته الصغيرة، فابتسمت واعتدلت في جلستها وخلعت نظارتها الشمسية لتراه بشكل أوضح، وقالت: لأ، للأسف، مش واخدة بالي، حضرتك تعرفني مينين؟

- تسمحي لي.. «وأشار ليجلس على مسافة» فأذنت له.

- أنا غيِّت عبد السلام، «قال اسمه بالفصحى» كنت زميلك في كلية الإعلام بس مكنتش باحضر كثير، معتقدش حتفتكريني، كان شكلي غير كده وشعري كان طويل لحد كتفي ولونه أسود، ومكانش ليًا دقن خفيفة كده، يعني كنت عايش في كراكتر الصحفي الفنان.

وتبتسم أمال وقد تذكرته بعد وصفه لشكله القديم: أيوا، افكرت حضرتك كان اسمك وهيتك مميزين فعلاً، بس الاسم مكنتش حافتكره. - لكن اسمك منستهوش، وكمان متابعتك ومتابع كتاباتك وصفحتك على الفيسبوك، وبقالك فترة طويلة منشرتيش حاجة جديدة، ليه توقفتي؟ ولم يجعلها تجيب وقال في تأثر: أنا عندي علم برضه بأخبارك الخاصة وانفصالك؛ ولأن ده اتعرف من الفيسبوك لكن ليه توقفتي إنت كاتبة ممتازة، لها متابعين كتير جداً، خسارة!

أعادت أمال ارتداء نظارتها لتخفي بها عينيها، وهي تقول: يعني، شوية مشاغل و..و.. ومعديش حاجة أقولها للناس، تقريباً خلص الكلام عندي، و حضرتك بتشتغل فين، مسمعتش اسمك بيتردد في المجال الصحفي أو الأدبي. ابتسم لأنه فهم أنها تريد تغيير الموضوع وقال: حضرتي بيشتغل في التجارة والمقاولات، وسبت الصحافة من بعد ما اتخرجت؛ لأنها مكنتش بتأكل عيش، وعشان يكون ليّ اسم ومستقبل فيها كان مطلوب أقدم تنازلات مقدرش أقدمها؛ فسافرت الكويت، ومقيم هناك من وقتها، وبأنزل مصر في أجازات قصيرة لتخليص الأعمال.

ثم سألها.. فيه حد من دفعتنا لسه على اتصال بيه؟

- للأسف لأ. مكانش ليّ علاقة صداقة غير مع واحدة اسمها "أمني" كنا على اتصال ببعض بعد التخرج لفترة قصيرة؛ لأنها اتجوزت وسافرت، ومن وقتها معرفش عنها حاجة!

- أيوه أعرفها أماني وجوزها حسام كان زميلنا وصديقي .

ابتسمت أمال: أيوه عارفاه، أماني قالتلي إنه حيتقدملها أول ما يتخرجوا، بتتصل بيه لحد دلوقت؟

- لأ، زيك كده، كنا على اتصال ببعض فترة قصيرة بعد التخرج وانقطعت أخباره بعد ما هاجر مع أماني لإنجلترا.

ابتسم "غيث" وهو يتذكر.. كان هو أول واحد اتكلمت معاه في الكلية، وبعد كده بقى الوحيد اللي بالجأ له عشان آخذ منه المحاضرات اللي مكنتش باحضرها، يعني هو سبب نجاحي، سبحان الله بينا وبينه البحر ده!

ثم أعقب.. البحر النهارده عجيب، لونه وهدوء الموج، شيء ساحر. تعجبت "أمال" فقد كانت تخاطب البحر وتسأله عن سره العجيب وسر وشوشة موجه! ولم تجد إلا ابتسامتها تخفي بها تعجبها، وساد الصمت للحظة إلا من صوت الموج وصوت نبضات قلبها التي ارتفعت وعلت لتحس بها في أذنيها تدق تنبؤها بأنها في خطر!

وشعرت "أمال" بالحياء من طول جلستها هكذا أمامه رغم المسافة التي بينهما، فنظرت في هاتفها المحمول لتعطيه إحساسًا أنها ستقوم وتتركه، ووجدت بالفعل أنها لا بد أن تذهب لغرفتها للاستعداد للقاء كريمة؛ فقالت: معلش أنا لازم أقوم لأنني حاقابل صديقة ليا. «وقامت وهي تزيل آثار الرمال من على ملابسها»

فقام ليحييها وقال لها وهو ينظر إليها بابتسامة حانية اخترقتها وأربكتها:

- أنا سعيد جداً إنني شفتك، وأرجو كي ارجعي اكتبي تاني.

ابتسمت أمال، وقالت وهي تريد أن تجري من أمامه حتى لا يلاحظ ما

اعتراها من اضطراب: إن شاء الله، عن إذتك.

هرولت "أمال" وهي تتبعد عنه وتقول لنفسها.. فيه إيه يا أمال!

مالك مش على بعضك كده؟! ليه مرتبكة وإن متعودة تتكلمي مع الناس،

اشمعى ده، وصوته!، صوته هو نفس الصوت الذي سمعته في الحلم، يا

سلام يا أمولة، بتحلمي بصوت واحد مشوفتهوش من ٢٥ سنة!، وعمره ما

كلمك أصلاً، هو فيه إيه؟، ده متجوز يا ست أمال، فوقي.

وصلت "أمال" لغرفتها وهي غاضبة من نفسها؛ لأنها اضطربت هكذا

أمامه وكأنها فتاة مراهقة وهي ما زالت تردد..: فوقي يا أمال، إن اتجننتي،

أستغفر الله العظيم، يارب.

دخلت لتتوضأ وهي تستعيز بالله وصلت ركعتي الضحى وهي تطرد خياله

وصوته من عقلها، ولكن حالها الذي ما زال مضطرباً أعاد لها غضبها من نفسها؛

ولكي تشغل نفسها بالتفكير في شيء آخر اتصلت بكريمة كي تجعلها تأتي ولا

تتأخر، فأخبرتها أنها كانت على وشك الاتصال بها لتؤجل الموعد لظرف طارئ

لبعد صلاة العصر، وأخبرتها أن "منيرة" و"شمس" ستأتیان أيضاً في نفس الموعد.

وماذا ستفعلين يا أمال حتى هذا الموعد؟!

عم علي

قررت "أمال" أن تذهب لمحطة الرمل كما تعودت دائماً في زيارتها السابقة على مدى سنوات طويلة؛ لتناول مشروبها المفضل من القهوة الإيطالية في ذلك المحل الشهير.. انطلقت "أمال" لوجهتها واتصلت وهي في السيارة بـ "صفاء" لكي تطمئن عليها فأخبرتها أنها ما زالت في الطريق لمنزلها وكانت ستتصل بها فور وصولها، وفاجأتها بسؤالها: عملتي إيه من بعد ما مشيت؟

فأخفت عنها تلك المقابلة وقالت: ولا حاجة. اتمشيت على البحر شوية ورجعت عشان ميعاد كريمة، لكن هي أجلتها، وأنا دلوقت رايحة محطة الرمل أشرب كابتشينو من البن البرازيلي.

- طيب حبيبتى، ابقي سلميلي على النونز لَمَّا تشوفهم.

وأغلقت معها الخط وهي تسأل نفسها.. لماذا أخفت عنها هذه المقابلة وكأنها تشعر بالذنب!

أنا فعلاً حاسة بالذنب! وبعدين بقااا، ثاني حارجع أفكر في أستاذ غيس وصوته، لأ "غَيْث" تذكرته وهو ينطق اسمه، يووووه يا أمال كفاية، بطلي، ركزي يا أمال واتفرجي على البحر والناس وانسي، ها انسي.

وأخذت تنظر للبحر تارة وللسيارات تارة أخرى، وأخرجت هاتفها وكلمت بناتها للاطمئنان عليهن، وتنفس الصعداء؛ فأخيراً وصلت للمكان المنشود.

كان هذا المحل - رغم مساحته الضيقة - تشعر فيه بسعادة بالغة وألفة عجيبة ورائحته المميزة بالقهوة العربي والمطحنة القديمة للبن التي أصبحت من معالم المكان، وحتى بعد تجديد المكان وتوسعته وإضافة طابقي إضافي إلا أنها كانت تشعر بأنه معلّم، له عبق التاريخ أكثر من كونه محلاً يقدم القهوة بأنواعها.

اقتربت من العامل المسن الذي تعودت أن تطلب منه فنجانها المفضل وابتسمت له وهي ترى ملامحه الطيبة ومهارته في عمله، وقد زاد شيب شعره عن العام الماضي؛ فبدا مرهقاً متعباً، ولكنها تعرفه وهو لا يعرفها، فكم من الوجوه يقابل يومياً وهي تراه مرة أو مرتين على الأكثر كل عام أو يزيد وهي أيضاً لا تعرف اسمه، فاقتربت منه وهي تعطيه بقشيشاً سخياً، وابتسمت وسألته: هو حضرتك اسمك إيه؟

أخذ منها النقود ممتناً، وانفجرت أساريره وهو يرد على سؤالها:

- اسمي علي.
- أهلاً يا عم علي.
- أهلاً بيكي يا فندم.

- تعرف يا عم علي إني لازم آجي هنا أشرب الكابتشينو من إيدك كل ما آجي الإسكندرية!، بس أول مرة أسألك عن اسمك.

- تشرفين يا فندم، هو حضرتك منين؟

- من القاهرة. بس باعتبار نفسي من أهل إسكندرية لأنها بحبها أكثر من القاهرة!

ترتشف أمال قهوتها في تلذذ وهي تقول موجهة كلامها له: تسلّم إيدك، مطبوطة جدًّا.

- بألف هنا يا فندم.

- بقالك أد إيه بتشتغل هنا يا عم علي؟

- من يوم ما فتح من زمان أوي، كان أيام المحل ما فتح كان فيه لسه خواجهات من اليونان وأرمن، وكانت الناس غير الناس والبلد غير البلد، كانت الناس كلها نضيفه وشيك زي حضرتك كده، الدنيا باظت يا هانم.

- أنا اسمي أمال، يا عم علي.

- عاشت الأسامي، أنا بنتي اسمها إيمان، وعندي كمان ولدين محمد وحسن.

- ربنا يخلي وباركلك فيهم.

- تعيشي.

أنهت أمال قهوتها، وأعطت فنجانها الفارغ لعم علي وهي تشكره،

وقال لها:

- لو ليّا عمر المرة الجاية حافتكرك وأعملك برضه قهوتك.

اتسعت ابتسامه أمال، وقالت: ضروري لازم آجي، ربنا يديك الصحة ويارب تفتكرني.

- أنا راجل عجوز بس مبنساش الناس الحلوة الطيبة اللي زيّك.

- ربنا يخليك يا عم علي، سلم على أولادك.

وتركته وهي تشعر بسعادة أنها تركت لديه هذ الانطباع بالألفة والتراحم، وأخذت تتجول في محطة الرمل بفرحة طفلة تتوق للتنزه، فتتوقف لرؤية معروضات المحال، وتتفقد وجوه الناس حولها وتبتسم لضحكهم، ومرّت على دار المعارف واتسعت ابتسامتها عندما رأت كتبها معروضة هناك وبعض الفتيات يقرنن؛ لكي يشترين نسخاً منها. أخذت تراقبهن لترى أي الكتب سيخترن، وكما توقعت فكتابها "ليلة عمري" و"أرواح مجنونة" كانا هما الاختيار؛ فقد حققا أعلى مبيعات من بين كتبها. وفجأة وجدت إحداهن تشير إليها وتقول: هي والله.

ووجدتها تقترب منها وتساؤها: مش حضرتك الكاتبة أمال حلمي؟

ابتسمت أمال وقالت: أيوه أنا، أهلاً وسهلاً.

هللت الفتاة من الفرح وصاحت: هي.. هي، زي ما قولتلکم.

واقتربت الفتاتان وانضمتا إليهما وأخذن يبدین إعجابهن بما تكتبه،

ويسألنها لماذا لم تعد تكتب أو تنشر كتباً؟

- قريب إن شاء الله فيه كتاب حينزل، وإن شاء الله يعجبكم، وانتم بقى اسمكم إيه يا حلوين؟

فبادرت الفتاة التي تعرفت عليها تُعرِّف نفسها وتقدمهن إليها بفرحة:

- أنا ولاء، وودي دعاء، وودي سارة.

- أهلاً بيكم، مبسوطة إنني شفتكم.

ردّدن في نفس واحد: إحنا أكثر.

وقالت سارة: أنا عندي أسئلة كثيرة نفسي أسألها لحضرتك ينفع

نتواصل على الفيسبوك؟

أمال: آه طبعاً ينفع، بس أرجع القاهرة بكره إن شاء الله، وأدخل على

الصفحة ابعثيلي رسالة وأنا حتواصل معاكي.

ولاء: وأنا كمان عندي أسئلة، هو بصراحة سؤال واحد محيرني

ومخوفني، إزاي اختار شاب أفضل أحبه بعد الجواز لأنني بصراحة اتعقدت،

كل صحباتي وقرايبي يقولولي استمتعي بحريتك وشبابك ومتغلطيش

غلطتنا! وكمان حالات الطلاق كترت جداً و... .

قاطععتها دعاء وهي متحمسة لفتح الموضوع: أنا بنت خالتي اتجوزت

من ٣ شهور، وامبارح كانت بتعيط لخالتي عايزة تتطلق! أنا نفسي يكون

جوزي زي اللي حضرتك بتوصفيه في كتاب "أرواح مجنّدة"، هو فيه

كده!؟

وأشارت إلى الكتاب في يد سارة.. مرضتس أديها كتابي تقراه؛ خفت مترجععوش، فجيت معاها عشان تشتريه.

ابتسمت أمال وقد لاحظت حماسهن، وأن رواد المكتبة بدأن في الالتفات إليهن؛ فقالت: الموضوع كبير ومش حينفع هنا، الناس حتتلم علينا، نعمل شاتنج بعد بكره إن شاء الله على الصفحة، وحأرد عليكم واللي إنتوا عايزين تتكلموا فيه أنا تحت أمركم.

شكرنها وتمنين لها إقامة سعيدة في الإسكندرية، وانصرفت "أمال" لتلحق بموعدها مع "كريمة" وهي سعيدة جدًا؛ لأنها استعادت حماسها وشغفها للتواصل مع قرائها بعد أن رأت أثر ما كتبه على هؤلاء الشباب، وعادت لفندقها وهي تحمل الامتنان لعم علي على قهوته الرائعة، و"ولاء" و"دعاء" و"سارة" لتحفيزها للعودة لصفححتها والتواصل مع الناس بعد توقف شهور طويلة.

ووجدت أنها طوال هذا الوقت لم تركز على التفكير في لقاء الصباح الذي قلب حالها رأسًا على عقب، بالرغم من أثره الممتد عليها وإحساسها المتباين بين الضيق والسعادة! فأيقنت أن الانشغال والتواصل مع الآخرين هو الملاذ لها من نفسها ومن وحدتها.

كانت "كريمة" في طريقها للفندق عندما وصلت "أمال" فكانت بعد دقائق تتصل بها لتقابلها في الكافية، ومن بعدها جاءت كل من "شمس" و"منيرة" ولكن "أمال" اقترحت عليهن أن يجلسن في شرفة غرفتها فمساحتها

كافية ليجلسن فيها، فرحبن بذلك بعيداً عن ضوضاء الكافية، ويكون لديهن خصوصية أكثر، وكانت "أمال" تريد أن تتجنب على قدر الإمكان أي إمكانية لرؤية زميلها "غيث" ولو من بعيد! رحبت بهن "أمال" وطلبت من خدمة الغرف أن يأتين لهن بشاي وقهوة على حسب رغبات كل واحدة.

منيرة: هنا أحسن كثير من قعدة الكافية، هدوء، والفيو يجتن.

شمس: البحر النهارده ملوش حل، بيرحب بيكي يا أمولة.

قالت أمال وقد قفز إلى ذهنها لقاءها مع غيث: البحر على طول صيف شتا روعة.

كريمة: إسكندرية في الشتاء أجمل مليون مرة من الصيف، بنحس إنها بتاعتنا، لكن في الصيف زحمة المصيفين والشواطئ مفيش مكان لشمسية! أمال ضاحكة: معلش استحملوا بقى السياح المصريين الغلابة اللي بيزحموا البلد، معندهمش بحر ولا هوازيكم.

منيرة: أنا كمان بيعتبروني سايحة، وقرابيبي بيعاملوني كأنني خواجاية! بس شقتي على البحر مش بانزل أرحم الشاطئ يا كريمة، بأشوفه من التراس. تبتم "كريمة" وعلى وجهها سحابة حزن.

تقول لها أمال: ها يا ستي، صالحتي جوزك على مراته؟

تتسع ابتسامة كريمة لسؤال أمال بهذه الطريقة: لأ، مصمم يطلقها، بيقول زهق من كتر مشاكلها، وعمال يقارن بيني وبينها، وقد إيه أنا استحملته ووقفت جنبه وهي من يوم ما اتجوزها بتعمله مشاكل هي وأولادها!

بس الست بتحبه بجد، وكان حتموت روحها من العياط إمبراح وهي عمالة تصالحه، وتقوله آخر مرة واديني فرصة!

شمس: إيه الذل ده، ليه يعني تقوله كده!، معلش يا كريمة جوزك شايف نفسه أوي كده ليه؟

كريمة: هي كبيرة في السن، ولما اهتم بيها حبتّه.

منيرة: وهو حب فيها إيه يا كريمة؟ بتقولي أكبر منه!

كريمة: والله معرفش، هي كانت بتجيله المحل وكنت بأشوفها وأقوله الست دي بتبص عليك أوي بصّة فيها إنّ، يقولي يا شيخة حرام عليكي دي أد أمي! وبعدين عرفت منها بعد كده إنه هو اللي كان بيطاردها، وكان بيكلمها تروحله المحل فباكون أنا العزول الغير مرغوب فيه.

شمس: إنتي لما كتبتي القصة مقولتيش ليه راح يتجوز؟ ولما يتجوز

مش يتجوز واحدة صغيرة وحلوة، رايح يتجوز واحدة أكبر منه ليه!؟

أطرت كريمة، وبدأ تظهر على وجهها سحابات الحزن: يعني يا شمس من غير ليه، هو في الفترة دي كان على طول سايب البيت من الخلافات اللي فيه والزعيق، ومكنتش في حالة تسمحلي أعرف حاجة عنه، يمكن لقي عندها اللي مش عندي، يمكن بيحبها.

أمال: هو لقي فعلاً عندها اللي مش عندك، وهي إنها محتاجة له وأضعف كثير منه، الموضوع مفيهوش حب خالص غير حبه لنفسه وإثبات قوته على واحدة أكبر منه بيستقوى عليها عشان محتجاله، ده عرض نفسي.

شمس: بس معلش يعني ذنبها إيه برضه الست اللي اتجوزها؟ هو طالما اتجوزها وهي في السن دي يبقى لازم يكمل معاها ويراعيها.

ضحكت كريمة بحسرة وقالت: والله إنت دمك خفيف يا شموسة، بقى سعيد حيحمل نفسه رعاية واحدة عشان كبيرة في السن!، إذا كان بيتهرب من مسئولية بيته وعياله اللي من صلبه!

منيرة: عشان كده لازم يتعمل قانون لحماية الستات من غدر أجوازهم، يعني بصراحة القانون في أمريكا بيحامي الستات هناك حتى لما بيكبروا في السن لهم أماكن راقية جدًا بيقتضوا فيها الباقي من عمرهم، وببلاقوا فيها رعاية صحية أحسن من أي مستشفى.

شمس تضحك: هنا برضه فيه قانون للمرأة المعيلة بيديها ٢٠٠ جنيه تعيش بيهم ٣٠ يوم في الشهر هي وأولادها!

منيرة في دهشة: ٢٠٠ جنيه! إنت بتتكلمي جد؟! دي الست اللي بتيجي تنضف لماما البيت بتأخذ في اليوم ٢٠٠ جنيه!

كريمة: الـ ٢٠٠ جنيه.. الست المصرية ممكن تعيش بيهم، محدش بي موت من الجوع في مصر، لكن بنموت من القهرة!

منيرة تربت على ساق كريمة: إن شاء الله ربنا حي عوضك بكل خير في أولادك. هنا تصيح شمس محتجة وتقول: هو كل حاجة أولادك أولادك!، مش من حقها دي تتعوض في نفسها ليه، ليه الست تفني نفسها عشان أولادها،

وأولادها حيكبروا ويتجوزوا ورزقهم مكتوب عند ربنا، إحنا معيشين نفسنا في عذاب وحرمان، دي عيشة إيه دي!

ترد كريمة في استسلام: هو أنا استحملت اللي استحملته إلا عشان ولادي يا شمس، أنا مش عايزه حاجة من الدنيا خلاص.

شمس وهي ترمقها بغیظ: أومال ليه عايشة في مناخة يا ست كريمة!، متكبري دماغك بقى من شهريار بتاعك، وتعيشي بقى مع أولادك من غير ما تنوحي عليه.

ترد كريمة وقد بدا على وجهها الغضب من كلام شمس: ومين قالك إنني مستنياه!، ده أنا باصالحه على مراته عشان أنا خلاص مش عايزاه ومش عايزه منه غير إنه يسينني في حالي أربي أولادي.

قالت أمال وقد ثبت صحة تحليلها لموقف كريمة: كتابتك لقصتك يا كريمة ونهايتها الحزينة واحنا طبعًا مقدرين حزنك على "بلال" الله يرحمه، لكن إنتِ مرجعتيش لطبيعتك ومبقتيش تضحكي غير عشان تخبي ألمك، وعايشة في دور الضحية عشان كده الألم مش حيخلص لأنك حاسة على طول بالظلم والقهرة، ومش صح إننا نقعد نططب عليكى ونقولك معلى، لازم تراجعى اللي فات وتعرفى غلطاتك اللي وصلتك لكده.

زاد غضب كريمة، وهي تسمع رأي أمال فيها فقالت: أنا مش ضحية يا أمال، ولا عايزه طبطبة من حد فيكم، أنا قبل ما أكتب حكايتي للكتاب متكلمتش خالص ولا حكيت لحد اللي حكيتكم ولا كنتم تعرفوا عني

حاجة، يمكن أكون غلطانة إني اتكلمت واقترحت نكتب قصصنا، كان لازم أفضل ساكتة ومشتكيش غير للي خلقتي هو أدري بحالي.
وبدأت دموعها تنهمر من عينيها....

أمال - وقد أثرت فيها دموعها فخففت من لهجتها، فقالت:
- متزعلش يا كريمة، والله مش قصدي أزعلك بالعكس أنا كلامي وكلام شمس عشان متفضلش حاسة بكل الظلم ده، البدايات الغلط بتؤدي لنهايات غلط، كل واحدة مننا بتعاني من مشكلة في حياتها هي جزء منها، مفيش مشكلة من طرف واحد.

تقاطعها كريمة من بين دموعها وقالت:
- أنا كانت حياتي مستقرة، ومفيش مشاكل لحد لما حصلت مشاكل "بلال" ومبقاش طايق البيت وخرج يدور على نفسه.

أمال: محدش بيتغير فجأة من النقيض للنقيض يا كريمة، صفات جوزك موجودة فيه من أول جوازكم لكن مكانش عنده سبب يظهرها، في أول مواجهة كل صفاته السيئة ظهرت، وأكد كانت أنانيته بتبان في مواقف كثير، لكن مكنتيش بتلاحظيها عشان كنت مشغولة بحاجات تانية..

تؤمن على كلامها بقولها: ماما - الله يرحمها - مكنتش موافقة خالص عليه، وبتقولي دول مش زينا وطباعهم غيرنا، لكن أنا غيرت نفسي عشان أثبت لها إني سعيدة واختياري صح.

ترد أمال وكأنها وضعت معها يدها على أصل المشكلة: أيوا، كده صح، إنتِ غيرتي نفسك بإرادتك لكن لا يمكن كنت حتغيريه، الإنسان لو متغيرش بإرادته عمره ما حتغير، فاللي بيظن إنه حيغير حد يبقى واهم.

شمس ترد مؤيدة: يا بنتي دي أسطورة خزعبلية، فيه ناس بتتظاهر بالتغيير عشان توصل للي عايزاه، وأول ما توصل ترجع ريمة لعادتها القديمة، في فترة خطوبتي كان ماى إكس حريقة سجاير، وأنا عندي حساسية من أي روايح نفاذة ومن الدخان، فقلت له لو استمررت كده مش حينفع نتجوز قال لي أبطلها من بكره، وقعد قدامي مبطلها رغم إنني كنت باشم ريحتها هلة منه. لكن قلت طالما مش بيدخن وهو معايا يبقى لّمّا نتجوز حيبطلها خالص، وحياتك أول ليلة في جوازنا شرب ييجي نص علبة، وكل اللي عمله إنه طلع شربها في الصلاة، بعد كده بقيت أنا اللي باهرب للصلاة!

منيرة: يا جماعة، حكاية التنازل عن بعض العادات والحاجات اللي بتضايق الطرف الثاني دي المفروض تحصل، شرب السجاير مش طبع لكن عادة، أمال بتتكلم عن طباع أصيلة فيه.

أمال: اللي ميتغيرش عشان خاطر صلاح نفسه إوعي تصدقيه لو بيتغير عشان خاطر حد؛ لأنه بيكون تغيير طارئ ومؤقت بيزول بزوال السبب.

كانت كريمة متجهمة وحزينة، فقامت أمال لتقبل رأسها وطوقت كتفها بذراعها، وقالت: متزعليش منّا يا كريمة، إحنا حبيبتي يهمننا تكوني مبسوفة، و Metzعليش مني أنا بالذات أنا بقيت أنفعل لّمّا ألاقى واحدة مضيعة

حقها وبتظلم نفسها وتكمل في حكاية غلط، يمكن بألوم نفسي فيكي لأنني عملت في نفسي كده فأرجوكي متزعليش، حاطبلبك جاتوه وشاي عشان أصلحك، أهو.. ها.. لسه زعلانة؟

تبادلها كريمة حبًا بحب، وتقول: أنا لا يمكن أزعل منك، ولا من أي حد من النونز، دا إحنا عيش وجاتوه مع بعض.

يضحكن معها وتقول منيرة: ربنا ما يجيب زعل أبدًا، والله القاعدة دي ناقصها علياء وصفاء.

لم تكمل منيرة جملتها، ورن هاتف أمال المحمول، وابتسمت وهي ترى اسم المتصل فترد قائلة في سعادة: كنا جنبنا سيرة مليون جنيه يا علياء!، إنت سامعانا واللا إيه؟

وتخبرها أنهم يجلسن في شرفة غرفتها، وأن الجلسة تنقصها هي وابنها الجميل يحيي، وبعدها بقليل اتصلت "صفاء" لتطمئن عليهن وتبدي حسرتها أنها ليست معهن، وتؤكد على "أمال" أن تحفظ الحوار كلمة كلمة حتى تعيدها عليها، فتقترح عليها "شمس" أن تتواصل معهن عن طريق الإنترنت وتكون جلسة مفتوحة بين القاهرة والإسكندرية، فاستحسنت الفكرة وقالت:

- مفكرناش ليه في الفكرة دي من أول الجلسة، يعني يا شمس جاية تقوليها وانتوا قربتوا تقوموا!.

فردت أمال: لسه بدري يقوموا فين!، إحنا حنصلي المغرب ونرجع

تكوني جهزتي قعدتك وأنا جهزت اللاب توب عشان نتواصل معاكي، وكلمي علياء واقترحي عليها، ولو وافقت تنضم لينا ونكمل مع بعض كلنا. قمن لصلاة المغرب تؤمَّهن "منيرة" وبعد الصلاة جاء الشاي والجاتوه، وجلسن مرة أخرى في الشرفة، ولكن هذه المرة اتسعت الجلسة لـ "صفاء" و"علياء" عن طريق الإنترنت. فتحت "علياء" الكاميرا لتحبيهم هي و"يحيي" الذي كان يبتسم كأنه يراهم، وكذلك فعلت "صفاء" وهي تريهم أنها تأكل طبقاً كبيراً من السلطة والتونة.

تقول لها كريمة ضاحكة: إنتِ لسه معدبة نفسك بأكل العيانيين ده يا صفاء، تعالي خدي حطة جاتوه.

ترد صفاء ضاحكة: كان زمان وجبر يا كريمة، بألف هنا لكم، أنا ياما أكلت، أنا كنت بأكل كميات أكل وحلويات تكفي تقضي على مجاعة الصومال! حكّت "أمال" لـ "علياء" و"صفاء" ملخص ما دار بينهن في الجلسة قبل أن يكملن حديثهن.

وبعدها قالت علياء: بالمناسبة يا صفاء، قبل ما نبدأ كلامنا.. أنا قعدت امبارح أفكر في مشكلتك ومتهيألي إنني لقيت لها حل، هو مش حل بمعنى حل لكن تفسير ممكن يخليكي تعرفي تتعاملي معاه صح، هو بيطاردك كده مش سيطرة ولا قوة منه.. بالعكس، هو حاسس بالضعف وخايف إنك تسيبيه ومهوَّاش بالقوة والخطورة اللي إنتِ متخيلاها، فلو واجهتته وخليتي نفسك قوية قدامه حيكش ومش حيقدر بأذيكي، وقوليله على كل مشاعرك السلبيه تجاهه.

شمس: فكرة برضه، والله البت علياء دي دماغها زي الألماظ وبتفكر صح.
كريمة: آه همّا لَمّا بيكبروا كده مش بيبقى قوتهم زي ما كانوا في
شبابهم، فتلاقية بيهوش بس.

أمال: طيب نسمع صاحبة المشكلة تقولنا رأيها.

تضحك صفاء وتقول: طيب ثواني أبلع بس، أهو، خرينا منعرفش
نتهنى باللقمة المقددة دي كمان!.

وتضع السلطة جانبًا وتقول: أنا من ساعة ما سبتكم وأنا بفكر، وفي
القطر وأنا قاعدة لوحدي، ربنا ألهمني بفكرة حاطبقتها أو ابتديت أطبقها من
النهارده، وهي إني أحول مشاعري السلبية تجاهه لعطف ومحاوله لإصلاح
العلاقة بيننا، ربنا قال "ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه
ولي حميم"

فقلت ليه مطبقهاش وأنا فعلاً حاسة إني في موقع قوة مش ضعف،
وهو في النهاية أبو أولادي وعشرة عمر، صحيح عمر كله خوف ووحدة
لكن عفا الله عما سلف.

منيرة مهللة: الله أكبر، إيه الجمال ده، ربنا يفتح عليك كل أبواب الخير
يا صفاء.

أمال وهي تتذكر مفاجأتها لزوجها، والتي جاءت متأخرة فتقول: يارب
تكون محاولتك في الوقت المناسب وتصلح العلاقة بينكم.

علياء: طيب وبدأتي إزاي يا صفاء!، كتي بتقولي بدأتي تطبقها؟
تضحك صفاء وتقول: بصي يا ستي.. عملته الأكلة اللي بيحبها،
وهي برام الرز المعمر، وعملت له تشيز كيك، دول بقى بياكلهم ويبقى
مستأنس خالص.

شمس: يعني فعلاً الوصول لقلب الرجل عن طريق المعدة مضبوط؟
عشان كده أبو الولاد طفش، مبعرفش أطبخ ولا أعمل حلويات.
ترد كريمة: بقى هو اللي طفش واللا إنت اللي طفشتي!؟

شمس: ما الأكل سبب كثير من خناقاتنا، وأقوله مبعرفش يقولي
اتعلمي، حاولت كثير والحاجة تبوظ مني معرفش ليه!، وكان بيقولي إنت
مش نافعة في حاجة غير العياط «وتضحك شمس»، نكدت على عمره!
منيرة: بصراحة الست النكدية اللي طول النهار تعيط دي تقصر العمر،
بس إنت مش كده خالص يا شمس، إنت طول الوقت بتضحكي.

شمس: أنا باضحك معاكم بس، لكن شايفين الخطوط اللي مسطرة
على جيني.. دي من الغم والعياط والصداع.
أمال: ربنا بيعتلك أميرك يعوضك سنين العياط دي كلها، ويضيعلك
الصداع النفسي ده.

تضحك شمس وتقول: أه حاتجوز أجزخانة، والله إنت رايقة يا أمال، ده
كان أهلي يجطعونني تجطيع!! «تقلد اللهجة الصعيدية وتكمل».. معندناش
طلاق واتطلقت، كمان عايزاني أتجوز ثاني!، دول كانوا اتبروا مني.

منيرة: بس هو يبجي ومش حتعرفي تقولي لأ، ربنا يعوضك بالخير حببتي.
تعود علينا لتسأل صفاء - وهي تضحك: يعني الأكل اللي بيحبه هو ده
ادفع بالتّي هي أحسن يا صفاء!

تضحك صفاء وتقول: لأ، طبعًا، ده بس مدخل إنه يحس إنّي مهتمة
بيه، ويسمعني وأنا بأطلب منه يغير أسلوب حياته ويقرب من ربنا، وتعامل
مع بعض بما يرضي الله، وإن اللي باقي مش أد اللي فات والكلام ده،
ويارب يسمع وربنا يهديه.

تبادلن معها الدعوات الطيبة، ومرّ الوقت سريعًا، وقامت "كريمة" كي
تذهب لبيتها وكذلك "شمس" و"منيرة".

وسألت شمس: القطر بتاعك الساعة كام يا أمولة؟

أمال: إن شاء الله الساعة ١١، وهو طوالي يوصل في ساعتين، ساعتين
ونص بالكثير، حابقي أكلكم لّمّا أوصل بإذن الله.

تقول صفاء من قبل أن تغلق الحوار معهن موجهة كلامها لأمال:
مشوفتيش شون كونري تاني يا أمولة؟

تتعجب "منيرة" وتظن أنه شون كونري الممثل المشهور!

- شون كونري!! هنا في الإسكندرية! جاي يصوّر فيلم واللايه؟

ردت صفاء ضاحكة: آه، جاي يصور فيلم في كوم الدكة والقلعة ويأكل
سمك من عند قدورة!.

تضحك آمال ومنيرة وتسال مجدداً: لأ بجد يا أمولة، شوفتي شون كونري فين؟

ترد آمال وهي لا تستطيع وقف ضحكها: دي بتهزري يا منيرة، إنت عارفة صفاء بتحب تهرج، «وتوجه كلامها لصفاء وهي ترفع صوتها»: روعي شوفي برام الرز المعمر يا صفاء، واوعي تاكلي منه، إنت مستريش أبداً.

وانصرفن يودعن بعضهن بالضحكات والدعوات، وتركن "آمال" تتذكر لقاءها مع "غيث" الشهير بشون كونري، وتظل الابتسامة معها وهي ذاهبة لتتصل بخدمة الغرف لتنظيف المكان..

خرجت "كريمة" بصحبة "شمس" و"منيرة" اللتين استقلتا سيارة أجرة معاً، ووقفت "كريمة" تنتظر وسيلة مواصلات تنقلها لبيتها، لكنها قررت السير قليلاً، فقد كانت تحتاج للخلو مع نفسها قبل ذهابها للبيت، أخذت تسير بجوار الشاطئ المزدهم بالمصيفين، وأصواتهم الصاخبة المتداخلة بين ضحك وكلام وغناء.. واختفت تلك الأصوات وهي تراجع حديثها مع النونز وكلام "شمس" و"آمال" عن كونها تعيش دور الضحية، رغم أنها سامحت "آمال" في وصفها هذا إلا أنه ما زال يؤلمها، لا أحد يحس بمعاناتها كما تشعر بها، لا أحد يدرك ما مرت به، فهي لم تكتب كل شيء، لم تقل ما جعل شعرها يشيب قبل أوانه، وتهاجمها الأمراض والتجاعيد، فبدت كعجوز وهي ما زالت في أوائل الأربعين!

هي تعلم أنها رحيمة بها وتريدها أن تخرج من محنتها وتضحك من قلبها، لا تضحك إخفاءً لألمها! لكن وهل يبدها شيء تخفي به ألمها إلا الضحك! ومع ذلك لم يستطع أن يتقن دوره، فعيناها دائماً تفضح أمرها! كيف تخفي ليالٍ باتتها دون نوم ودموعها تنزف ألماً وحسرة، وأخبار زوجها تأتيها وهو يطارد هذه وتلك، فتسقط في بئر الحرج والخجل، ويسقط معها كل مشاعرها تجاهه وهي تصرخ وتلومها: كيف أحببت هذا الرجل وكيف وثقت به وسلمت له حياتك وعقلك وقلبك؟!!

كيف تخفي حزنها الذي كان يعصر قلبها على تدهور حال "بلال" وهي عاجزة عن إصلاح الأمر أو تداركه ولا تدري ما أوصله لهذا الحال والكل يتخلى عنه وعنهما! لا أحد يشعر بلومها لنفسها لإحساسها الدائم أنها لم تضع يدها على الوسيلة لإنقاذه رغم عجزها عن معرفة هذه الوسيلة! كيف تنسى سنيماً جاهدت فيها كي تبقى أسرتها متماسكة مترابطة، ويحدوها الأمل أنها اقتربت من تحقيق حلمها في السعادة فتزيد من جهدها وتفانيها. وهي تنظم كل شيء وترتب لكل شيء حتى تؤمن لزوجها كل الظروف المناسبة كي تزدهر تجارته ولا تحدث له أي كبوة، كادت أن تصل.. لكن كل ما فعلته رأته ينساب من بين أصابعها كحبات رمل كلما أحكمت قبضتها عليها تسربت منها حتى لم يبقَ في قبضتها إلا الهواء!

أي خيبة أن تبسط يدك على ما حرصت عليه عمرك بكل قوتك ثم تكتشف أنه لا شيء، لا شيء مطلقاً، تراقصت دموعها أمام عينيها وهي تردد في نفسها "ولا حاجة" ملقتهش ولا حاجة! ويتجدد لومها.. لماذا تكلمت يا كريمة؟! ماذا أفادك الكلام؟ هل أعاد الكلام ضحكك الهائنة

الصفافية الخالية البال! هل أعاد سنين عمرك وحبك لمن توسمت فيه أنه ملاذك ورفيق دربك؟! هل أنقذت به "بلال"؟ هل حميت ابنتك من خوفها من غدر الرجل وهي ترى أمها هزمتها وقهرها رجل هو أقرب الناس لها فباتت تحرص على دراستها وتفوقها فقط لتؤمّن نفسها ضد أي خداع، لم يصبح التفوق وسيلة فقط بل أصبح عندها سلاحًا تشهره، بل وتهدد به من يفكر في جعلها أسيرة أو ضعيفة مثلها!

لماذا تكلمت؟

أخذت كريمة تلوم نفسها، وتسير دون أن تلاحظ نظرات من حولها وهم ينظرون لتلك المرأة الباكية التي تمشي بغير هدى! تحدثها نفسها ألا تندم على ما صرحت به فهي تريد أن تفيد غيرها فتقارعها وهي تفند كلامها، ولكن مع كل النماذج الصارخة التي حولنا هل انتبه أحد؟ هل استوعب أحد الدرس؟ ماذا تفيد قصتها وما الجديد فيها وهي تتكرر كل يوم وتُحكى في كل المجالس وتبكي آلاف النساء، بل عشرات الآلاف بل الملايين منهن بنفس الحسرة وبنفس الألم! كأننا أدمنا الألم والمعاناة! كأننا فرأش تلسعنا النار ولا نتعلم فنعود لنفس النار ولا نتوقف إلا بعد أن نتهاوى صرعى بفعل الحرق!. تتنهد "كريمة" تنهيدة تكتم بها لوعتها، فلو كانت تستطيع لصرخت وصرخت حتى تسقط، فأعماقها تصرخ وتمزق وتخرج صراخها ضحكًا! أو ليست تلك رحمة من الله! تخاطبها نفسها لتهدئ من حسرتها، أنسيت ما كتبته في آخر قصتك! ألم تضعي كل ما تبقى منك من

حلم وأمل في "عبد الرحمن" و"هاجر"! لن تستطيعي أن تحققي حلمك هذا وأنت تعيشين الهزيمة كل ثانية، اخلعي عنك رداء الحسرة يا "كريمة" ولملمي نفسك المبعثرة، واثبتي لابتك أنك قوية حتى لو لم تستطيعي فك حصارك، لا تندمي على خير فعلتيه بنيتك الطيبة، اجعلي ضحكك تعلن رضائك، لا تعيشي دور الضحية!

تثور "كريمة" على صوت خاطرها "إنتِ كمان حتقولي إني ضحية" تجفف دمعها وتفيقها الكلمة، تتبه أن الناس ينظرون إليها بشفقة، عادت إليها أصوات صخبهم، وجدت نفسها قطعت جُلّ الطريق حتى اقتربت من بيتها! نظرت في ساعتها وجدت أنها تسير منذ ساعة ونصف! أوقفت سيارة أجرة فهي لم تعد تقوى على السير أكثر من ذلك.. وصلت أمام بيتها وقد قررت أن تبدأ عهداً جديداً مع نفسها، ستكون هي أول من يستفيد من حكايتها، ستعيد لضحكها بهجتها، وستبدأ بترتيب أوراق حياتها وأحلامها المبعثرة، الله رحمته وسعت كل شيء وستسعها وهي الفقيرة إليه، سعدت السلم وكأنها تصعد سلماً لإرادة جديدة، أدارت المفتاح في الباب وجدت ابنتها تنتظرها وتقول: تأخرت أوي يا ماما كده ليه؟، أنا كنت لسه حاتصل أشوفك فين.

قبلتها واحتضنتها، وهاجر متعجبة وتقول وهي تبسم: أنا وحشتك أوي كده؟!

تربت على خدها براحة يدها في حنان، وتقول وقد اتسعت ابتسامتها: إنتِ نور عيني حبيبتي، اتعشيتي؟

- لأ مستنياكي، أحضر العشا؟

- أنا حآكل زبادي وكوباية شاي بلبن.

- إيه ده، ليه كده؟

- عايزة أظبط صحتي، وأرجع لوزني القديم!

صاحت هاجر في سعادة: يا سلام يا سلام، قعدة صحباتك سرّها باتع، ده أنا غلبت معاكي عشان تنظمي أكلك وتأخدي بالك من صحتك يا ماما.

تضحك كريمة: ربنا لّمّا بيريد بيكون، كانت قاعدة جميلة، الحمد لله.

- حاضر، على بال ما تغيري هدومك أكون حضرت لك الزبادي

وكوباية الشاي باللبن.

تسألها كريمة وهي متوجهة لغرفتها بصوت مرتفع قليلاً لتسمعها:

- أخوكي مقالش راجع إمتي؟

ترد عليها هاجر بصوت مرتفع أيضاً لتسمعها: أيوه، إتكلم وقال إنه

راجع على الساعة ١٢.

تكلم كريمة نفسها وتقول: لا، الكلام ده حيتغير من بكره، مفيش سهر

بعد كده لأنصاص الليالي، بس لّمّا ترجع يا عبد الرحمن.

تدخل غرفتها وتنظر لنفسها للمرأة وتقول مبتسمة: كلها كام شهر

وحارجع كريمة لعصرها الذهبي.

وفتحت ضلفة دولابها وأخرجت من آخر صف العَلّاقات رداءً فيروزي

اللون كانت تحبه كثيرًا، ولكنها لم ترتديه منذ سنوات وعادت للمرأة مرة أخرى ووضعته عليها وهي تتصور أنها سترتيديه مرة أخرى بعد شهور قليلة فاستعت ابتسامتها ولمعت عيناها وإن كانت لم تلحظ لمعتها بعد.

في تلك الأثناء...

كانت "أمال" مستيقظة تستمع لموج البحر بعد أن كلمت بناتها واطمأنت عليهن، وكلما شغلت نفسها بشيء أو تصفح الإنترنت قفزت مقابلتها مع غيِّث إلى مخيلتها وتبتسم، ثم تزجر نفسها وابتسامتها وتشغل نفسها بشيء آخر حتى مرّ الليل وهي مستيقظة لا تريد أن تنام رغم إرهاقها طوال اليوم، لكنها غفت وهي مسندة رأسها على المقعد الخيزران الموجود في شرفتها، وفي غفوتها رأت بناتها يرتدين ثيابًا بيضاء كأنهن في عرس كبير و"سلسيل" في ثوب الزفاف تحمل طفلة جميلة تقدمها لها على أنها حفيدتها "سلمى"، تحملها "أمال" وتقبلها وتحتضنها وتغني لها.. سلمى يا سلامة، وتضحكًا معًا وتدور معها وهي تغني، وفي دورانها ترى "غيِّث" وزوجته وأولاده يتوجهون لسيارتهم خارجين من حفل الزفاف! فتتوقف عن الدوران وتنادي عليه فينظر لها مبتسمًا ملوِّحًا بيده، ويكمل سيره ويفتح السيارة لزوجته وأولاده وينطلق بها، ثم تنادي عليها "سلسيل" ومعها "سندس" و"جنة".."ماما، تعالي عشان حنقطع التورته، ماما".

تستيقظ "أمال" على ألم في رقبتها جرّاء هذه الغفوة التي طالت لأكثر من ساعة! تتأوّه "أمال" وتلوم نفسها أنها نامت على هذا الوضع،

ونظرت في ساعة الهاتف وهي فرعة فوجدت أن أذان الفجر قد اقترب، فقامت وأحضرت قطعة صغيرة من الجاتوه المتبقي وهي تتذكر ذلك الحلم العجيب ورؤيتها لحفيدتها الجميلة، ثم رؤيتها لـ "غيث" وعائلته، وتعجبها من ظهورهم هكذا في حفل زفاف يخص بناتها! تأكل من الجاتوه وتتذكر نهاية الحلم وتضحك وتقول لنفسها.. "إِظَاهِر كُنْتَ جَعَانَةَ جَاتُوهُ".

أخذت "أمال" ترقب انعكاس بزوغ الشمس على السحاب وصفحة الماء بألوان أوجوانية بدرجاتها المتداخلة مع زرقه خفيفة كأنها غلالة تغلف السحاب والماء أمامها في مشهد ساحر، أخذت تسبح الله وتشي على بديع خلقه، وبعد أن تصفحت الإنترنت تركت الشرفة ودخلت الغرفة وغيّرت ملابسها بأخرى وجمعت أشياءها في حقيبتها ووضعت بداخلها اللاب توب ونظرت لساعة الهاتف فوجدتها ما زالت التاسعة والنصف، لكنها قررت التوجه للمحطة حتى لا تغفو مرة أخرى من التعب ويفوتها القطار.

تركت "أمال" الفندق وهي تتلفت باحثة عن وجه "غيث" ثم أنكرت بحثها وهزت رأسها تعجبًا من نفسها، وانطلقت في سيارة أجرة إلى المحطة. توجهت "أمال" لرصيف رقم ٢؛ حيث سيأتي القطار المتوجه للقاهرة، وأخذت تبحث عن مقعد خال؛ لأنه ما زال أمامها أكثر من ساعة على موعد القطار، رن جرس هاتفها المحمول فوجدت المتصلة هي "شمس" ..

شمس

قبل هذا الاتصال بيوم..

وبعد انتهاء اجتماع النونز، وبعد أن ودعت "شمس" "كريمة" وانطلقت مع "منيرة" في سيارة الأجرة؛ وصلت "شمس" لمدخل منزلها وتوجهت للمصعد وجدته معطلاً، تنهدت وهي تقول: ياربي، لسه حاطلع السلم!، أنا ما صدقت وصلت.

كانت متعبة، منذ الفجر وهي مستيقظة، فبعد أن صلت جلست تقرأ وردها اليومي، ومع فنجان قهوتها أكملت أذكار الصباح وأشعلت البخور كعادتها كل صباح، كان أبناؤها ما زالوا نائمين، فتناولت فطورها كالمعتاد بمفردها وهي تضع في طبق صغير أقراصاً متعددة لأدوية وصفها لها الطبيب المعالج لتنشيط الدورة الدموية ولعلاج الصداع المزمن والآلام فقرات العنق، أخذت تبتلعهم واحدة تلو الأخرى وهي تسمى الله وتطلب منه الشفاء، وتتمنى ألا تصاب بنوبة الصداع التي تهاجمها فجأة ودون إنذار فتجعلها تتلوى من الألم ولا يفلح معها أي دواء غير إظلام حجرتها تماماً وتتكوم بجسدها في ركن فراشها وهي تكتم ألمها بوسادة صغيرة حتى تهدأ النوبة. تتذكر أول نوبات هذا الصداع يوم طلاقها ومواجهة عنيفة مع أهلها

وطليقتها، فالكل يهاجمها ويلومها ويحملها مصير أولادها وتشتت أسرتها، فصرخت فيهم جميعاً أنها تتحمل قرارها، فلا أحد يحس بها أو بمعاناتها، ومن بعد انفعالها هذا هاجمتها أول نوبة، وبعد ذلك أصبحت تتنابها كلما أجهدت نفسها أو تعرضت لضغط عصبي أو أصيبت بأي دور برد بسيط! احتار طبيها في معرفة السبب لتحديد العلاج المناسب، ولكن لم ينفع معه أي علاج؛ فقد جربت كل شيء حتى الوصفات الشعبية وخلطات العطارين! سنوات تَعَوَّدت على مرضها، وتحاول أن تروضه كي يستكين فتبتعد عن كل ما يسبب هجومه عليها بغتة، لكن هاجمتها الأمراض الأخرى كما لو كانت في الثمانين من عمرها، بينما هي لم تتعد الثانية والأربعين!

هي تعلم أن سبب هذه الأمراض نفسي؛ لأن مشاكلها مع طليقتها لا تنتهي وتعرض يومياً لضغوطات لا قبل لها بها، وتحامل على نفسها كي تستطيع أن ترعى أولادها بمراحلهم الدراسية المختلفة، كان هذا الصباح كمشيله مليئاً بالمهام، وكان لا بد أن تنتهي منها قبل موعدها مع صديقاتها، فلم تستطع أن تعتذر بعد أن تحدثت مع "كريمة" وترجّتها أن تكون حاضرة لتعطي رأيها فيما تعانیه، فكيف تتخلف عن صديقتها التي تتنفس وجعاً! فكان لا بد أن تذهب لشراء بعض المستلزمات للمنزل، وتوصل ابنها الصغير للنادي لتدريب السباحة، ثم تذهب لمحطة الرمل لشراء بعض الاحتياجات للجمعية الخيرية التي تشرف عليها تطوعاً منها، ثم تعود لتأخذ ابنها وتعود للبيت ليذهب مع إخوته عند والدهم وتذهب هي للقاء النونز.

وها هي بعد يوم شاق وطويل، والساعة تقترب من التاسعة مساءً تقف أمام المصعد المعطل تنهي ماراتون اليوم بصعود خمسة أدوار وهي لا تقوى على صعود درجتين منها!، فجزّت نفسها جرّاً، وهي تكاد تبكي، وكلما صعدت درجة تتأوه مرددة: ياربي.

وتقف لتستريح وتلتقط أنفاسها رغم أنها لا تحمل أثقالاً؛ فوزنها وحجمها مثل صبية صغيرة، لكنها كانت مرهقة أشد الإرهاق.. وأخيراً وصلت لباب شقتها فدخلت لتجد أبناءها الذين ذهبوا للمبيت عند والدهم قد حوّلوا المنزل لساحة حرب، فنظرت للأشياء المبعثرة هنا وهناك ولوحت لها سلاماً، وذهبت لغرفتها وألقت بنفسها على الفراش كما هي بملابسها وخمارها وأغمضت عينيها وهي تتأوه من الألم، أُذّن لصلاة الفجر فانتبهت لصوت المؤذن، فوجدت نفسها على حالها فتعجبت أنها نامت هكذا دون حراك، فقامت لتأخذ حماماً، ولتكرر ما تفعله كل صباح بعد أن أشعلت البخور، اليوم أيضاً ستمضيه بمفردها؛ فأولادها يمضون وقت الإجازة الصيفية ثلاثة أيام عند والدهم، وباقي الأسبوع معها.

كانت ترتاح من عمل الوجبات اليومية في تلك الأيام التي تكون فيها بمفردها وتأكل أي شيء متبقّي أو لا تأكل؛ فالطعام كان آخر شيء تفكر فيه، كل ما يهمها أن تجد بُناً كافياً لعمل قهوتها كلما احتاجت إليها!

موعدتها في الجمعية الخيرية اقترب؛ فارتدت ملابسها وذهبت، وهناك قابلته، جاء ليتبرع بجزء ثابت من أرباح مصنعه لرعاية هؤلاء الأيتام،

كان ينتظرها وعندما شاهدته يقف مبتسمًا لاستقبالها انشرح صدرها، وأحست بالألفة والاطمئنان له، لا تعرف كيف؟ ولا تعرف عنه أي شيء!، لكنه شعور مريح جعلها تبادله الابتسام وكأنها تعرفه!

كانت "شمس" حريصة دائمًا أن تتصرف بجديّة زائدة مع من لا تعرفه من قبل، فكم تعرضت لمواقف عدة من رجال يخطبون ودها ويحاولون بشتى الطرق أن يلفتوا اهتمامها، ولكنها كانت لا ترى فيهم إلا نماذج مستنسخة لشخصية زوجها وعقليته وأسلوبه بل وهيئته، لكن هذا الرجل بدا لها مختلفًا، فهناك شيء في ابتسامته وبشاشته وجهه فكّت شفرة أرقام قلبها السرية وفتحت أبوابه له باطمئنان!

- أنا المهندس عصام شاكر....

قدم إليها نفسه ومهنته بأنه صاحب مصنع سيراميك، فرحبت به وطلبت منه الجلوس، وسألته ماذا يريد أن يشرب، فطلب فنجانًا من القهوة بسكر زيادة.

"يحب الحلوزي" .. حدثت "شمس" نفسها وملامح وجهها هادئة!

فطلبت قهوة له ولنفسها من البن المخصص لها، واعتدلت في جلستها على المقعد الوثير الذي يتلع حجمها الصغير، وانطلقت تتحدث معه عن الجمعية ونشاطاتها، وهو ينصت باهتمام، وانتهت أنه لا يرتدي خاتمًا للزواج...

فأكملت: وممكن المدام تيجي، ونعرّفها على نشاطات نسائية ممتازة.

فابتسم وقال: معنديش مدام.

- ليه حضرتك لسه متجاوزتش؟

فضحك وقال: في السن ده! لآ، كنت متجاوز وانفصلت.

"كمان منفصل زبي!" تعجبت في صمت، وأكملت ما كانت تقوله عن أنشطة الجمعية، وأنهت معه إجراءات التبرع، وسألها عما تحتاجه الدار من تجديدات أو احتياجات أخرى.

قالت شمس في تقدير لكرمه واهتمامه: الدار محتاجة حاجات كتير، والحمد لله إن ربنا بيعت لنا أمثال حضرتك كل فترة.

فسألها مرة أخرى: احتياجات زي إيه؟

فأخذت شمس تعدد همومها بالدار وما ينقصه، وهي تتمنى أن تنجح في توفيرها لهؤلاء الأيتام: فيه نقص في الدولاب، وعازين نغير السراير القديمة، والمكتبة محتاجة كتب وطاولات، وكمان الحمامات متهالكة.... ولم يجعلها تكمل: خلاص أنا حجدد لك كل الحمامات، من بكره حابعت عمالي يشوفوا المطلوب، ويبدأوا فيها فوراً، وأنا بنفسى حاتبعم عشان ينفذوا المطلوب على أحسن صورة ممكنة.

ردت شمس على كرمه بفرحة كبيرة أشرق بها وجهه: بجد!! ده كده حضرتك حتبقى عملتنا شيء عظيم جدًّا، ربنا يزيدك خير.

- اللهم آمين... وهمم بالانصراف، فأخرج من محفظته بطاقةً أعطها لشمس وهو يقول: ده الكارت بتاعي، عليه كل التليفونات، لو فيه أي حاجة في أي وقت محتاجها الجمعية أنا تحت أمرك.

أخذته شمس وهي تنظر إلى الاسم والأرقام، وتمتمت: الأمر لله، ألف شكر.

وتردد قليلاً قبل أن يقول: تليفون الجمعية أوقات يكون مشغول أو بيرن ومحدثش بيرد؛ فهل ممكن آخذ موبايل حضرتك عشان أتأكد بكره من وصول العمال، وإنهم سجلوا كل المطلوب؟.

ابتسمت شمس، وقالت وهي تردد السبب الذي قاله: مفيش مانع لو حضرتك لقيت تليفون الجمعية مييردش أو مشغول؛ ابقى كلمني، وأملته الرقم فسألها: أسجله باسم مدام شمس إيه؟
بعفوية ردت: شمس جمعية أبنائي.

فضحك وقال: أنا كان قصدي اسم العائلة أو اسم الزوج.
فضحكت شمس وقالت: اسم العائلة بقى شمس محمود، أنا مليش زوج،

فنظر لها متعجباً، ولم يعلق.

قامت شمس لتحيته عندما قام منصرفاً، ثم سألها قبل أن يغادر: هو حضرتك مشتركة في نادي سموحة؟

- أيوا، أنا وأولادي مشتركين هناك، ليه بتسأل؟

- لأ، أبداً، متهيألي إني شفتك قبل كده، فيمكن أكون شفتك في

النادي!

شمس: احتمال.

حيّاهَا بابتسامته الأثرة منصرفاً، وأخذت "شمس" تنظر إلى الكارت وتتفحص الأرقام، ولديها شعور بالارتياح والبشر من هذه المقابلة، وقد تحقق فيها أمنية كبيرة لها بأن تغير حمامات الدار. نظرت في ساعتها فوجدتها تقترب من العاشرة؛ فاتصلت بـ "أمال" كي تطمئن أنها استعدت للسفر... على محطة القطار.. تنظر "أمال" للهاتف فتجد أن المتصل هي "شمس"، ردت أمال على اتصالها فبادرتها شمس:

- إزيك يا أمولة، صحيتي؟

- صحيت إيه!، أنا منمتش وواقفة في المحطة كمان!

- إيه ده، بدري كده، ده لسه فاضل ساعة على القطر!

- أنا اتعودت على كده، المهم صوتك ماشاء الله مبسوط، فيه حاجة؟

ردت شمس بتعجب: إيه ده! مبسوط إزاي يعني؟

- معرفش، حاساه فرحان كده.

- يمكن عشان لسه مستلمة شيك بتبرع، وكمان حيجدد لي حمامات

الدار كلها.

- هو مين؟

- المهندس عصام شاكر، إنسان ممتاز ومريح جداً.

- طيب، مبروك.

جفلت شمس وقالت: مبروك على إيه!! هو صحيح مطلق، بس لسه بدري أوي على الكلمة دي.

ضحكت أمال وقالت: بأقولك مبروك على التبرع والحمامات، بس واضح إنه ممكن يبقى أمير المستقبل.

فضحكت شمس، وسكتت أمال؛ فظنت شمس أن الاتصال انقطع، لكنها سمعتها تقول في تعجب!!

- يا نهار إيه دا بقا؟

فسألتها بلهفة: إيه فيه إيه؟!!

- لأ، مفيش، موضوع كده حابقي أقولك عليه لَمَّا أوصل، أنا حاقفل دلوقت عشان جاي عليًا..

- هو مين اللي جاي عليكى؟ القطر؟

- قطر إيه بس يا شمس!! بعدين حاقولك.. سلام.

فوق السحاب

أغلقت "أمال" الهاتف وهي تنظر لـ "غيث" القادم نحوها بعد أن رآها من بعيد، وجاء مبتسمًا وبأدائها قائلاً: حظي إني أشوفك قبل ما أسافر ثاني، السلام عليكم الأول.

ردت عليه أمال بصوت متهدج: وعليكم السلام ورحمة الله، هو حضرتك مسافر فين؟

رد متعجبًا كأنها يجب أن تعرف: القاهرة. مش ده رصيف ٢؟
- أيوه.

- وإنتِ رايحة القاهرة؟
أيوه.

- والقطر طوالي مبيقفش إلا في القاهرة؟
ضحكت وقالت: أيوه.

- يبقى أنا رايح القاهرة، بس إنتِ جاية بدري ليه؟ إنتِ كمان لازم تستني القطر قبل ما يجي بساعة؟!
ابتسمت وأجابت: أيوه.

- كده فاضلك كمان أيوه وتكسبي ٧٥ قرش.

ضحكت "أمال" وحمدت الله أنها ترتدي نظارتها السوداء كي تخفي بها ضحكة عينيها وسعادتها التي لا تعرف لها سبباً! بينما هو يسند نظارته الشمسية على شعره الفضي، وانتبهت وهو ينظر لها للون عينيه العسلي الذي يطابق لون عينيها!

سألته أمال: أولادك ومامتهم في الفندق؟

ضحك وقال: أيوه، دوري بقي في أيوه.

ثم عقّب.. أنا رايح القاهرة، وراجع في نفس اليوم في قطر ٩ من هناك مشوار سريع صدّر.

ساد الصمت بينهما للحظة، فقال: لسه فاضل أكثر من نص ساعة على القطر، تعالي أعزمك على فنجان قهوة، أكيد بتشري قهوة. فضحكت وقالت: أيوه.

فضحك وقال: أكيد مضبوط؟

وأمال لا تستطيع أن تتوقف عن الضحك تقول: أيوه.

فقال لها وهو ينظر لها نظرة اخترقتها حتى شغاف قلبها:

- نفس ضحكك من أيام الكلية!

توقفت عن الضحك وسألته في دهشة: إنت فاكر ضحكتي؟!!

فتنهده وقال: بصي، تعالي نشرب القهوة وحاقولك حكاية عجيبة أول

مرة حتعرفيها!

توجهها إلى كافتيريا المحطة، وطلب فنجانين من القهوة، وبدأ كلامه بقوله: أنا بس عايز قبل ما أتكلم أكأد إني عارف "أمال حلمي" كويس جداً، وعارف أخلاقها ومبادئها، فمتفكر يش كلامي اللي حا قوله محاولة مني لأي شيء غير إنك تعرفي..

ابتسمت أمال وقد زاد فضولها وإحساسها أن الأمر له أهميته الشديدة لديه، وقالت: الموضوع كبير بقى!
ابتسم وقال: أيوه، جداً، أكبر مما تتخيلي!

تمهل قليلاً ثم قال: أنا من أسرة متوسطة الحال أو أقل، والذي كان موظف بسيط في البلدية، وكنت باشتغل عشان أوفر مصاريف دراستي وإقامتي في القاهرة؛ لأننا من بلد جنب طنطا، أول ما دخلت الكلية لفتني نظري بأدبك واختلافك عن بقية زميلاتنا، وقعدت الأربع سنين بآجي أحضر محاضرات عشان أشوفك.

اضطربت "أمال"، وبدأ احمرار وجهها يظهر على وجنتيها وهي ترد متعجبة:
- أنا!

- أيوه، لكن لأن حالي كان معدم مكونتش أقدر آجي أكلمك ولا أقولك وأنا عارف مستوى عيلتك الواضح من هيئتك وعريبتك وقتها، وكنت باشتغل بأقصى طاقة عندي عشان أخلص الكلية واقدر أشتغل وأتقدملك، لكن لقيت المجال الصحفي مش حيحقق ليّاه، وأنا كنت بحب الصحافة عن الأدب وعرفت عشان اقدر أتقدم لازم أكون عارف

حاقد على إيه أو حتى يكون فيه ملامح لمشروع المستقبل يحقق المستوى المطلوب، فمكانش ينفع أتقدم ووالدك يرفضني، ومكانش ينفع آجي معدم واقوله جوزني بنتك تكافح معايا وعش العصفورة، والكلام ده....

فسعيت للسفر وفعلاً جالي شغل في الكويت آخر يوم لنا في الكلية، دورت عليك عشان أعرض الأمر عليك يا رفضتي يا رفضتي، وضحك، وابتسمت وهي تستمع باهتمام لا يخلو من الإحراج.. وهو يكمل..

لكن ملقتكيش، فأخذت عنوانك من شئون الطلبة، ورحت ثاني يوم على بيتكم.. وأنا شفت المكان اللي إنت ساكنة فيه في الزمالك، روجت راجع في نفس التاكسي، مقدرتش أطلع أخرج نفسي أو أصغر نفسي قدامك وقدام والدك رحمة الله عليه، إنت فين وأنا فين!، وسافرت وعرفت بعد سفري بشهر إنك اتخطبت واتجوزتي، واتقطعت أخبارك فترة كنت فيها بأموّ نفسي في الشغل عشان مفكرش كثير، والحمد لله ربنا وفقني جدّاً، واشتغلت في المقاولات ودخلت مناقصات وزادت أموالني واتجوزت زوجتي "سهيلة"، وخلفنا ابننا "جاسر"، وفي الفترة دي ابتديتي إنت تكتبي عمود ثابت في مجلة الأدب اللي كنت بأتابعها، وابتدى يبقى لكى قرّاء، وبعدها ربنا رزقنا بـ "نائلة" و"دارين" وأنا برضه متابعت كتاباتك، وبقيت أشتري كتبك لما بأنزل أجازة في مصر ولما عملتي صفحتك على الفيسبوك من ٨ سنين كنت من أوائل اللي اشتروا فيها، ومتابعك من بعيد لبعيد، فلما شفتك في الفندق مقدرتش أشوفك ومجيش أسلم عليكى؛ لأنك تهميني، زي ما إنت شايفة كده.

انتهى "غيث" من كلامه وبدا على "أمال" التأثر والاضطراب وهي صامته تحاول أن تستوعب ما سمعته للتو منه.

ولاحظ غيث تأثرها وحيرتها؛ فقال: أنا آسف جداً، أنا ضايقتك بكلامي. - لا أبداً، متأسف، أنا مش عارفة أقول إيه لأنني بأحاول أستوعب اللي قولته! مكنتش متخيلة إن فيه حد مهتم بيّ أو يفكر فيّ طول السنين دي من غير ما يحاول يقول أو يعرفني، وانتَ على الصفحة من ٨ سنين ومحاولتش مرّة تتواصل معايا أو تكلمني!

ابتسم غيث، وقال متعمداً إضحاكها: لأ، عملت مرّة لايك!.

فضحكت "أمال" وتعجبت من قدرته على انتزاع ضحكاتها وهي التي جُلّ ضحكها ابتسام!

ثم قال: أنا عارف إنني فاجئتك واقتحمت عليك نفسي كده، بجد غضب عني، لكن إنتِ آخر إنسان في الكون ممكن أفكر أضايقه. «قالها صادقاً، وبرأفة وحنوً بالغ بها، أصابها مرة أخرى في مقتل بهذا الحنان الذي أذابها»

قالت وهي تبحث عن نجدة لها: طيب أنا أعمل إيه أنا دلوقت بقى!! - متعمليش أي حاجة، أنا زي ما قولتلك أنا مش بأحاول أي شيء غير إنك تعرفني، يمكن أنانية مني عشان أرتاح من الحمل ده لأنني تعبت أشيله لوحدي، يمكن عايز أقولك إنك مش لوحده، وإن فيه غيث مهتم بيكي من غير هدف ولا غرض.

توقف عن الكلام بعد أن أعلنت الإذاعة الداخلية عن دخول القطار للمحطة..

- القطار جه. قالها وخبط على ركبته براحة يده؛ فرحًا بنجدته هو من هذا الموقف الذي حرّك شجونته، وهو يعلم أنه سيفارقها ولن يراها بعد هذه المرة. قامت آمال كالمسحورة لا تصدق ما سمعته، وسألها: إنت في عربية كام..؟٣
- أيوه.

رفع كفه بحركة اندهاش وقال: طبعًا، لازم.

نظرت له "آمال" وقد فهمت أنه أيضًا يجد تطابقًا فيما يخصهما.. صعدا للقطار معًا، وأخذ حقيبتها ليضعها لها في المكان المخصص فوق مقعدها، وقال: أنا مكاني هناك في آخر العربية.

ونظر لها بتردد لا يريد أن يفارقها أو يودعها، فقال: لمّا يتحرك القطار، ولو فيه مكان نقدر نقعد فيه لحد ما نوصل القاهرة، ممكن واللا حترفضي؟ وقبل أن تجيب استطرده قائلاً: متستخسرش فيّا ساعتين أكمل بيهم السنين اللي جاية.

لهذا الحد يحبها دون أن تدري!

هل ما زال هناك حبٌّ مثل هذا؟!

وهل تستطيع رفض طلبه وهي كادت أن ترجوه ألا يتركها!

ابتسمت وأشارت على المقعد أمامها:

- خليك، اقعدي على الكرسي ده لحد لَمَّا نشوف فيه حد حجزه واللا لأ.
فقال: أو أديه تذكرتي يقعد مكاني وأبدل معا.

جلس "غيث" في المقعد الفردي الذي أمامها ولم يأت أحد يطلب منه استرداد مقعده المحجوز، و"أمال" عاد اضطرابها الشديد، وعادت إليها مشاعر الفتاة التي تشعر بالحب لأول مرة! وهي تسائل نفسها في دهشة مما تشعر! في هذا السن يا "أمال" تشعرين مثل المراهقات!!

قال، وكأنه يقرأ أفكارها: حستغربي كمان لو قولتلك إن تقريباً آراءنا واحدة في كل شيء وفي كل قضية فنية أو سياسية بألاقيكي منزلة بوست بتقولي نفس الكلام اللي كنت بأقوله أو اللي أنا مؤمن بيه، ولَمَّا كتبتني عن حبك للفن والياسمين وعصفور الجنة مستغربتش؛ لأنهم نفس الزهور اللي بحبهم وحبك لموسيقى التشيللو والإسكندرية وبحرها، والكابتشينو من البن البرازيلي، قلت أكيد تعرف عم علي!

صاحت في تعجب: عم علي إنت تعرفه؟

- طبعاً ده صاحبي من زمان كل ما أنزل الإسكندرية أخليّه هو اللي لازم يعملني فنجان القهوة أو الكابتشينو، وأعرف أولاده كمان محمد وحسن وإيمان، أكيد دول بقى متعرفهمش.

تبتسم أمال وهي لا تعرف ماذا تقول أمام هذا السيل من التطابق بينهما!

- لآء؁ أعرّفهم. بس لسه عارفة اسمه واسم أولاده إمبارح بس؁ برغم
إنى بأروح هناك دايماً.

- لّمآ كتبت مرة إنك بتروحي هناك بقيت أروح يمكن ألاقى مرة
منهم داخلة من الباب!

أطرقت "أمال" وخفّضت وجهها خجلاً مما يقوله؁ وبدا عليها القلق
والاضطراب وهي تنظر ليده فترى خاتم الزواج؁ وتتذكر جلسته فى المطعم
مع أسرته؁ أين هي منهم!؁ وكيف تجلس الآن معه تسمع منه هذا الكلام
الذى يكيفها عمراً من الحب؁ ولم تكن فى أكبر أحلامها تتصور أن هناك من
يجبها مثل هذا الحب؁ أو أن يخفق قلبها له بمثل هذه السرعة وكأنها تبادلها
حباً بحب طوال تلك السنوات؁ كأن كل كلمة كتبتها فى حياتها له هو؁ ذلك
الحبيب المجهول الذى كانت تجسده فى زوجها رغماً عنه!

وللمرة الثانية كأنه يقرأ أفكارها التى تبرق فى عقلها ولم تعد تندهش بعد
ما قاله أنه يرددها أو يكملها أو يجيب على أسئلة لم تتفوه بها ولكنه سمعها!

- أمال؁ أنا مش مراهق؁ ولا عندي أزمة منتصف العمر؁ أنا بحب سهيلة
مراتى وباحترمها جداً؁ وهي وأولادى أعلى حاجة عندي فى الدنيا ومقدرش
أؤذيها أو أؤذي مشاعرها؁ لكن إنتِ بالنسبة ليا شيء تانى؁ باحسك أنا؁ فأرجوكى
مترعليش من كلامى؁ ولا تلومي نفسك إنك سمحتيلي بالكلام؁ أنا لو مكنتش
شفتك وقتلتك وجهها لوجه كنتى حتلاقى رسالة منى بعتهالك على صفحتك
قبل ما أنزل الأجازة من كام يوم؁ بأقولك فيها كل اللي قلته لك النهارده وزيادة؁

عشان كده لَمَّا شفتك في الفندق قلت مش ممكن التوقيت ده يكون صدفة! ومكنتش عارف أعمل إيه، ولقيت فرصة أعرّفك بيّا عشان لَمَّا تشوفي الرسالة متقوليش مين المجنون ده اللي باعت يقولي حكاية متصدقش وأنا معرفوش!

- أنا عارفك يا غيِّث من أيام الكلية بس مفيش مناسبة جمعتنا في كلام، كان مُلّفت ليّا شعرك واسمك المميز واستغرابي من دخولك الكلية وإنّت مبتحضرش معظم المحاضرات، كنت باشوفك لَمَّا بتيجي لكن مكانش فيه أي تجمع جمعنا من قريب، ولا كنت أعرف عنك حاجة غير إنك زميل زي أي زميل، ومحاولتش ولا مرة إنك تكلمني!، أنا مش عارفة أقول إيه، ومش من حقي أقول أي حاجة، و...

وقطع كلامها مفتش القطار جاء يتأكد من التذاكر؛ فنظر فيها فاحصًا، ثم تطلع لهما بنظرة أحست "أمال" بها بالإحراج، وكأنه يعرف ما يدور بينهما، بل أحست أن كل من في العربّة يراقبونها ويعلمون أنه لا يحق لها الجلوس معه، فبعد انصرافه أكملت: مش من حقي أقعد معاك كده!

- آخر حاجة أكون عايزها إنني أحسسك بالذنب، على العموم أنا مش حاقولك اللي كتبته في الرسالة، ابقِي اقربها وإنّت مش حتحسي بالذنب، أنا حاقوم أشرب فنجان قهوة في البوفيه، تحبي تيجي معايا؟
- لآ، أنا حاستني هنا.

رن هاتفها المحمول؛ فوجدت "شمس" تتصل بها مرة أخرى!

فقال لها: أنا حاقعد في البوفيه أو في مكاني هناك لحد لَمَّا نوصل، بس حاجي أسلم عليكى قبل ما القطر يدخل المحطة.

وتركها وهي تنظر للهاتف الذي ما زال يرن، فردت بصوت مرتعش: أيوه يا شمس.

- ها يا أمولة، حصل إيه، مش حتقوليلي كان مين اللي جاي عليكى في المحطة؟

- مش حينفع أقولك دلوقت، لَمَّا أروِّح البيت حاكلمك.

- الصوت مش واضح يا أمولة، لَمَّا توصلي كلميني بقى، سلام.

- سلام.

أغلقت "شمس" الخط قبل أن تجيبها "أمال" فهي لم تكن تسمعها! عادت "أمال" لأفكارها وهي تتذكر كلمات غيَّث لها وإحساسها المضطرب، وفرحتها بهذا الحب التي لم تكن تعلم عنه شيئاً ونظراته الحانية التي أذابت صقيع قلبها في لحظة! مشاعر عوّضت عمراً بكامله في ساعة، قد يهون العمر إلا ساعة وتهون الأرض إلا موضعاً، بيتٌ من الشعر قاله شوقي وتردده هي في وجدانها وهي تحس كل حرف منه..

"يهون العمر إلا ساعة"

ساعة قد تكون زادها لبقية عمرها..

"متستخسر يش فياً ساعتين أكمل بيهم السنين اللي جاية"

هو قالها قبلها وهي تستشعرها الآن!

عجيب أمرنا نحن النساء، يمحو الحنان والاهتمام سنين الوجد في لحظات، ننسى ليال لم يغمض لنا جفن فيها من التفكير والألم، ننسى دموعاً أغرقنا بها وسائدنا، ننسى ونعاود الكرّة، مثلما ننسى آلام المخاض التي تمزقنا ألماً عندما نرى وجه وليدنا، ونعاود الكرّة كأننا نستعذب العذاب! حاولت "أمال" الدخول على صفحتها لتقرأ رسالته، لكن إرسال الشبكة لم يساعدها في تهدئة ما يعتمل بداخلها، بل زادها عدم تمكنها من قراءة ما كتبه توتراً واضطراباً، وبتصور مفارقتها وأنها لن تراه بعد ذلك وجدت نفسها تقوم من مقعدها وتتوجه للبوفيه، وجدته جالساً مطأطئ الرأس، حاله يحكي دون كلام ألمه، ورفع رأسه ونظر ناحيتها فجأة كأن أحداً أنبأه بقدمها! فلما رآها تهلل وجهه فرحاً، وطلب لها فنجاناً من القهوة مثله!

جلست "أمال" على الكرسي المرتفع بجواره، وقالت: أنا جاية أسلم عليك؛ لأنني مش حاقدراً أسلم عليك لَمَّا نوصل، مبقدرش أتحمّل ساعات الفراق وأنا حاسة إن الناس كلها عمّالة تبص عليّ، أنا في ساعة.. حياتي كلها اتغيرت واتقلبت، أنا أمال تانية خالص غير اللي سلمت عليها من ساعة. تهدج صوتها وهي تكمل..

محتاجة أستوعب حالتي، ومحتاجة تساعدي أستعيد توازني تاني عشان أعرف أنا كمان أكمل حياتي، أنا حاشرب معاك القهوة وحارجع مكاني، وحيكون ده آخر شيء بينا، وبدل ما كانوا ساعتين تكمل بيهم حياتك كفاية عليّ ساعة أكمل بيها حياتي.

أطرق قليلاً ثم قال لها: لمّا ترجعي البيت وترتاحي متنسيش تقري الرسالة.

ابتسمت "أمال" فهو لا يعلم أنها حاولت الدخول على صفحتها فقط لتقرأ رسالته، فكيف تنسى!

- حاضر، أكيد مش حانسي، حترجع الكويت إمتى؟

- خلاص مفضلش من الأجازة غير ثلاث أيام، الأجازة كلها أسبوع عشان ارتباطات الشغل هناك.

لم تشرب "أمال" قهوتها، وكذلك فعل غيّث، وكأن اللحظات الباقية لا تتحمل أن يؤخذ منها ثوان لارتشاف القهوة!

فنظرت أمال لفنجانها وقالت: القهوة بردت، خسارة.

- أطلب لك فنجان تاني.

ابتسمت أمال قائلة: يبقى مش حنخلص، كأني شربتها.

رن هاتفها المحمول مرة أخرى، وكانت المتصلة "سلسيل" فاستأذنت

منه لترد عليها:

- أيوه حبييتي، سمعاني؟

- الصوت يقطع يا ماما، بس لو سمعاني أنا عايزه أعرف إنت وصلتني لفين؟

نظرت "أمال" للنافذة كي تتبين الطريق، ولكنها منذ صعدت للقطار لم

تهتم بمعرفة أين هي...

- مش عارفة يا سلسبيل، الطريق مش واضح له معالم.
فهمس لها: عدينا دمنهور.
- فرددت ما قاله لابنتها: عدينا دمنهور.
- ياه، ده لسه بدري. طيب يا ماما لَمَّا تقربي من القاهرة كلميني.
- حاضر حبيبتى.. إخوانك كويسين؟
- أيوه كويسين.
- وأنهت معها المكالمة التي أرجعتها - للحظات - لواقعها وحياتها الحقيقية، ابتسم وهو يقول لها: اسم بنتك جميل جداً، سلسبيل مش متداول برضه رغم إنه اسم عين من الجنة.
- ابتسمت ابتسامة واسعة وقالت: آه فعلاً، وعندى كمان سندس وجنة.
- سلسبيل وسندس وجنة، الله، أسماء جميلة جداً، ماشاء الله، ربنا يفرحك بيهم يا أمال.
- سلسبيل لسه مخطوبة من كام يوم، وحتسافر أمريكا بعد شهر مع جوزها.
- يعني قَرَّبْتِي تبقى جدة.
- ضحكت أمال في سعادة لتصور أحفاداً من ابنتها: يارب، دي حبتى أسعد لحظة عندي.
- ممكن أسألك سؤال، هو فضول منى بس لو مش عايزه تردّي عليه بلاش.
- اتفضل.

- إنتِ كتلة مشاعر وأحاسيس، وكل كتاباتك بتعبر عن مشاعر راقية جداً وعميقة جداً، وكنتِ دايماً بتقولِي إنها لزوجك، خبر انفصالك أذهلني، إزاي بعد الحب ده كله؟

صمتت "أمال" للحظة وهي لا تعرف ماذا تقول له...

ولاحظ مسحة الحزن على وجهها؛ فقال: بجد لو مش عايزه تقولي وحيسب لك ألم بلاش.

- هو فعلاً بيألمني، بس بعد اللي حصل النهارده، واللي عرفته منك مينفعش مجاوبش على سؤالك، كتاباتي مكانتش له!..

لم ينتظر لتكمل وتساءل في صدمة: إيه!!!

وأكمل وقد شحب وجهه: فيه حد تاني في حياتك يا أمال؟

أسرعت أمال بالنفي: لا لا، مكانتش ليه ومكانتش لحد، كنت بأكتب لشخص كنت متصورة إنه ده الإنسان اللي أنا عايشة معاه، لكن اكتشفت إن ده من صنع خيالي، وتبسم وتصف حالها "كسرابٍ بقيةٍ يحسبه الظمان ماء"، ثم أكملت..

هو مخدعنيش؛ لأنه من البداية كان مختلف عن الصورة دي، لكن أنا اللي مكنتش عايزه أشوف غير اللي في خيالي! كانت له حياة تانية، زوجة وأولاد لسنين طويلة، معرفش عنها حاجة، عشان كده مكانش ينفع أكمل حياتي معاه بالواقع المرير ده، الوهم والخيال همًا سبب استمرار زواجي سنين طويلة، لكن الحقيقة مقدرش يصمد أمامها ليوم وانهار كل شيء!

وتعود لتصف حالها بالشعر.. زي ناجي ما قال "كان صرحاً من خيالٍ فهوى" .. فاللي كنت باكتبه، مكانش له..

أطرق غيِّث وقد هزته بقوة كلمات "أمال" التي تصف حالها بشكل لم يكن يتوقعه؛ فسألها وقد استشف الإجابة: عشان كده بطلتي تكتبي؟!!

- أيوه، حاكتب أقول للناس إيه؟! أنا خدعتكم السنين دي كلها لأنني كنت عايشة في وهم من خيالي!

- خيالك ده يا أمال أكيد صلِّح حياة ناس كتير وأنا واحد منهم، لولا خيالك ووصفك للمشاعر اللي المفروض تكون بين الزوج والزوجة كنت حاعامل سهيلة بإهمال وعدم مراعاة لها كامرأة من حقها تشعر بحب زوجها ليها، إنتِ علمتيني إزاي أكون زوج كويس .. صحيح كنت باقول لربنا يارب هذا ما أستطيعه فلا تَوَاخذني بما لا أستطيعه، لكن كان كفاية جدًّا بالنسبة ليَّا وليها، وسعادتها إنتِ السبب فيها، أنا كاتبلك ده في رسالتي، فمتقوليش خدعتي الناس، إنتِ فعلاً زي الشمعة بتحترق وهي بتنور لغيرها.

أخذت أمال تنظر إليه وقالت وهي تبتسم: إنتِ فعلاً حقيقي! والللا انتِ كمان من خيالي!.

ضحك وقال: ممكن تضربيني بالقلم، ولو قلت أي أبقى حقيقي.

ضحكت وقالت: أيوه، وأقولك.. وكمان بتقولني شمعة بتحترق وهي بتنور لغيرها.

واستغرقا في الضحك معاً..

وتنهدت آمال وهي تقول مازحة: يا الله، بجد، بقى كتاباتي لها التأثير ده على حياتك وعلى زوجتك، طيب إيدك على الحلاوة بقى!
فقال لها ممتناً بصوته الهادئ الرخيم، وكأنه يعزف به على أوتار قلبها:
إنتِ لو على كل حاجة عملتها لي في حياتي ادّيتك حاجة حلوة؛ كنت فتحلتك محل حلواني..

صمت لسان "أمال" لكن قلبها كان يعزف معزوفة أخرى، معزوفة تتراقص عليها قفزاً وفرحاً كل نبضاته..

رفقاً بقلبي يا غيِّث، رفقاً؛ فأنا حديثة العهد بتذوق طعم السحاب.. رفقاً بقلبي أيها الآتي من وراء الحجب؛ فأنا حديثة العهد بملامسة السماء.. رفقاً بقلبي وحصنه؛ فسهام عينك تخترق فيحترق، فتزِيل عنه أسواره ووقاره وجدرانه جداراً تلو الجدار. لم تستطع "أمال" أن تتحمل جلستها بهذا الاضطراب الذي يعيد لها إحساسها الشديد بالذنب، وأنه لا يحق لها أن تجلس لتسمع منه ما يجعل قلبها ينتفض ومعدتها تتقلص كمشاعر مراهقة تتذوق لأول مرة وجعاً من نوع آخر، وجعاً محبباً يجعل كل خلاياها تنبض بالحياة.. آن وقت الفرار، آن وقت الوداع. كانت ابتسامتها الدامعة هي ردها على سكر كلامه وهي تترك مقعدها، ونهض غيِّث ووقف صامتاً.. وللحظة تلاقت العيون الدامعة كأنهما انعكاسٌ بالمرآة! نفس اللون، نفس الدموع اللامعة التي تقاوم السقوط، نفس الشجن، نفس النداء والرجاء للبقاء، لكن، آن وقت الفرار..

فهمست قائلة: توصل بالسلامة.

ردت عيناه عليها السلام قبل أن يتفوه به بقوله: الله يسلمك.

فألهمت نظرتة الحزينة المودعة لها قلبها فاشتعل وجدًا، وغادرت المكان وتوجهت عائدة إلى مقعدها، وارتدت نظارتها السوداء لتخفي بها حالها وجلست تنظر من خلال النافذة، ودموعها التي حبستها أمامه أطلقتها تسابق القطار الذي يطوي المسافات ويدق على القضبان الحديدية بقوة، دقاته المتسارعة مثل دقات قلبها الذي ما زال ينتفض، وهي تعيد ما دار بينهما وتعيد كلماته ونظراته غير مصدقة أنها تلازمه كل هذه السنين التي كانت هي فيها تشعر بالوحدة والاحتياج لمن يبادلها مشاعرها ويدفع برد حياتها!

اقترب القطار من وجهته، واستعدت "أمال" لمغادرة القطار، وأنزلت حقيبتها وتوجهت ناحية الباب وقد نسيت أن تتصل بابنتها كما أوصتها؛ فأسرعت بالاتصال بها فلم تجد إشارة إرسال، وفتحت الأبواب ونظرت تجاه مكان غيِّث فلم تجده، وأخذ بصرها يجول ويبحث عنه بين جموع الواقفين فلم تجده له أثرًا! خرجت من القطار تلفحها حرارة ساخنة ذكَّرتها فورًا بهجير حر القاهرة، وهي ما زالت تبحث ببصرها عنه، ولكنها أبصرت بناتها الثلاث ينتظرنها عند نهاية الرصيف وقد رأينها وجرت "جنة" نحوها لتحتضنها وتحمل عنها حقيبتها، وقبَّلت بناتها بشوق وهي تقول لسلسيل:

إنّ تعبتي نفسك ليه وجيتي!، مش قولتلك بلاش وخليكي مستريحة

من المشاوير.

- بصراحة سندس شجعتني، قالت لي تعالي نروح نجيب ماما، الجو حر جدًّا، ويمكن متلاقيش تاكسي مكيف.

نظرت أmaal لسندس بحب وقالت لها: حبيبي، منحرمش من حنانك عليًا، منحرمش منكم انتوا الثلاثة أبدًا.

تقول جنة ضاحكة، وهي تداعب أمها وتدللها كعادتها:

- إسكندرية دي عملت فيكي عمايل يا أمولة، إنت حلوة أوي يا ماما. فضحكت أmaal: يا بكاشة.

قالت سلسبيل وهي تنظر لأمها وتبتسم: بجد يا ماما فيكي حاجة متغيرة، وشك مرهق بس محلوة زيادة.

تنهدت أmaal باسمة: مرهقة!! أنا حاسة إنني عايزه أنام سنة!

وخرجت "أmaal" مع بناتها من المحطة المزدحمة وكأنها كانت محطة الهبوط من السماء لأرض واقعها الذي استقبلها بهذا الحب وبهذا الرفق بها، وكأن بناتها يشعرون بحاجتها لمن يجعلها تستعيد توازنها وتأقلمها مع حياتها مرة أخرى! لكنهن لا يعلمن أنها عادت غير ما ذهبت، فقد ذهبت مثل الطير خماصًا وعادت بطانًا، عادت تحمل زادًا يكفيها بقية عمرها..

أرواح مجنّدة

وصلت "أمال" إلى بيتها، ووجدته مرتبًا ونظيفًا بفضل تعود البنات منذ صغرهن على مساعدة أم محمد؛ فترحمت عليها بصوت هامس، ودخلت غرفتها وأغلقت الباب وأخرجت اللاب توب، وجلست على فراشها ودخلت على صفحتها كي تقرأ رسالة غيّث قبل أن تفعل أي شيء.

فتحت الرسائل وأخذت تنتقل بين الأسماء التي أرسلت لها في الفترة الماضية، وهي تقول لنفسها: كل دي رسايل جاتلي وأنا مقرتهاش!

ووجدت من بينهم رسالة من "سارة" التي قابلتها في دار المعارف بالإسكندرية، فابتسمت وقالت: حارجلك يا سارة.

وأكملت بحثها عن رسالة "غيّث" .. وأخيرًا وصلت لرسالة مرسله باسم "غيّث عبد السلام" بصورة شخصية فتحت الصورة قبل أن تقرأ الرسالة وأخذت تتفحص ملامحه.. وابتسمت له كأنه يراها وعادت للرسالة.. وبدأت تقرأ..

بسم الله

يمكن تكون دي أغرب رسالة حتوصلك من قارئ لك!

أنا نفسي مش عارف أبتديها إزاي؟!!

أنا غيِّث عبد السلام، كنت زميلك في كلية الإعلام، أفكرك بيّا يمكن تفتكريني، كان شعري أسود طويل بيوصل لحد كتفي، كنت عايش دور الفنان الصحفي لكن زي ما إنت شايفة صورة البروفایل بقى شكلي مختلف تمامًا بالشعر الأبيض واللحية الخفيفة والملامح اللي اتغيرت بفعل الزمن والتعب! طبعًا مفكرتنيش، لكن أنا أعرفك أكثر مما تتخيلي!

من أول يوم دخلت فيه المدرج عشان أحضر أول محاضرة ليّا في الكلية، نظري وقع عليكِ إنتِ من بين كل البنات، معرفش إيه اللي شدني لك بالذات غير إنك طبعًا جميلة، جميلة جدًّا، لكن جمالك كان خارج أسباب انجذابي، حسيتك طيبة عطوفة، رقيقة المشاعر لكن ليه إنتِ؟ معرفش، لكن عرفت بعدين!

أنا كنت قليل التواجد في الكلية؛ لأن ظروف عائلتي ووظيفة والدي رحمة الله عليه كانت بتصنّفنا إنا أقرب للفقراء من الطبقة المتوسطة، فكنت لازم أشتغل بجانب دراستي عشان أتكفل بمصاريف إقامتي في القاهرة، كنت باشتغل في أعمال البناء بدءًا من عامل محارة ونقل الطوب والأسمنت لمشاركات محدودة في مقاولات حققت لي أرباحًا كانت بتكفي مصاريف إقامتي ومساعدة بسيطة لوالدي في تربية إخواتي، فمكانش فيه أي فائض أقدر أحوشه عشان أبني بيه مستقبلي، لكن كنت كل ما أقدر أخطف نفسي من الشغل آجي الكلية عشان أشوفك، وطبعًا أبيت نفسي للدكاترة وأعرف وصلت المحاضرات لفين، لكن إنتِ كنتِ السبب الأول اللي مخليني

أكمّل في الكلية وأنا شايف إني عشان أخرج وأكون صحفي لازم يكون ليّا معارف أو أقبل أكون مرطون لصحفي كبير أو أدخل في أوساط تحقق لي ربح؛ لكن كنت حاخسر فيها نفسي ومبادئي زي ما بعض زمائلي كانوا بيقتنوني أروح معاهم وأدخل في الأوساط دي!

كنت باتابعك من بعيد، وبتعجبني مناقشاتك مع الدكاترة أو اعتراضك على بعض ما يقولون، كنت كل مرة بيزيد إعجابي بيكي، لكن طبعًا عمري ما فكرت أظهر إعجابي ده أو أقرب وأنا شايف إن مستواكي الاجتماعي من ملابسك وعريبتك مينفّش أحلم بيه، لكن حلمت بيكي رغبًا عني!

كنت بأبقى قلقان لاحد يخطبك، وكل سنة أدور بعنيًا على دبلة خطوبة في إيدك، وأفرح لَمَّا ملاقيش وأقول فيه أمل، آخر سنة، في آخر يوم امتحانات، دوّرت عليكي بعد الامتحان عشان أكلّمك وأقولك مشاعري.. يمكن تقبلي بيّا وتستنيني شوية أو حتى ترفضني وأقطع الأمل ده وأعرف أعيش حياتي من غير تفكير فيكي، لكن ملقتكيش، أخذت عنوانك من شؤون الطلبة بعد ما ألفت للموظفة هناك قصة طويلة وعريضة، وأنا باقرأ العنوان، توقعت طبعًا إنه مكان راقٍ لكن لَمَّا وصلت بالتاكسي هناك لقيت المكان أفخم مما توقعت، طلبت من السواق يستني دقيقة، روجت لباب البيت ولقيت المدخل الكبير والحراسة حسيت إني حارج نفسي وحارجك لو طلعت وقدمت نفسي إني زميلك وعايز أتقدم لك وأنا معنديش حاجة أقدمها لك غير قلب مليون مشاعر ومستقبل مجهول، تصورت رفض والدك أو رفضك وأنا في بيتك، فرجعت

وركبت التاكسي تاني وأنا بأقول إيه الجنون اللي إنت فيه ده يا غيِّث!، هي فين وأنت فين، دي حتى متعرفش إنك مهتم بيها ولا عمرك حاولت تكلمها، الوقت فات وهي ممكن في أي وقت حد يتقدم لها وتضيع منك، فوق وشوف حالك وسيب بنات الناس للي يقدرهم ويقدر يعيشهم في مستواهم، كان يوم صعب، صعب جداً علياً وأنا بأواجهه ظروف، عمري ما حسيت بالعجز أو إني ناقصني حاجة غير في اليوم ده، عمري ما كرهت قصر الإيد غير لَمَّا معرفتش أمد إيدي لوالدك عشان أخطبك، لكن كان لازم أبعد، سعيت للسفر، وقريب لياً بالفعل ساعدني أسافر الكويت أشتغل معاه في المقاولات.

بعد ما سافرت بشهر عرفت من زميل لنا كنت بأرساله وكان يعرف مدى اهتمامي بيكي إنك اتخطبتي واتجوزتي خلال شهر وهو عرف عن طريق زميلة كانت صديقة لكِ هو ارتبط بيها كان اسمها أمانى!

كان شيء متوقع لكن حزن جداً، كان يوم أصعب علياً من أي شيء واجهته، يومها قعدت ماشي في شوارع درجة حرارتها فوق الـ ٤٥، لكن النار اللي كنت حاسس بيها من وجع قلبي وإنك روحتي مني كانت أكبر من إحساسي بحرارة الجو، يومها بكيت، وأنا دموعي عزيزة جداً ومن بعدها بقت دموعي قريبة جداً، ومكانش قدامي غير الشغل أهتم بيه بعد ما خسرتك للأبد، ولخبرتي في المجال ده ومعرفتي بكل حاجة فيه نجحت فيه بسرعة، وابتديت أدخل في مقاولات، وبدأ شغلي الصغير يكبر وأرباحي تزيد، وأدخل مقاولات كبيرة ونسيت الصحافة وحطيت شهادتي في صندوق مع أشياءي القديمة الغير مستعملة!

لكن مقدرتش أنساكي، وكنت بتيجي على بالي كثير وبتاخيلك أم وعندك أولاد وأدعيلك بالسعادة، وبعد كام سنة فجأة لقيتك تاني قدامي من خلال كتاباتك في جريدة الأدب، أمال حلمي، في الوقت ده كنت تزوجت من زوجتي سهيلة، هي كويتية، أخوها شاركني واتفقت على العائلة ورحبوا بيًا وسطهم، وكان زواج تقليدي دون أي معرفة مسبقة بيها، الحمد لله سهيلة زوجة ممتازة، لكن مكنتش باهتم بتواجدي في البيت كثير، وكل وقتي كان للشغل وهي مكنتش بتشتكي فمكانش في بالي شيء، ورزقني الله بابني جاسر؛ فكانت حياتي تسير بصورة عادية، لَمَّا لقيتك بتكتبي وأنت بتوصفي مشاعر المرأة واهتمامها الشديد بالتفاصيل الصغيرة والتقدير من زوجها حسيت إنني مقصر مع زوجتي ومشغول عنها، وابتديت أستقطع وقت أكبر ليها وأغير معاملتي العادية للاهتمام بالتفاصيل اللي كنت بتشرحها، رجعتي تاني لحياتي تصلحها وتتواجدي فيها، زوجتي شعرت بالفرق الكبير وصرحت لي إنها كانت بتحس إنني بعيد عنها لكن مكانتش بترضى تحملني إحساسها بالوحدة، أد كده كنت ظالمها معايا، كل كلمة كنت بتكتبيها كنت بأحاول بيها أكون الزوج اللي بتوصفيه، ووصلت لده لكن فضل جوايا شيء مقدرتش أقدمه لزوجتي وهو إحساس الحب والمشاعر اللي حسيت بيها ناحيتك! متستغريش، القلب ده أمره بيد اللي خلقه وأمره ليس بيدي، ودعوت الله ألا يؤاخذني بما لا أملكه، يمكن كان بيخفف شعوري بالذنب هو سعادة زوجتي ورضاها عني، وكنت بالفعل

وما زلت مكنتني بالسعادة اللي أنا وهي فيها والفضل بعد الله لك إنت، قصصك ومقالاتك ونثرك لم أترك حرفاً منهم إلا وقرأته، ومن ٨ سنين لَمَّا دخلت الفيسبوك وأعلنت عن صفحتك عليه كنت من أوائل الناس اللي اشتروا فيها، ومن الوقت ده بالتحديد ابتديت أعرف ليه إنت بالذات لفتني نظري من بين كل بنات الكلية، ولية لسه موجودة جوايا، لَمَّا لقيتك بتنشري على صفحتك آرائك السياسية والفنية والحياة بشكل عام، بتطابق كل ما يمثلني أنا وما أؤمن بيه، حتى حبك لسماع صوت آلة التيشللو بالتحديد وحبك للفل والياسمين والزنبق وعصفور الجنة، أحسست إنك أنا، حتى لون عينيكي العسلي، هو نفس لون عنيا وبنفس الدرجة! كان عجيب إنني الأيكي بتكتبي نفس الجمل اللي بأقولها، وكأنك كتتي معايا وقت ما قلتها! والأعجب إنك بتكرهي اللي باكرهه، ويضحكك اللي يضحكني ويغضبك اللي يغضبني!!

توقفت عن التعجب بعد مرات قليلة لأنني أدركت أنك أنا، كأنك استنساخ مني! توقفت عن التعجب أيضًا يوم ما أصدرت كتابك "أرواح مجنونة" وقرأت أول كلامك فيه؛ إنت بتوصفي حالي معاك ولا تعلمين به..
افتحي صفحة رقم ٣ واقري ما كتبته بيدك عن حالي معك!

نيجي للسؤال اللي أكيد بتسألوه دلوقت، يعني عايزني أعملك إيه أكثر من اللي عملتهولك وصلحت بيه حياتك يا طماع؟ الجواب، لا شيء مطلقًا.

السؤال المتوقع الثاني.. طيب ليه باعتلي الرسالة العجيبة دي؟ عشان فقط تعرفي.. إن فيه روح بتحس نحوك بهذا القدر من التطابق والتلاقي، إن فيه روح اتجندت لك تفكر فيكي كل يوم وكل لحظة وتدعو لك بكل الخير، وأنها تحس بحزنك الذي جعلك تتعدين، وترجوكي أن تعودتي لتكتبي من جديد.. قد تكون أناية مني لأنني أطلب منك أن تعودتي للكتابة من أجلي وأنت لا تعرفيني ولا تتذكريني!

ما أتمنى أن يجعلك تصدقين رسالتي العجيبة واللي أعذرک تمامًا إن اعتبرتها من مجنون وحذفتها من رسائلک، إني طوال هذه السنوات لم أحاول أن أعرفک بوجودي ولا بحالي ولا أشير بأي شيء يعرفک إني باتابعک، ولكني لم أتحمّل حزنک وبعدک بعد رحيل أحبابک وانفصالک عن زوجک، فسامحيني.

قاومت إرسال هذه الرسالة مرارًا، كما قاومت في الماضي نفسي ولم أقرب منك لتحسي باهتمامي لكن من حسم الأمر، بعد المسافة واستحالة القرب، ستظلين النجمة البعيدة في السماء التي أرفع رأسي لأراها، وأرسل لها ابتساماتي ودعواتي وروحي لتستمد منها قبس نور يدفئ حياتي وسعادتي وتهمس لك بسلام من غيِّث. توقيع.. غيِّث عبد السلام

أنهت "أمال" قراءة رسالة "غيِّث" ودموعها تنهمر من عينيها عاجزة عن التصديق أن.. يكتب لها.. أن تراه وتتكلّم معه.. وتعرف منه هو بنفسه كل ما كتبه! والمستحيل الذي ظنه تحول لحقيقة وقرب شديد!

عادت لتقرأ آخر جملة كتبها..

"ستظلين النجمة البعيدة في السماء التي أرفع رأسي لأراها، وأرسل لها ابتساماتي ودعواتي وروحي لتستمد منها قبس نور يدفئ حياتي وتهمس لك بسلام من غيِّث"

هل أستحق كل هذا الحب يا ربي؟!!

هل أستحق كل هذا التعويض لسنوات عجاف جفت فيها روحي وهي تهفو لبضع قطرات من الحنان، فتأتي ساعة يغمرها هذا الفيضان من حنانه!.. أي رحمة حظيت بها يا "أمال" بعد قسوة سنين الجفاء!، أي دفء دثرك به ظهوره في حياتك التي عانيت من صقيعها وبرد لياليها؟!، كم أنت رحيم يارب، كم أنت رؤوف يارب.

وانسابت الدموع تغرق وجهها حمداً وشكراً وامتناناً، فليدها الآن دموعٌ لها طعم آخر غير طعم دموع الوحدة، جففت دمعها وتركت غرفتها وتوجهت لغرفة أم محمد ففتحت بابها وجلست على فراشها، وقالت بصوت هامس وكأنها تخاطبها: شفتي يا سعيدة، أمال ربنا عوضها إزاي!، شفتي غيِّث يا سعيدة، يقولني أنا نجمة بعيدة يستمد منها نور بيدفي حياته، أنا يا سعيدة، أنا. وعادت الدموع مزاحمة مشاعرها المتدفقة، فعبرت بفيض جديد عن سعادة لم تستطع منعها، وانتبهت لصوت "سلسيل" تقف على الباب، وتقول لها: تعرفي يا ماما إني ابارح عملت زيك كده، دخلت هنا وقعدت أتكلم مع أم محمد، وأعيط لَمَّا انفلقت من العياط، كانت وحشاني جدًّا.

وأدمعت عينا "سلسبيل" وهي تقترب من أمها وتحتضنها وتكمل..

بس إيه اللي فكرك بيها دلوقت؟!، حضرتك لسه جاية من السفر!

- أنا مش بأنساها عشان أفتكرها، أنا كنت محتاجة أتكلم معاها وكأنها

سمعاني!

وأخذتها سلسبيل خارج الغرفة وأغلقت الباب، وقالت في حنان:

تعالى حبيبتى ارتاحي في أوضتك، وأنا وسندس حنعمل الغدا، وحاعملك

فنجان قهوة ملوش زي.

عادت "أمال" لغرفتها وجلست على أريكتها وأمست هاتفها

واتصلت بـ"صفاء"، رحبت "صفاء" فرحة بمكالمتها، ولكنها سرعان ما

لاحظت تغير صوتها؛ فسألته عما بها وماذا حدث؟

- فاكدة يا صفاء الراجل اللي قولتيلي إنه كان بيصلي أوي واحنا في

الفندق؟

صاحت صفاء: آه. شون كونري، ماله طلعتي تعرفيه؟

انترعت صفاء ضحكة أمال بتعليقها فقالت ضاحكة: أيوا شون كونري،

طلعت أعرفه!

وحكت لها كل ما حدث..

أجابتها صفاء وقد أدهشها ما قالته: لا، لا. بالراحة عليًا كده، وواحدة

واحدة، أسيبك يوم.. ترجعيلي بقصة رد قلبي، إيه ده، ده ولا الأفلام!.

- وأي أفلام يا صفاء، أنا حالتي حالة وجوايا مليون حاجة متلخبطة
وفرحانة وزعلانة!

- زعلانة ليه بقى! هو فيه حد يتحب الحب ده كله ويزعل!

- زعلانة عشان حيفضل بعيد، بينا مسافات ومش حاشوفه تاني.

- وليه يعني! ما يتجوزك طالما بيحبك الحب ده كله.

شهقت آمال رافضة الفكرة: يتجوزني!، لأ طبعًا مستحيل، بناتي ومراته
وأولاده!!

- وفيها إيه يا آمال، مش كنا بنتكلم عن التعدد، وكنت موافقة عليه.

- لأ، افتكري كلامي، كنت موافقة عليه بشروطه، وإنه يكون له سبب.

- والحب مش سبب يا آمال!؟

- لأ. في الحالة دي مش سبب، الحب في الحالة دي بيعالج ويداوي،

لا يمكن أسئى لمراته وأسرته، وكمان بناتي.. سندس وجنة محتاجين كل

لحظة من وقتي معاهم، طلاق!، وموت أم محمد!، وسفر سلسبيل!، وكمان

أروح أنا أدور على نفسي! وبعدين إيه اللي جاب سيرة الجواز؟، دي مش

مطروحة أصلًا خالص لا منه ولا مني، بأقولك أنا طلباكي أفضفض معاكي

عشان حسيت إنني حيجرالي حاجة.. تقولي جواز وتعدد!

- خلاص.. خلاص، حقت عليًا يا أمولة، طيب وحتقولي لبقية النونز؟

- مش عارفة، لسه حافكر، أنا حاسة إنني مخبوظة على دماغى، مش

متزنة خالص.

- طيب استريحي ونامي من تعب السفر، وبعدين يحلها ربنا، كان مشوار متعب، بس كانت سفريه جميله وصحبه أجمل.

- وبرام الرز المعمر، والتشيز كيك.. عملوا نتيجة واللا إيه؟

ترد في حسرة وغيظ: مجاش امبارح، وبيكلمني من شقة المهندسين ويقول لي المهم إنك سمعتي الكلام ورجعتي! وأديني مستنياه، قلبي مش مطمئن لكن مش حتراجع وحاقدم الخير وربنا يعيني عليه.

ترد أمال وهي لا تتوقع الكثير منه: ربنا يعينك يارب يا صفاء.

أنهت "أمال" معها المكالمه وهي تدعو لها بالخير وهداية زوجها، ثم عادت لتفتح اللاب توب وأعدت قراءة الرسالة مرة بعد مرة، وقامت وأحضرت نسخة من كتابها أرواح مجندة، وفتحتة على صفحة رقم ٣ كما أوصاها غيث لتقرأ وصفها له، بل لتقرأ وصفها لهما!

"تتلاقى الأرواح فيحدث القبول الفوري، دخول بلا استئذان، بشر في الصدر وابتسامه في العيون واضطراب في القلب، لا، ليس الحب من أول نظرة فهذا خادع في بعض الأحيان، لكن الراحة من أول نظرة، تتكلم الأرواح المجندة لغة بلا صوت، لغة تخاطب عن بعد بلا حروف مكتوبة لكنها محسوسة، حروفها متشابكة وموصولة ببعضها إلى ما لا نهاية، حروفها كلها ساكنة هادئة، وكلماتها زئبقية الخواص للتقارب بالانجذاب لتكون بحرًا مداده لا ينتهي، مداده رباني لا ينفد، هبة وهدية من رب العالمين، يرزقها لمن يشاء ولمن قدر له نصيب من النعيم في الدنيا! فتلك الروح تستدعي مثلتها،

نصفها المكمل لها المتطابق معها، لتفكراً في نفس الوقت في نفس الشيء معاً، قد يتفوهان بالكلام بنفسه في نفس اللحظة، يفكران في الشيء نفسه في نفس اللحظة، يلفت نظرهما الشيء نفسه وإن اختلف الزمان والمكان، يغلف قلوبهما الرحمة والعطف فهما نبع للحنان والرفقة ببعضهما والآخرين، تظل الروح منفردة تهيم وتبحث عن نصفها لتصبح واحداً صحيحاً فتكمل وتهداً وتهناً وتسكن، إذا كنتِ من هذا النوع الذي يهتم بالتفاصيل الصغيرة ويبحث عن الروح داخل من يبدي لك الاهتمام فستتعرفين على مثيلك دون جهد، إن كان لك نصيب من النعيم في الدنيا فستنعمين بأليفك، والنعيم درجات.. شرارة اللقاء هي تلك الراحة التي تجعلك تفتحين لهذه الروح باب قلبك وتحسين بالألفة معها وتترك رحيقها يفوح في أرجاء نفسك بعد أن تغادر، فتجعل فكرك لا ينفك يتذكرها ويتشمم عطرها.

نعم، أنا ما زلت أتشمم عطر روحك يا غيِّث.. نعم، أصبحت أحس أنني واحد صحيح فلم أعد أشعر أنني وحيدة.. نعم، أعلم الآن لماذا ظللت أفكر فيك بعد لقائنا الأول ولم أكن أعلم كل هذا بعد، بل كنت أهرب من نفسي ومن السماح لها في التفكير برجل ليس من حقي التفكير فيه!

أكملت "أمال" قراءة الصفحة التالية من كتابها..

"ليست كل النساء يهتمن بهذا التلاقي، فقد تتعجل إحداهن الارتباط حتى لا يفوتها قطار الزواج، أو بسبب الوحدة أو الغيرة من قريناتها فتتغاضى عن عدم ارتياح روحها، ولا تستمع لرفضها وتعمض عينيها عن علامات التنافر

بينها وبين من اختارته فتكمل عمرها مع من يقهر روحها، ثم تشكو بعد ذلك من عدم اهتمامه واختلافه الكلي عنها واختلاف اهتماماته وهواياته وميوله وأفكاره بل ومبادئه؛ فيحدث الشقاق، وقد ينتهي بالفراق ولا ينتهي الألم والندم!"

كيف أكتب هذه الكلمات أحذر منها الأخريات وأنا وقعت فيما حذرت منه!

تلوم "أمال" نفسها وهي تتذكر عندما تقدم لها "حسين" خاطبًا، بدا لها رجلًا جادًا ومتجهماً لم يتسم لها عندما دخلت لتصافحه! وكان قليل الكلام، جملة قصيرة سريعة غير واضحة الحروف كأنه يريد أن يتخلص بسرعة من مهمة الكلام الثقيلة ليعود للصمت، وكان كثير التأفف، لاحظت عليه تملله في جلسته كأنه يريد الهروب، لم ينظر لها تلك النظرة التي تبحث عن الروح داخلها لترسل لها شرارة التلاقي، لم يبد أي ملاحظات عن أي شيء حوله جمّلت به المكان؛ فقد ملأته زهورًا خلابة الألوان برائحة فواحة فهي تحب الفل والياسمين وزهور الزنبق وعصفور الجنة، كانت تتمنى أن يحضر ورودًا، فأحضر معه زيارة أقفاصًا لفاكهة موسمية من بلدته النائبة كعينة محصول سخية!

أقفاصًا للفاكهة!!، يالها من رومانسية يا كاتبة الرومانسية!

لم يتحدث إلا عن مستقبله وصناعته وجودة المنتج لديه، لم يسألها ماذا تحب، ماذا تقرأ، ما اهتماماتها، لم يسألها إن كانت تصلي أم لا؟! لم يسألها عن أي شيء يخصها، كان قد جاء لمهمة وأنجزها في أسرع وقت ممكن ليذهب ليحضر أهله لتحديد موعد الزفاف، فلا داعي للتأخير، فكل شيء

جاهز ومعد حتى الشقة بكل محتوياتها، و كل ما فيها اشتراه بذوقه هو، لن يكون لها أي مشاركة أو تحقيق حلم أو رغبة أو اختيار لون في بيتها الخاص! كانت ترفض الارتباط لحين تخرجها، وكانت تتمنى أن تعمل في المجال الذي تحبه، ولكن فور التخرج جاءها "حسين" الذي رحب به والدها على الفور، وتمنّاه زوجًا لها خاصة لارتباطه بوالد "حسين" بصداقة قديمة أثناء عمله في تلك المحافظة النائبة لبضع سنوات، وحبها الشديد لوالدها جعلها توافق رغم رفض روحها التي أخرجت أنين رجائها بالتروي والانتظار بحبها لأبيها، فوافقت وأطاعته في أمر لا طاعة فيه إلا لصوت الروح!

تتذكر محاولاتها معه لحث روحه على التواصل معها، لكن كيف وروحه مهمتها فقط عنده أن تبقيه حيًا بالتنفس! مسكين من لم يحظَ بألفة الأرواح! مسكين من لم تتغذَّ روحه على الجمال والإحساس بالآخرين، من لم تتعلم روحه الإنصات لأصوات الطبيعة، لم تفهم عزف الطيور ووشوشة الأمواج وهديرها وحفيف الأشجار وهمس الظلام وبهجة النور وحنان شمس الشتاء، محروم من لم تقفز روحه فرحًا برؤية ألوان قوس قزح، ولم تسابق فراشة تلهو، ولم تراقب نحلة تكذب بين الأزهار، من لم تلمس أنامله ملمس حرير بشرة طفل، من لم تدغدغ قدميه الحافيتين الحشائش الندية، من لم تميد به رمال البحر وهي تسحبه وتدعوه أن يذهب معها لعمق زرقة البحر والسماء. مسكين لأنه فقير حتى وإن كان يملك كنوز الأرض! فغنى الروح يُشبع وغنى الروح رضا وكفاية. أحست "أمال" بالنعاس من جرّاء التعب، ليس تعب سفر رحلة الإسكندرية بل تعب سفر رحلة العمر، تعب الوصول بعد التيه، تعب

التلاقي بعد النوى! نعم لن تراه مرة ثانية وجهاً لوجه، لكنه أخبرها أنها لن تكون وحدها بعد الآن، سيرسل روحه تتفقدتها وتؤنس سهر ليلها، وتزورها في أحلامها، لا كطيف بلا ملامح أو صوت بلا حضور، بل سيأتي بنفسه، سيطوي المسافات على براق الحنين، ويحكى الحكايات لتغفو ويطفىء المصباح ويعود، ويعود إليها.. إلى وطنه من جديد.

مرسومٌ مختومٌ بقرارٍ فوقى، محتوم لا رجعة فيه من اليوم..
تُنقل من ذاتك وحياتك، تتحرر من قيد العقل لمكان آخر معلوم..
تترك أرضك وسمائك وزحام الأرض المجنون..
تترك بُعدك وقرارك، وفرارك من قلبٍ أحمق، مسكون..
تأت على الفور، ودليلك طير بقمه غصن الزيتون..
فهناك سلام، والهمس كلام، والصخب سكون..
فاترك أحزانك والخوف، لا تحمل إلا بساط الفرح..
وأنت بالغيث لأرضٍ عطشى..
وازرع ضحكاتك وحنانك لتداوي الجرح..
وتحيل الليل بشمسك صبح..
منقولٌ أنت إلى أرضٍ لا محالٌ فيها ولا آثام..
منقولٌ أنت لجنة أرضٍ تتحقق فيها الأحلام..
فدعني أدخلك إلى وطنك وأغمض عيني وأنام..

استيقظت أmaal على صوت ابنتها سلسبيل، وهو تبسم وتقول لها:

- ياللا يا ماما قومي عشان نتغدى، بتحلمي بإيه مخليكي بتضحكي
وإنتِ نايمة؟

تحاول أmaal أن تستفيق، وتسال ابنتها: الساعة كام.. أنا نمت أد إيه؟

- الساعة خمسة، ونمتي حوالي ساعتين وشوية، كنتي بتحلمي بإيه يا
ماما؟، كنت عايزه أسبيك تكلمي الحلم اللي مخليكي مبسوطة كده، بس
جئة حتموت من الجوع.

تطرد أmaal آثار النوم بالجلوس على الفراش قائلة: مش فاكرة، أنا فعلاً
كنت باضحك؟

- آه والله، وقعدت أبص عليكي وأضحك لضحكك.

تصمت أmaal قليلاً محاولة التذكر لكنها لم تفلح، فتقوم وهي تقول:
الحمد لله إني كنت باضحك مش باعيط.

حلّ المساء وجلست أmaal على مكتبها لترد على رسالة غيٲ، ويدها
مضطربة مثل قلبها، فكتبت له تقول:

غيٲ.. رحمة الله بي.. أرسلت لي بعد سنين عجاف.. غيٲ، فأنت
أطلقت الربيع بقلبي بضحكاتك وفرشاتك وألوان قوس قزح، يوم بل ساعة
نقلتني من حال إلى حال، حوّلتنني من إحساس عصفور مبتل ينتفض بردًا
خارج عشه لآخر ينعم بدفء السكن والألفة، أشعر بمشاعر عابر سبيل،

كان بلا هوية يبحث عن وطن يؤويه، فمناحته الجنسية، أحسنت إليّ وأوتيتني داخل قلبك وأطعمتني عطفًا ورحمة.. أحس الآن بكل كلمة قلتها لي، وبكل سنين الوجد لأن حالي من حالك. لكن، ستبقى ضحككك تؤنسني وترسم الفرحة على وجهي، ويبقى حنانك يطعمني زادًا من الرضا لبقية عمري.

لم أعد أحتاج شيئًا، فقد حيزت لي الدنيا بكل كنوزها..

لم أعد أحتاج شيئًا، فعندي بناتي، وغيت.

تنهدت "أمال" بسعادة بعد أن رأت أن رسالتها قرأها غيت على الفور، وأعدت قراءتها كأنها تقرأها معه، وقامت لكي تتصل بتهاني لتطمئن على أحوالها:

- عاملة إيه يا تهاني؟ أمورك ماشية كويس؟

تنهدت تهاني وهي تجاهد دموعها بسؤال أمال: الحمد لله يا أمال، يوم بأبقى كويسة جدًّا، وفجأة أبص ألاقيني مفتوحة في العياط وشريط حياتي كله يكر قدامي بتصعب عليّ نفسي أوي.

- حبيبتي، أكيد حتأخدي وقت على بال ما تستوعبي اللي حصل وتتأقلمي مع وضعك الجديد، وكونك لوحدك كده مع أطفال في السن ده، الحمل ثقيل لكن ربنا رحيم حيساعدك ويخفف عنك، ارمي حمولك عليه.

- ونعم بالله، أبوهم بيعتلهم كل حاجة بيطلبوها منه في التلفزيون، والعيال فرحانة ومش حاسة بحاجة الحمد لله، بالعكس.. بقوا هاديين،

وميدو بطل صريخ وبقى بيحاول يتكلم، أنا اللي مش مطبوطة خالص وعاملة زي اليويو.. شوية فوق وشوية تحت.

- إن شاء الله كله حيتظبط بالعود وبالوقت، حاولي تشغلي نفسك بحاجة من الحاجات الكثيرة اللي بتعرفي عملها.
وطلأت على ذهن أمال فكرة، فطرحتها لتعرف استعداد تهاني لها، فأكملت وقالت:

ما عملي حلويات وتعرضها على سوپر ماركت كبير زي ما ستات كثير عارضة منتجاتها، منها مكسب ومنها تنشغلي!
ضحكت تهاني وقالت: أنشغل!! هو أنا بعد الشغل ومتابعة الأولاد طول اليوم بيبقى عندي طاقة أعمل أي حاجة! دا أنا أوقات بأنام وأنا بأتعشى يا أمولة!

- ما هو أنا قصدي تغيري طبيعة شغلك وتخليه شغل خاص بدل بهدلة المواصلات وتوصيل الأولاد والهلكة اللي بتعملها في نفسك دي، فوقت الشغل بتاع الصبح عملي فيه حلوياتك كأنك في الشغل تمام.
- هي فكرة كويسة بس متنفّش معايا، معنديش مكان أعمل إنتاج كبير، مطبخي صغير لّمّا باعمل تورتاية بتبقى الدنيا على بعضها، وبفرض عملت مين يوزع لي اللي باعمله!، ده مشروع عايز عربية ومشاورير.
تقول أمال بقية ما تفكر فيه:

- ماهو أنا عندي لكي شريكة ممكن توفر لك المكان والتوزيع، بس أرجعلها الأول، واشوف هي كمان استعدادها إيه!، أنا قلت أقولك الأول.

- لو مشروع حيحقق لي دخل أكثر من وظيفتي، ومياثرش على وقتي مع العيال مفيش مانع خالص، إنت عارفاني بأموت في الحلو والشيكولاتة.
- طيب خلاص، خليني أقولها وأرجعلك، إن شاء الله ربنا حي عوضك بكل خير.

اتصلت "أمال" بـ"صفاء" فوجدت هاتفها مغلقًا، فذهبت لتتواصل معها من خلال الجروب، فوجدت النونز يسألن عنها فيما بينهن؛ لأنها لم تظهر منذ الصباح واتصلن بها فلم ترد، أبلغتهم أنها تحدثت معها بعد عودتها، وأنها بخير، وقد تكون مشغولة مع زوجها وسوف تعاود الاتصال بها صباحًا.. طمأنتهم وقد ازداد قلقها هي، فليس من عاداتها الاختفاء أو غلق هاتفها هكذا! دعت الله أن يكون الأمر خيرًا.

جاء موعد اجتماعهن لمناقشة قصة "منيرة"، ولكن "صفاء" لم تظهر، وظل هاتفها مغلقًا! فأرجأن المناقشة لحين ظهورها والاطمئنان عليها، لكن "منيرة" أخبرتهن خبرًا سعيدًا، أن "سها" صغرى بناتها سوف يعقد قرانها بعد عدة أيام، كانت فرحة كبيرة بينهن بهذا الخبر، بعد انتهاء الاجتماع حاولت "أمال" الاتصال بـ"صفاء" أكثر من مرة، ولكن دائمًا الجواب أن الهاتف مغلق أو خارج الخدمة!

كانت بين قلقها على "صفاء" وبين شرورها تفكر في "غيث" تحس أنها شخصيتان، فقلقها على "صفاء" يليق بـ"أمال" التي تعرفها، لكن تفكيرها في "غيث" جديد تماماً عليها، هو أول رجل تفكر فيه غير زوجها أو من كان زوجها! لم تعرف أحداً غير "حسين"، لم تسمح لمشاعرها أن تنساق حتى لحب المراهقة، كانت تحس كل مشاعر الحب لكنها لم تتبادله بهذا الشكل من قبل، لم يكن اشتياقها لزوجها كهذا الشوق، ولا سعادتها بتذكره كهذه السعادة؛ لهذا فهي وافدة جديدة تماماً على عالم المحبين، خاصة أنها تحب حباً فريداً، حباً عن بعد، حباً دون لقاء على أرض الواقع! كأنها خلقت لتحب رجلاً لا يتواجد معها! لكن الفرق أنها الآن راضية، انعكس رضاها على حياتها نشاطاً وسعادة وابتسامة لا تختفي من عينيها، صباح اليوم التالي انتظرت حتى التاسعة وعاودت الاتصال بـ"صفاء" لكن ظل هاتفها مغلقاً؛ فارتدت ملابسها وطلبت من "سلسيل" أن توصلها في طريقها حيث الفيلا التي تقيم فيها صديقتها، وجدت حارس الفيلا يقوم ببعض الأعمال في الحديقة، فنادته وسألته عن "صفاء" فقال لها إنها في المستشفى مع زوجها منذ عصر أمس، أخذت منه العنوان وانطلقت مع ابنتها، فأوصلتها لمكان المستشفى، وطلبت "أمال" من "سلسيل" أن تذهب هي لتنهى مصالحتها قبل الزحام الشديد.

علمت "أمال" بالسؤال في استقبال المستشفى أن زوج "صفاء" في العناية المركزة، وتوجهت إليها، فرأت من بعيد "صفاء" تجلس وحدها

ساندة رأسها على الحائط، فاقتربت منها بسرعة، وانتبهت "صفاء" لخطواتها فقامت ملهوفة لتحتضن "أمال"، وأجهشت بالبكاء وكأنها كانت تتوق لرؤية وجه محبب لها كي يشعرها أنها ليست وحدها، هدأتها "أمال" وأجلستها وسألتها ماذا حدث؟ حكّت لها "صفاء" وهي تبكي أنها كانت تنتظره على الغداء، فجاء وهو شاحب الوجه ووجهه يتصبب عرقاً، وهو يضع يده على صدره ويتألم بشدة وسقط أمامها دون أن تتكلم معه كلمة، فلم تدرِ ماذا تفعل وساعدها حارس الفيلا في الاتصال بالإسعاف، وجاءت للمستشفى من أمس وقد نسيت من الصدمة هاتفها وحقيبتها، ولولا أنه كان يحمل نقوداً ما استطاعت أن تدخله العناية.

سألتها أمال: طيب حبيبتي، قوليلي أكلّم مين من قرابه يجيلك ويقف معاك؟

تنهدت صفاء متعبة: أنا مش فاكرة حاجة خالص، ولا فاكرة حتى نمرة بيتنا، أنا حاسة إن مخي اتمسح، بس لقيت من شوية حد من الريسبشن جاي يبلغني إن جوز أخته اتصل وجاي في السكة، أكيد عرف من عم مدبولي.

- طيب قوليلي عايزة فلوس إيه وأنا أدفعها؟

- كتر خيرك يا أمال، الفلوس اتدفعت.

وأظهرت لها محفظته التي تقبض عليها بيدها، وفتحتها لها وهي تبكي لترى بطاقات البنوك المختلفة، وقالت: سحبوا من الحساب الفلوس اللي تكفي وزيادة، ربنا ميحرمنيش منك.

بينما تهدي "أمال" من روع صديقتها حدثت حركة غير عادية أمام غرفة الإنعاش؛ فقامت "صفاء" مسرعة لتبين الأمر، ولحققتها "أمال" ولكن منعوها من الدخول، وبعد لحظات جاءها النبأ الحزين بوفاة زوجها، ودخلت لتراه غير مصدقة ما حدث، ووقفت "أمال" بالخارج سائدة ظهرها على الحائط وهي تبكي صديقتها وحزنها، وتبكي والدها، وأمها، وسعيدة، وكل أحبائها الذين فارقوا الحياة.

مرت أيام العزاء و"أمال" لا تترك صديقتها، وأخبرت النونز بما حدث فكان أسفهم الشديد على مصابها، وعلى كونها لم تتمكن من إصلاح حياتها معه قبل أن يرحل للأبد. عادت "أمال" لحياتها بعد عدة أيام من الحزن وملازمة "صفاء" لتنتبه لاحتياجات ابنتها التي تستعد لزفافها وسفرها! كانت تحاول أن تقوي نفسها أمامها وهي تشتري معها ما يلزمها للسفر، وهي تحدثها عن شقتها التي أعدها زوجها هناك لها، وهي لن تراها ولن تساعد ابنتها في فرشها وتأثيثها!

حملت أحداث هذا العام "أمال" فوق ما تستطيع من مشاعر مختلطة بين فراق أحياء وفراق أموات! فراق زوجها، وموت سعيدة، وفراق غيث، والآن فراق ابنتها أول فرحتها وأول من أحست معها وبها بمشاعر الأمومة.

منيرة

على بعد آلاف الأميال وفي قارة أخرى يفصل بينها وبين الإسكندرية مسقط رأس "منيرة" بحرٌ ومحيطٌ، كان الوقت فجرًا حيث استيقظت "منيرة" وزوجها للصلاة معًا، ثم عاود زوجها النوم وبقيت هي مستيقظة، ازدادت برودة الطقس بتساقط الثلوج بالخارج، رفعت درجة حرارة التكييف المركزي لمنزلها الكبير ذي الطابقين، والذي اشتراه زوجها بعد أن أنجبت ابنتها الصغرى سها وانتقلت إليه بأولادها الأربعة ومربيتهم أم سيد التي أحضرتها من الإسكندرية، والتي عادت لمسقط رأسها بعد أن كبر أبناء "منيرة" وتقدم بها العمر ورغبت في العودة؛ لكي تمضي بقية عمرها وسط أبنائها وأحفادها، فأغدقت عليها العطاء ما يكفل لها حياة كريمة اعترافًا منها بفضلها وامتنانًا لدورها في حياتها، واستعاضت عنها بسيدة إسبانية تأتي لها يوميًا بعد يوم بضع ساعات للتنظيف ومساعدتها في ترتيب المنزل الكبير..

صنعت "منيرة" لنفسها كوربًا من الكاكاو الساخن، وأخذت ترتشفه وهي تعيد في ذهنها ترتيبات هذا اليوم الهام، فعقد قران ابنتها الصغرى سيتم اليوم وبعد ساعات قليلة سيتملاً هذا البيت عن آخره بأولادها وأحفادها ونسائهم وأصدقائهم الذين رافقوهم رحلة الغربة منذ بدايتها من العرب والأمريكان، أخذت تدعو الله

أن يمر هذا اليوم على خير ولا تزداد تساقط الثلوج أكثر من ذلك، فقامت لتنظر من النافذة المطلة على حديقة منزلها، وقد غطت الثلوج كل شيء وكسته باللون الأبيض حتى شجيرات ورودها التي زرعتها بنفسها اختفت ألوانها القرمزية وحلّ اللون الأبيض مكان كل الألوان، مع غيام السماء تسربت قشعريرة إلى أوصالها رغم دفء حرارة المنزل، ذكرتها مشاهدتها لهذه الثلوج ليوم مرّ عليه قرابة ثلاثين عامًا ونيف، وزوجها يخبرها أن زميلة له بالعمل سوف تأتي لزيارتها فتعجب أن تختار هذا اليوم ذي الطقس البارد، والذي تساقط الثلوج فيه بكثافة لتقوم بأول زيارة لها فكيف ستخرج مع أولادها في هذا المناخ، فسألته: طيب ليه مخترتش يوم أحسن من كده للزيارة، حتخرج بأولادها إزاي في الجوده؟

تمتم بصوت منخفض: معندهاش أولاد.

- بتقول إيه؟

فرفع صوته قليلاً، وردد ما قاله، وزاد عليه ما زاد من دهشتها: معندهاش أولاد، هي مش متجوزة.

صمتت ولم تعقب، وهو يقول لها هذه الإخبارية العجيبة وينصرف سريعاً؛ كي لا تسأله أسئلة أخرى! ثم جاءت تلك الشقراء الفارعة بملامحها العربية ذي الأصول المصرية وملابسها الكاشفة عن مفاتن جسدها بعد أن خلعت معطفها السميك المبطن بالفراء لتحيل التعجب لشك مريب في أمرها وسر زيارتها لها؛ فهي شابة في الثلاثينيات غير متزوجة باهرة الجمال ما الذي يدفعها للتعرف بها!، وبحس الأنثى الذي لا يخطئ، ومع توتر زوجها الذي لم يستطع إخفاءه وهو

يقدمها إليها، أيقنت أن بينهما أمراً، فرحبت بها وأحسنّت ضيافتها وهي تنتظر أن تستشف سر الزيارة في هذا التوقيت وهذا الطقس، إلى أن باحت ضيفتها بالسر عندما قالت لزوجها في دلال بلغتها الإنجليزية: الوقت تأخر، وفي هذا الطقس أخاف أن أعود للمنزل في سيارة أجرة، هل من الممكن أن توصلني لمنزلي؟ نظرت منيرة لزوجها الذي تنحّج، وقال وهو ينظر لزوجته بطرف عينه: أه طبعاً، مفيش مشكلة. وذهب مسرعاً لتحضير السيارة.

فقالت منيرة لها، وقد أدركت لماذا جاءت: طبعاً، لا نستطيع ترك تذهيب لبيتك بمفردك، ثوان وأحضر أولادي لتوصيلك.

قالت لها وهي تتعجب من ردها: كيف؟ الطقس سيء جداً بالخارج، كيف تخرجين أولادك في هذه الثلوج وهذا البرد، هل جننت؟ فضحكت، وقالت لها وهي تنظر بتحد في عينها: سأكون مجنونة بالفعل لو تركتك تذهيبين مع زوجي بمفردكما.

صاحت فيها تنعتها بالجنون مرة أخرى، واستشاطت غضباً وهي ترى إصرارها على القدوم معهما، وتركتها "منيرة" وذهبت وأيقظت ابنها الكبير الذي كان وقتها لم يكمل عامه الرابع، وألبسته ملابس ثقيلة لم يظهر منها سوى عينيه، وفعلت المثل في ابنها الأصغر الذي كان نائماً فحملته واصطحبت ابنها في يدها، وتوجهت لجراج البناية التي كانت تسكنها وقتها مع ضيفتها التي بدا على وجهها الوجوم بعد أن واجهتها "منيرة" وكشفت مخططها!

كان الصمت التام رفيق رحلتهم، فلم يتفوه أيّ منهم بحرف طوال الطريق، ووصلت لمنزلها فغادرت السيارة وحيّت زوجها، ولم توجه لها أيّ كلام، بل رمقتها بنظرة غيظ وأشاحت بوجهها، وفي طريق العودة لم تتكلم "منيرة" أيضاً بحرف، وما إن وصلت لشقتها حتى وضعت ولديها في فراشهما ودخلت غرفتها، فبدلت ملابسها وارتدت أفضل ثيابها، وتزينت وذهبت لزوجها الذي وجدته جالساً مطأطئ الرأس، فتقدمت منه وهي مبتسمة، وجلست تحت قدميه ورفعت رأسه بيديها، وهي تسأله بحنان: إنت عمرك ما كذبت عليّ ولا بتعرف تكذب أبداً، إنت بينك وبين الست دي حاجة؟ تجمعت دموعه سريعاً، وضمها بين ذراعيه وقبّل رأسها وقد تساقطت دموعه على خصلات شعرها، ثم أبعداها عن صدره وقال لها من بين دموعه: لولا إنك جيتي معانا كان حبيقي فيه حاجة.. وأقسم لها أن لا شيء حدث بينهما، وحكى لها أنها تحوم حوله منذ فترة، وكانت تريد أن ترى من التي تمنعه من مجازاة عواطفها وحبها الظاهر له، والذي يدعوه لعلاقة دون قيد أو شرط، وأنه وافق مؤخراً على هذه الزيارة بعد أن ضعفت مقاومته لها؛ لأنها أهملته كثيراً بعد إنجابها لطفلها الثاني، ولم يعد يحس أنها تهتم بمشاعره، وقد نبهها كثيراً ولكنها لم تُعبر متطلباته العاطفية أي اهتمام وكان كل اهتمامها منصباً على الأولاد، وطلب منها أن تعتبره طفلها الثالث وتعطي له بعض حنانها واهتمامها..

كانت هذه الليلة، ليلة فاصلة في حياة "منيرة" وحياة زوجها أيضاً، فقد أدركت أنها بإهمالها لمشاعر زوجها كانت ستكون سبباً في تعرّضه للإغراءات

التي تحيط به من كل جانب، فالعلاقات الأثمة سهلة في هذا المجتمع، وأنها لا بد أن تعيد ترتيب حياتها وأولوياتها وتضع اهتمامها بزوجها في المقام الأول، وهكذا فعلت حتى بعد إنجابها لبنتيها بعد ذلك، ولكي توازن بين اهتمامها بأولادها الأربعة وزوجها أحضرت أم سيد لمساعدتها في تربيتهم والاهتمام بالبيت، وبدخول أولادها المدارس عملت في نفس المدرسة لكي لا يغيبوا عن نظريتها، وبحرصها الدائم على الاهتمام بزوجها وتوفير كل أسباب الراحة له من الله عليه بنجاح كبير في عمله، وأنشأ شركة خاصة به واستطاع شراء بيت كبير وتوفير حياة رغبة لها ولأبنائهم، وكانت ليلة فاصلة لزوجها مع علاقته بربه فقد كان قبل هذا اليوم لا يهتم كثيراً بانتظام الصلاة أو التقرب من الله مثلها، لكنه بعد أن أنقذه الله من الوقوع في هذه العلاقة، تبدلت حالته قريباً وحرصاً على صلاته وعبادته فزادت البركة في حياته وعمله..

مرت أعوام عديدة منذ تلك الليلة تعجبت "منيرة" أنها ما زالت تتذكر تفاصيلها كأنها حدثت بالأمس، وشكرت ربها امتناناً لفضله عليها وعلى زوجها.. تركت النافذة وذهبت لمطبخها لتتفقد محتويات الطعام الذي سيقدم لضيوفها ليلاً، وسمعت سها عروستها الجميلة خلفها تلقي عليها تحية الصباح فاستدرت لها واحتضنتها، وقبلتها "منيرة" مشفقة عليها قائلة: حبيبتي صاحبة بدري أوي كده ليه؟ أكيد قلقتانة.

- آه يا مامي منمتش ساعة على بعضها، عمالة أثقل، فلما سمعت صوتك قمت أنا كمان صليت وجيت أفطر معاكي.

أعدت الإفطار مع ابنتها وجلستا متقابلتين لتناولهما على طاولة الطعام في المطبخ الكبير، وأخذتا تتحدثان عن ترتيبات اليوم، وأنه بعد عقد القران في المركز الإسلامي سيعود الجميع للاحتفال هنا وتناول العشاء والحلويات، ثم قالت سها:

تعرفي يا ماما إن عمر يفكرني بدادي كثير، لَمَّا بيعوز يعمل حاجة بيعملها مهما كانت الصعوبات، لولا إنه أصر على كتب الكتاب في المركز الإسلامي رغم عدم وجود شيخ في اليوم ده، وراح اتفق مع واحد من ولاية تانية مكناش عرفنا نحجز الميعاد اللي احنا عايزينه.

ضحكت منيرة وقالت: ماهو لولا الصفة دي في أبوكي مكناش اتجوزنا!

ابتسمت سها وسألتها: إزاي؟

صممت منيرة لحظة وابتسمت، وقالت: حاقولك حاجة مقولتهاش لكم قبل كده، أنا كان مكتوب كتابي قبل ما أتجوز بابا!

توقفت سها عن الأكل واتسعت حدقتا عينيها اندهاشًا، وقالت بالإنجليزية: what! إزاي؟ ومين هو؟ وليه مقولتيش لنا قبل كده، يعني كنت متجوزة قبل كده!

- كتب كتاب بس واستمر شهر واحد، أنا حاحكيلك بقى من الأول من أيام ما كنت في آخر سنة في التوجيهي اللي هي الثانوية العامة.

أخذت "منيرة" تحكي لابنتها ما حدث منذ أكثر من أربعين سنة، وأنها كانت وقتها لم تكمل السابعة عشر، وكانت توصف بأنها أجمل بنات العائلة بالرغم أنها لم تكن ترى في نفسها هذا الجمال، عندما تبحث عنه في المرأة كانت لا ترى غير ابتسامة الرضا والسعادة عن حياتها وسط أب وأم متحابين وأخوات تجمعهم الألفة فيما بينهم، ولم يكن لها أي من اهتمامات البنات في عمرها، فلم تلتف يوماً لمعاكسات الشباب ومحاولتهن الدائمة للفت نظرها، فكان كل اهتمامها منصباً على دراستها التي تفوقت فيها، والتي كانت تحلم أن تدخل الجامعة وتصبح واحدة من أسانذتها المحاضرين، لكن في يوم وقبل امتحان نهاية العام بأشهر قليلة نادتها أمها وهي فرحة وأخبرتها أن هناك عريساً به كل المواصفات التي تتمناها كل أم لابنتها تقدم لها، وأنها فازت به لأنه كما وصفته عريس لقطعة، وأخبرتها أن والدها وافق عليه، وسوف يأتي مع أهله غداً لقراءة الفاتحة وتحديد موعد للخطبة!

بكت "منيرة" لأمها وهي ترجوها ألا يرغموها على القبول فهي لا تريد الارتباط الآن، وكل ما تريده هو دخول الجامعة والتخرج بتفوق كما عودتهم، لكن أمها نهرتها، وقالت إن مصير كل البنات للزواج وأنها ووالدها أحرص عليها وعلى مصلحتها من نفسها، كانت "منيرة" تعلم أن أمها اتخذت قرارها ولن تراجع فيه، ولكنها قررت أنها ستحاول مرة أخرى مع والدها لعلها تستطيع إقناعه، فانتظرت عودته من عمله ودخلت عليه غرفته ترجوه ألا يوافق، وعددت له الأسباب التي قالتها لأمها فردد عليها نفس ما قالته أمها وزاد أنها

جوهرته الغالية، والتي لا يمكن أن يفرط فيها لمن لا يستحقها، وأنه يريد الاطمئنان عليها ويفرح بها قبل أن ينتهي أجله. وكان والدها مريضاً بالقلب، ومرّ بعدة أزمات حرجة فلم تجادله طويلاً بعدما رأت دموعه تتجمع في مقلتيه وهو يقول لها جملته الأخيرة، فوافقت من أجل والدها فقط، وحسبت حزنها وتظاهرت بالفرحة وهي ترى عريسها المتباهي بنفسه وعائلته ومركزه المالي، ولكي لا ترجع عن موافقتها أو عزت أمها لأبيها أن يكون عقداً للقران وليست مجرد خطبة، وتم عقد قرانها في وقت كانت تريد التفرغ التام لدراستها، لكنها ضاعفت من جهدها حتى لا تؤثر زيارات خطيبها المتتالية على تفوقها، ومرّ شهر وهي تكتشف كل يوم عيباً كبيراً في هذا المتباهي بنفسه وبوسامته وهو يتودد إليها بشكل جريء، فتصدده فيرد صدها له بإثارة غيرتها بحديثه الدائم عن معاكسة النساء له، وملاحقته لبنات جيرانهم بنظرات جريئة متفحصة لا يرعي فيها وجودها أو آداب التعامل مع الجيران، ظهر لها أيضاً مع مقدرته المالية أنه كان بخيلاً بدرجة مهينة له ولها، فقد كان يجعلها تدفع عنه أجرة المواصلات عندما تخرج معه بحجة أنه نسي محفظته أو أنه لا يملك فكة، ويعدها برد المال لها ولا يفعل، وهي التي كانت تأخذ مصروفاً من والدها! ولم يكن يحضر لها أي هدايا أو حتى وروداً يُدخل بها السعادة على قلبها، كان يأتي كثيراً رغبة منه في الانفراد بها، فكان ذلك الأمر ينفرها منه وتلوذ بأمها كي لا تتركهما بمفردهما، كانت تبكي ليلاً لأنها لا تحبه ولا تريد أن تكون زوجته، ولكنها لا تريد أن تغضب والدها.

وفي أحد الأيام رجع والدها منهكاً من عمله، وسرعان ما هاجمته أزمة قلبية شديدة توفي على أثرها في دقائق معدودة، فقدت على إثرها الأب الحنون الذي تعتبره مثلاً فريداً للرجال، وكانت تتمنى دائماً أن تحظى بزواج مثله في هيبته وهيبته وملاحه ومعاملته الحانية لوالدتها، رحل عنها من تحملت هذا البغيض من أجله؛ فقررت ألا تتحمله يوماً بعد ذلك، ففي يوم العزاء وبعد انصراف معظم المعزين ولم يتبق إلا هو وأمه وبعض أفراد عائلتها المقربين، وقفت بينهم معلنة أنها تريد الطلاق فمن قبلت من أجله هذا الزواج قد رحل، ثار الكل عليها وأنها تعنفها لجرأتها واتهمتها بالخبل وعدم اللياقة لطلبها هذا، ووالدها لم يمر عليه في قبره غير بضعة ساعات، واتهمتها أنها تستهين بها وهي الأم والأب الآن!، ولن تسمح لها بإحراجهم هكذا أمام عائلة خطيبها الذي انبرت أمه تدافع عنه صارخة فيها أنها لا تليق بابنها، وأنه سيتزوج من الغد من يفوقها جمالاً وحسباً، وأنه سيركها معلقة ولن تنال الطلاق أبداً، وانصرفت مع ابنها وهي تكييل اللعنات لها، تدخل خالها الذي كانت تعتبره مثل والدها فهو حنون مثله ويهمه مصلحتها ووعدها بالوقوف معها وإقناع أمها بأن تقبل الأمر طالما هي لا تحبه ولم تتوافق معه، وبالفعل استطاع إقناعها خاصة بعدما وعدت أمها أنها لن تقبل بأيّ حدٍ إلا إذا وافقت هي عليه أولاً، وأنها لن تفكر في الارتباط حتى تنهي دراستها الجامعية، وبعد محاولات وتهديدات من خالها بتصعيد الأمر للمحاكم رضخ خطيبها ووافق على الطلاق مع تحميلهم كل قرش دُفع، حتى أنهم طالبوا بدفع تكلفة بدلته الخاصة بالمناسبة، وتم له ما أراد وجلس أمام المأذون وهو

يُصَبَّ عليها جام غضبه وحنقه، ويتمنى لها ألا تتزوج أبداً، حتى أن المأذون بعد أن انتهى من مراسم الطلاق ساءه تعامله معها، فقال له في موقف لا يخلو من الطرافة "إن الله سيعوضها بمن هو أفضل وأرجل منك" وحصلت على حريتها أخيراً، وانكبت على دراستها تعوض ما فاتها، ونجحت ودخلت الجامعة ورفضت الكثير ممن تقدموا لها حتى تنهي دراستها، وكانت في السنة النهائية وقبل الامتحان النهائي بعدة أسابيع عندما تقدم لها زوجها المقيم في الولايات المتحدة الأمريكية منذ أن كان طالباً في الجامعة، وجاء ليتزوج مصرية لحرصه على أن يكون له زوجة لها نفس الدين والعادات الشرقية.

استمعت سها باهتمام لأمرها، وهي تحكي ولم تقاطعها حتى انتهت فقالت وهي تبتسم: الحمد لله إنك خلصتي من الراجل ده، بس إنت شجاعة أوي يا ماما، وقفت وسطهم كده وطلبت الطلاق!!

تضحك منيرة وهي تذكر نفسها: كنت صغيرة، ومحسبتهاش لأننا واحنا صغرين مش بنبقى خايفين من حاجة، ومقدرتش أستنى لحد ثاني يوم حتى، كنت مخنوقة منه.

- وبابا بقى إزاي خلّاكي توافقي عليه، هو بابا ميترفضش أصلاً.

تتنهد منيرة في راحة وتقول: هو فعلاً ميترفضش، أول ما شوفته فكرني بجدك على طول، نفس طول بابا وهيئته، وكمان عينيه ملونة زي، وكان زي القمر وكلامه العربي المكسر كان بيضحكني وهو عمال يقوله بالمشقلب، وكان جايب ورد وشيكولاتة، وهو جاي يعني مفيهوش غلطة، لكن أنا رفضته!

- إيه؟ إزاي يعني؟

- أيوه، وقتها كان فاضلي أقل من شهر على الامتحان، وهو جاي عايز يخطب ويتجوز ونسافر في أسبوعين عشان أجازته حتخلص ولازم يرجع الشغل، فقلت طبعاً لأ، أنا لازم أخلص دراستي، وكمان لازم أقعد معاه أكثر من مرة من قبل ما أوافق، يبجي في الأجازة اللي بعدها وهو ونصيبه بقى.

- وهو عمل إيه بقى؟

- ماهو ده اللي خلاني أوافق عليه، تاني يوم لقيته جاي الكلية، وكل البنات عماله تقول مين الشاب الأمور ده ويبدور على مين، كان حدث إن واحد من برّه الجامعة يدخل كده، أنا جريت ورحت مكلماه قبل ما يعرفوا إنه بيدور علياً.

- وفيها إيه لَمَا يدور عليكِي؟

- لأ، وقتها كان فيها كتير يا سها، المهم أنا روحت له وكلمته بطريقة حادة وأنا بسأله جاي هنا ليه؟ قالي إني عجبته جدّاً، وإنه مش حيسافر إلا وأنا مراته، وإنه بعث للشركة بتاعته طلب أجازة بدون مرتب وقالي وافقوا، ولو مكانوش وافقوا كان حيستقيل، طبعاً رفعت له الراية البيضاء؛ لأنه أصلاً كان عاجبني، فلما لقيته بقى كمان يفهم ومسابنيش قلت هو ده، وفي أسبوع كنا مخطوبين وخلصت امتحانات، وطرنا على هنا وعرفت إني نجحت وأنا حامل في أخوكي، وضحكت مع ابنتها وهي تؤمن على كلام أمها.

- داداي فعلاً ذكي، ويفهم عشان اختارك مامي حبييتي، وكمان إنت كمان ذكية وبتفهمي عشان اختارتيه.

تضحك منيرة وتقول: ذكية أوي.. أوي، دا أنا كنت خارج مصر نهائي بعد وصولي هنا بشهرين!

تتعجب سها من كلام أمها الذي تسمعه لأول مرة..

- مامي، إنتِ عمرك ما قولتنا الكلام ده.

- حاقوله إمتى بس يا سها، إنتِ شايفة حياتنا كانت زي خلية النحل، والمناسبات بتاعتنا مفيش مجال نحكي ذكرياتنا، تعرفي يمكن أول مرة أسترجع حياتي لَمَّا كتبتها لكتاب النونز، وقلت حتقريها إنتِ واخواتك لَمَّا نشر الكتاب، فدي بقى حكايات حصرية منه لكي إنتِ بس حبيبة قلبي.

تضحكان معًا، وتسألها سها: ليه كنت حترجعي مصر نهائي؟

- كنت عايزه أشتغل، وكنت وقتها بأدرس في معهد لغات، ولقيت شغل في منهاتن في شركة صرافة، وكان أول يوم أستلم الشغل ورايحة أركب المترو، وأنا في قمة أناقتي بقى ولبست إسورة شبكتي والسلسلة الذهب، وكان الوقت بدري جدًّا، والمحطة مفيهاش غير شوية ناس صغيرين.. وتقاطعها سها وهي تشهق Oh my God: متقوليش إنك اتعرضتي للسرقة.

تضحك منيرة: فعلاً، ده اللي حصل، واحد أفريقي أمريكي خنقني بإيده وهددني بسكينة، وطلب مني أقلع الإسورة، وطبعًا وأنا في قمة الرعب اديتهاله، وأخذ كمان السلسلة وخلعها من راسي بمنتهى العنف وزقني ووقعني على الأرض، وأنا بقى نسيت كل الكلام الإنجليزي وقعدت أصوت بالمصري.. الحقوني، الحقوني، ولا حد عبّرني.

- يا خبر يا مامي، ده موقف صعب أوي، كويس إنه مجر حكيش بالسكينة.
 - رقتي كانت مجروحة من شدة للسلسلة، لكن محستش من كتر
 الرعب، وطبعاً رجعت على البيت واتصلت لبابا، ومفيش غير كلمة واحدة
 بأقولها.. نزلني مصر، يحاول يهديني وأنا لا يمكن.. مش بأقول غير..
 نزلني مصر، عملته مناخه خصوصاً لما اكتشفت كمان الجرح اللي في
 رقتي بقيت أصرخ وأقوله.. احجز لي حالاً تذكرة، نزلني مصر. وقعدت
 أحضر في شنطي وألم حاجتي وهو مش عارف يعملني إيه.

تسألها سها تريد أن تعرف سبب عدولها عن قرارها: ومسافرتيش
 الحمد لله إزاي بقي، حصل إيه؟

- سبحان الله يا سها، يجيله تليفون يبلغه إن والده توفي، وحيدفنوه
 في نفس اليوم، وطبعاً هو انهيار وقعد يبكي، وبقي مش عارف يعمل إيه لأن
 مكانش ينفع خالص يأخذ أجازة، فأنا لقيته في الحالة الصعبة دي مقدرتش
 أسيبه، صعب علياً جداً، قلت له خلاص حاستني معاك، لكن منزلتش من
 البيت لوحدي أبداً، كذا شهر على بال ما اتجرات وقلت أنزل تاني، وطبعاً
 كان أول وآخر مرة أنزل وأنا لابسة ذهب أو أي شيء ممكن يطمع حد فيا.
 - ياه يا مامي، مش متخيلة أصلاً إزاي واجهتي الموقف ده، ويا عيني
 دادي كان محتار بينك وبين وفاة جدو.

- الحمد لله عدى على خير، وبعد ما كنت حانزل بعد شهرين أديني

قاعدة بقالي ٣٨ سنة.

تضحك "منيرة" وتنظر لساعة الحائط، فوجدت أنها جلست تتكلم مع ابنتها أكثر من ساعة، فقامت وقبّلتها واحتضنتها بقوة، وهي تعلم أن قرة عينها ستركها قريباً، وستفتقد هذه الجلسات الماتعة معها، سمعت خطوات زوجها تنبئ عن قدومه، فالتفت له باسمه، وألقت عليه تحية الصباح، واقتربت منه تقبّله، وتقول: إنت أكيد شرأت وانت نايم وصحنك، كل كلامنا كان عليك. ابتسم في هدوء وقال: لأ. أنا قلقان شوية، ولقيت نفسي جعان كمان، كنت بتقولوا علياً إيه؟ لّمّا منيرة وسها يتجمعوا علياً يبقى يارب سترك.

قالت له سها - في رفق وإحساس - لعدم ذكرها حادثة والدتها المرتبطة بوفاة والده: حرام دادى، دي مامي بتحبك أوي، وكانت بتحكى عن أيام ما اتقدمتلها.

نظر لزوجته في حب، وقال: مامي كانت أحلى وأذكى بنت شوفتها في حياتي، كانت عينها كلها حياة وحيوية، كانت بتلمع بشكل عجيب، سحرتني. سها وهي تتمايل كأنها تعزف: يا سلاااا على الحب.

احتضنت منيرة زوجها وقبّلت رأسه، وقالت: ربنا ميحرمينش منك حبيبي. ووجهت كلامها لابنتها: ياللا حبيبتى عشان تشوفي وراكي إيه، حافظر دادى وأحصلك على طول.

فقال لها زوجها: هو دادى صغير!، أنا حافظر نفسي، روعي مع سها وشوفوا إيه وراكم.

مرّ الوقت سريعاً، وجاء موعد الذهاب للمركز الإسلامي، فذهبت "منيرة" لتساعد زوجها في تظييط ربطة عنقه؛ لكي يذهبها لإتمام عقد قران ابنتهما التي سبقتهما في سيارة أخيها.

وفي المساء، في منزلها وبعد انصراف الجميع بعد احتفال جميل مليء بالضحكات والفرح، أخذت "منيرة" تجمع الأطباق والأكواب المتناثرة هنا وهناك مع ابنتها وزوجها، ويضعونها على طاولة المطبخ حتى تنظفهم في الصباح فقد بلغ بها الإرهاق منتهاه، قبّلت سها أمها وأباها وهي تستأذن منهما للصعود لغرفتها لكي تستريح من هذا اليوم الحافل، ثم تأبطت "منيرة" ذراع زوجها واحتضنته بإسناد رأسها على كتفه، وصعدا سوياً السلم، وساعدته في تغيير ملابسه، وجلست بجواره على طرف الفراش وقالت له: ألف مبروك يا حبيبي، الحمد لله، كان يوم جميل، والتلج طلع عنده ذوق وبطل ينزل، كانت الطرق حنتتقل لو فضل الجو كده.

تجمعت الدموع في عين زوجها وهو يقول: الحمد لله أنا حاسس إني مرتاح جدّاً، واطمنت على سها وخلصت مهمتي، مش عايز من الدنيا أكثر من كده. أمسكت منيرة بيد زوجها وقبّلتها في تأثر وقالت: ربنا يخليك لنا حبيبي ويديك الصحة، وتشيل أحفادها يارب. فتمتم: الحمد لله، الحمد لله.

أحكمت "منيرة" الغطاء على زوجها وقبّلت رأسه، وأطفأت المصباح الذي بجوار فراشه وذهبت لتغير ملابسها وتتوضأ لتصلي ركعتين شكراً لله أن مرّ هذا اليوم على أحسن ما يكون.

أفراح

اقترب موعد زفاف "سلسبيل" ودعت "أمال" صديقاتها لحضور الزفاف، وكانت "شمس" الملية للدعوة ومنعت الظروف "كريمة" و"علياء" من الحضور، كذلك لم تحضر "صفاء" التي كانت لا تزال في شهور العدة، دعت "سلسبيل" صديقاتها لمنزلها قبل زفافها بيوم؛ للاحتفال بها ومعهن بأخر يوم لها في هذا المنزل.

كانت "أمال" تشعر بفرحة وغصة في نفس الوقت، ولم تستطع إخفاء دموعها وهي ترى ابنتها تلملم أشياءها وتضع حقائبها بجوار الباب؛ لكي تأخذها معها للفندق في اليوم التالي!

انصرفت صديقات "سلسبيل" وحال "سندس" و"جنة" من حال أمهما، و"سندس" تحتضن أختها وتبكي و"جنة" تبكي لبكائهما، وجاء وقت النوم بعد سهر طويل معًا، وكأنهن لا يردن لهذا الليل أن ينتهي حتى لا يأتي الصباح وتترك "سلسبيل" البيت!

توجهت "سلسبيل" للنوم بجوار أمها ووجدت وراءها "سندس" و"جنة" يردن البقاء معهما، وكان الفراش وثيرًا يسعهن جميعًا؛ فنمن معًا، و"أمال" تتذكرهن صغيرات كن يفعلن نفس الشيء عندما يشعرن بالخوف أو البرد.

وأشرق الصبح وتوجهت "سلسيل" للفندق للاستعداد للزفاف الذي اقتصر على الأقارب في حفل عائلي هادئ أقيم عصرًا في حديقة فندق شهير، كانت المرة الأولى التي ترى فيها "أمال" ولديّ طليقها وزوجته، ووجدته يعاملها بنفس الإهمال فلم يحدثها طوال الحفل، فظلت جالسة بمفردها لم تتحرك من مكانها، كانت "أمال" هي من تذهب إليها لتسألها إن كانت تحتاج شيئًا، وأحضرت لها الطعام والحلوى، وجلست تأكل بمفردها ولم يأت إليها زوجها إلا بعد انقضاء الحفل، فسارت وراءه وهو ممسك بولديه دون كلمة بينهما، وغادرا المكان!

لم يستمر الحفل طويلًا لكي لا يرهق العروسين وهما على موعد مع السفر باكراً في رحلتين متتاليتين من القاهرة لباريس كمحطة ترانزيت، ثم بعد ساعات في المطار دون نوم يستقلان الرحلة المتوجة إلى نيويورك ومنها إلى ماساتشوستس حيث مقر إقامتهما ودراستهما.

حضرت "شمس" الزفاف وشاركت صديقتها فرحتها ودموعها وهي تودع ابنتها، وأصرت "أمال" أن تمضي معها بقية اليوم وتبيت معها في منزلها وتعود للإسكندرية في اليوم التالي، وافقت "شمس" لأن أولادها عند والدهم وفي طريق العودة للمنزل قالت "شمس" لـ "أمال":

- الفرح كان تحفة يا أمولة، عقبال سندس وجنة يارب، وأجمل حاجة فيه هدوؤه، والناس سامعة بعضها بدون هيصة ودي جي والكلام ده! كل حاجة حلوة ما عدى طليقتك اللي جايب مراته معاه، ليه كده؟ مش يراعيكي في فرح بنتك.

ابتسمت أمال وقالت: ليه ميجهاش، دي مراته، وأنا متضايقتش خالص، أنا كنت متضايقة عشانها وقعدتها طول الفرح لوحدها.

- آه مانا شوفتك وإنّ رايحة تكلميتها وتعزميةها تقوم للبو فيه ومقامتش،

اتغظت منك أوي، كمان رايحة تضيفها!

- يا شمس دي فعلاً ضيفتي، وواجب عليّا إكرامها، لكن قوليلي.. إنّ

بقي فيكي حاجة متغيرة، وحتى تكشيرتك وخطوط جبهتك خفت خالص،

إنّ عملت شد أو بوتوكس!؟

تضحك شمس وهي تردد:

- بوتاس إيه بس يا أمولة، هو إحنا بتوع الكلام ده!

ثم شردت بعينها وأخذت تهمهم كأنها تفكر.. أتبوح لها بسرهما أم لا؟

- إمامم، بصي، أنا حقولك.. بس اعرفي إنك الوحيدة من صديقاتي

اللي تعرف ولا حتى قرابي يعرفوا.

وتسكت للحظة تحاول أن تقول لها ما عندها...

- ها يا شمس، فيه إيه؟

تهمس شمس حتى لا يسمعها سائق سيارة الليموزين: أنا اتجوزت.

تقفز أمال وتعتدل في جلستها، وتنظر لها بدهشة شديدة: إيه!!؟

اتجوزتي!! إمتي؟ ومين؟ وليه مقولتيش!

تغمض شمس عينها وتتنهد، وتقول مبتسمة: الموضوع طويل، استني

لمّا نوصل البيت وحاحكيلك، مش عايزه أفضل أتوشوش كده طول السكة.

وصلت "أمال" و"شمس" وبناتها للبيت في سيارتين منفصلتين،
وسحبت "أمال" "شمس" من يدها إلى غرفة الضيوف، حيث ستبيت
ليلتها، وأغلقت الباب وراءها وقالت: ها، أدينا لوحدنا ومحدث حيسمع،
أوضة البنات بعيدة، وهما مشغولين بتنزيل فيديو الفرح والصور.. احكي لي
بقى بالتفصيل اتجوزتي إزاي ومين وإمتى؟، ثم قطعت كلامها وقالت: بس
استني استني، ألف مبروك حبيبتني واحتضنتها وقبلتها.

وشمس تضحك، وهي تجيب على أسئلة أمال المتلاحقة: فاكرة يوم
ما كلمتك على المحطة وإنّ راجعة من الإسكندرية؟

تصيح أمال: يكونش هو الأمير اللي جدد لك الحمامات!

تستغرق شمس في الضحك وتقول: أيوه هوّه، ده جدد لي الحمامات
والسراير والمكتبة والمسجد، وبقى كل ما يخلص حاجة يقولي عايزه عملي
إيه كمان؟، وكان يعمل حجة التجديدات دي وييجي يشرب قهوته معايا،
ويقعد ساعتين نتكلم، بقينا نتكلم في كل حاجة، وحقى لي عن انفصالي بعد
جواز ١٥ سنة، ومراته طلبت الطلاق عشان تتجوز ابن عمها اللي كانت بتحبه
من زمان، وأبوها مرضاش بيه لخلاف بينه وبين أخوه.. ف-...

قاطعتها أمال وهي تضحك: أنا مالي ومال مراته!، إنّ حتحكي لي
حكاية مراته!، أنا عايزاكي تحكي لي حكايتك إنّ.

- طيب، طيب، متزقيش حاقولك، المهم فضفضنا لبعض وف يوم
طلب مني نتغدى سوا عشان عايز يكلمني في موضوع مهم، فأنا رفضت
قتله مقدرش أخرج معاك، فلقيته بيضحك ويقول:

"يعني أطلب إيدك في جمعية أبنائي لرعاية الأيتام!"

أنا قعدت أضحك وقلتله: أنا، تطلب إيدي أنا، دا أنا صاحبة عيّا، وعندى أربع صبيان محتاجين عيني تبقى في نص رأسي على طول، وكمان عيلتي لا يمكن توافق إني أتجوز، دي فضيحة بالنسبة لهم إني أتجوز مرتين، وكمان ماى إكس جيعملي مشاكل أنا مش أدها.

قالي يا أمولة.. "حاشيل معاكي كل همومك، وحاديكي الدوا بنفسى وحاواجه معاكي أي مشاكل، إنت مش واخدة بالك أدإيه إحنا متفاهمين مع بعض وأفكارنا واحدة، أنا ربنا جابني الجمعية دي بالذات عشان أشوفك، عشان ألاقى نصي الثاني"

أمال تتنهد وتقول: يا سيدي يا سيدي، طبعًا شمس الرومانسية سلمت ووافقت.

- في ثانية والله يا أمولة، كنت نسيت كل اللي قولته ونسيت الدنيا وهو بيتكلم بكل الحب اللي في عنيه، فقلت له أنا كمان حسيت إنك نصي الثاني اللي بادور عليه طول عمري، وبعدين لقينا المكان فعلاً مينفعش خالص يحصل فيه الفيلم الرومانسي دي؛ فعرض عليّا يوصلني بالعربية ونتكلم واحنا مروحين، قولته لا يمكن، حد يشوفنا تبقى مصيبة، قالي طيب أعمل إيه أنا عايز أتفق معاكي على ميعاد كتب الكتاب.. وهو عمال يتكلم وأنا بأفوق من الحلم وأفتكر ولادي وأبوهم وعيلتي، وفجأة قولته: لأ، لأ. مش حينفع خالص، أنا يشرفني وأتمنى بس ظروفى متسمحش خالص ومش حاعرّض

ولادي لمشاكل مع أبوهم، وقفلت معاه الكلام ومشى يومها والدموع في عينه، وقعدنا يومين منشوفش بعض بعد ما كان بييجي كل يوم بحجة متابعة التجديدات، وكنت لاحظت إن اللي في الجمعية ابتدوا يتكلموا ويبصوا ويضحكوا لما بييجي؛ فكان الموضوع لازم ينتهي. أختك بقى ماسكها الصداق وغبت عن الجمعية اليومين دول ومروحتش، وعرفت منهم إنه هو كمان مارحش، في تالت يوم لقيته بيتصل بيًا ويقولني: أنا لا عارف أنا م ولا أأكل ولا أشتغل ولا أعيش، إحنا لازم نتجوز. أنا كانت حالتني أوحش منه، فقلتله أنا كمان مش قادرة أعيش كده بس شرطي إننا نتجوز في السر، عارضني وقالني: ليه هو إحنا بنسرق!، ده حقك وده جواز على سنة الله ورسوله، قتلته حاخبي على عيلتي وولادي بس، لكن نعلنه بين قرابيك، فوافق بعد ما أصريت على الشرط ده، واتجوزنا من شهر ونص، بس يا ستي.

تبتسم أمال فرحة بسعادة صديقتها لكنها لم يعجبها أبدًا كتمانها لزوجها فقالت: أَلف مبروك يا شمس، لكن كلامي ممكن يزعلك، بس صديقك من يصدقك.. الجواز في السر ده إنتِ كده مرخصة نفسك، وكأنك بتعملي حاجة حرام، وده شرع ربنا وحقك يا تأخديه بقوة وشجاعة يا بلاش منه! يعني جوزك يعلن جوازكم وإنتِ كسيت تخبيه عن الناس! وتحطي نفسك في الشبهات! إزاي كده!

- أعمل إيه يا أمال، أنا خايفة الأولاد يزعلوا، ويسيبوني ويروحووا لأبوهم اللي حيفتح عليًا نار جهنم.

- يا شمس، افرضي حد شافكم مع بعض في أي مكان أو في العربية أو شافك وإنّ رايحة عنده من غير مايعرف إنك متجوزة يقول عليكى إيه! بقى خايقة من طليقتك وزعل أولادك ومش خايقة على سمعتك اللي هي أهم حاجة للست! لآ، أنا مش موافقاكي خالص، ولازم تعلني جوازك واللي يحصل يحصل، "من يتق الله يجعل له مخرجًا".

- هو بيلح عليّا نعلن جوازنا، ويقولى أولادك حيحبونى وأنا حاساعدك وأساعدهم في أي حاجة، لكن هو ميعرفش أبوهم ممكن يصعب عليّا حياتي إزاي!

- يا ستي، أومال إنت متجوزة ليه؟! إذا مكانش جوزك يحميكي ويقف جنبك، يبقى لازمة الجواز إيه لّمّا تبقي مكملة معاه بنفس الأوضاع! هو إنت كنت محتاجة شوية رومانسية وحب وخلص يا شمس؟

- لآ طبعًا، أنا كنت محتاجة أحس إني ست، وأرتاح من حمولي الثقيلة، ومحتاجة راجل يكون سندي، ويكون سلم ليّا للجنة ويأخذ بيدي لدوام طاعة ربنا، ده أنا لقيته كأنه شيخ أزهرى عنده معلومات في الدين والفقه والشريعة وتجويد القرآن، يا سلام لّمّا تسمعيه وهو بيقرأ القرآن يا أمال تقوليش العفاسي!

- يعني الحمد لله أحسنت الاختيار المرّادي، وربنا عوضك بالخير أهو.
- الحمد لله، أنا في أحلامي مكنتش أتخيل حد كده، ربنا يبارك فيه يارب، واحد بيتقي الله في شغله ومع العمال بتوعه ومع أهله وحتى مع

طليقته رغم إنها جرحته لكن عطاها حقوقها ومؤخر الصداق ومرضاش
إنها تتنازل عن أي حق ليها عشان هي اللي طالبة الطلاق، حد يعمل كده مع
اللي جرحه!، فما بال بقى اللي ممكن يعمله مع اللي صاينه وييجبه!

- طيب يبقى الراجل ده يستحق إنك تواجهي بيه الدنيا كلها.

- صح، والله أول حاجة حاعملها لما أوصل إسكندرية إنني حاقول
لأولادي ولأهلي وللناس كلها.

تستطرد أمال معاتبة لها: أنا مش مصدقة إنك خبتي علينا احنا كمان يا
شمس!، إحنا بتتكلم تقريباً كل يوم، وبقالك مدة بتكتبي رومانسيات وأقول
يا عيني رومانسيك بتفتح عليكي!

تضحك شمس وتقول: ده فيض رومانسية يا أمال، مقدرتش أحبسه
جوايا ولا أكتمه زي خبر جوازي، وبعدين الوقت كان صعب برضه، صفاء
جوزها متوفي وإنّ مشغولة بتجهزي لسفر سلسبيل وفرحها، آجي أنا
أقولكم إنني اتجوزت وسط المعمة دي كلها، معلى حقك علياً، مكانش
فعلاً يصح أخبي عليكم إنتوا بالذات.

- إمامم، طيب، حاقولك على حاجة ومتضربنيش؟، أنا كمان مخبية
عليكم موضوع مهم، بس مش جواز يعني..

تتبه شمس وتقول: والله أنا كمان حاسة إنك متغيرة يا أمال، وبابن
عليكي خالص، الصبُّ تفضحه عيونته.

- هو صَبَّ عليًا فعلاً زي المطرة، وهو فعلاً مطر خير.

وحكت لها كل ما حدث مع "غيث".....

قالت شمس: يآه يا أمال، وحتعيشي ليه كده تتعذبي ببعده؟، ما تتجوزوا

يا بنتي.

- إنتِ حتعملي زي صفاء وتقوليلي اتجوزوا، ومفيش طرح لموضوع

الجواز من أساسه.

ترد شمس باستنكار: صفاء!! هي كانت تعرف ومقاتلش!

- يعني يا شمس لو كنت قولتلك وطلبت منك متقوليش لحد كنت

حتقولي؟

- لأ طبعاً، عندك حق وهي كمان حبيبي اتلخمت في وفاة جوزها،

الله يكون في عونها يارب، بس هي عندها حق، طالما بتحبوا بعض كده ليه

متتجوزوش؟!

يعلو صوت أمال وتقول: برضه بتقول جواز!، الموضوع مش مطروح

أصلاً يا شمس، هو مع أسرته في قارة تانية وأنا عندي سندس وجنة

محتاجين رعايتي وتفرغي لهم.

- الله، يا أمال بناتك ماشاء الله عرايس مش أطفال.. وهو عمال

يقولك إنتِ سبب سعادته وإنتِ الحب وإنتِ عمري وبعدين عايزاه يقدر

يعيش من غيرك إزاي!!

- حيقدر يعيش زي ما عاش طول السنين اللي فاتت من غيري، وزى ما عشت أنا طول عمري من غيره، محدش يموت من الحب يا شمس.

ترد شمس معترضة: بس البعد والشوق عذاب يا أمولة.

تبتسم أمال: بالعكس ده نعيم وجنة، أنا أول مرة أتحب وأحب يا شمس، ده أكبر نعمة إن يكون فيه حد بيحبك كده، وبعدين بقى بطلتي كلام في موضوعي وقوليلي، قدملك مهر وشبكة وكده؟

تضحك شمس: أنا خلتيه على الحديدية، جددلي تقريبًا الجمعية والدار، هو ده مهري، أنا رفضت يقدملي مهر غير الحد الأدنى، قام هو كاتبلي الشقة الجديدة باسمي! وجابلي الخاتم السلوتير ده، استني.

وأخرجت من حقيبتها علبة صغيرة بها خاتم بفص كبير من الماس، فتعجبت أمال: ومش لابساه ليه يا شمس!

- إيه يا أمال، كنت ألبسه وأقول جايباه منين!! أنا بألبسه لَمَّا بأكون معاه، لكن خلاص أنا جالبسه أهو ومش حاقلعه تاني..

وقبّلت الخاتم وقفزت من السعادة، وأمّال تضحك لفرحها الطفولي بخاتمها الجميل. ثم قالت شمس: الكلام أخذنا ونسيت أدملك هدية سلسيل من كريمة وعلياء وأنا طبعًا، ياريت تديها لها بكره لَمَّا تشوفها وهي مسافرة وقوليلها دول من طنطاطك النونز.

وأخرجت من حقيبتها سوارًا من الذهب المرصع بفصوص صغيرة من الماس.. انبهرت أمال بجماله وذوقه: الله يا شمس، تحفة، إيه الذوق

العالي والجمال ده!، سلسبيل حتفرح بيه جدًّا، بس ليه تكلفوا نفسكم أوي كده، يا بنتي إحنا مش غرب.

- مفيش تكلفة، دي أقل حاجة نعبر بيها عن حبا لك ولبتنا الجميلة ربنا يسعدها يارب.

احتضنتها "أمال" وقبلتها شاكرة، ودعت لها بالخير والسعادة، وخرجتا من الغرفة بعد جلسة طويلة لتفقد البنات ورؤية صور الزفاف.

مر شهران على سفر "سلسبيل" التي كانت تتواصل يوميًّا مع أمها وأخواتها عبر الإنترنت، واطمأنت عليها "أمال" وعلى سعادتها مع زوجها، وأنها نجحت في تنظيم وقتها وخاصة أن "منيرة" قامت بزيارتها أكثر من مرة وقدمت لها كثيرًا من المساعدات والإرشادات التي سهّلت عليها غربتها وقدمها لبلاد غريبة لا تعلم الكثير من أسرارها، وأعلنت "شمس" زواجها فور وصولها للإسكندرية بعد زفاف "سلسبيل"، وواجهت عاصفة من الغضب من طليقها، ولكن أولادها على غير ما ظنت وقفوا معها فهم يقدرّون لأهمهم سنين وحدتها ورعايتها لهم على أفضل ما يكون، ورحبوا بزوجها خاصة بعدما رأوه وعرفوا عنه مكانته الاجتماعية وسمعته الطيبة، وأصبحت تنشر على صفحتها كل رسائل الحب لزوجها مظهرة فضل وجوده في حياتها.

صفاني

أنهت "صفاء" شهور عدتها و"أمال" تتواصل معها للاطمئنان عليها، وتتواصل مع "تهاني" والتي سألتها عن صديقتها والمشروع الذي عرضته "أمال" عليها، فقالت لها الظروف التي مرت بها "صفاء" فأوعزت "تهاني" تأجيل ذلك لسوء حظها كما تعودت!

و"أمال" تعطيها الأمل بأن لكل شيء أوان، وأنها يجب أن تثق أن الله سيعوضها خيرًا، كانت الأيام تمر على "أمال" بصورة طبيعية، واطمأنت على "جنة" وقد التحقت بكلية صيدلة بني سويف طبقًا للتنسيق، وأقامت لدى والدها برغبة منها أن تحاول التقرب من أخويها ووالدها الذي تشتاق له كثيرًا، و"سندس" أيضًا في السنة النهائية، وكل الأمور كانت تسير على ما يرام إلا من شوق وحنين جارف لـ "غيث".

كانت تستعين بقراءة رسالته كل ليلة وبصورته على صفحته في تخفيف حنينها إليه، وفي صباح أحد الأيام بينما تتفقد "أمال" صفحتها التي عادت لنشاطها وللمناقشات الثرية بينها وبين متابعيها؛ رن جرس الهاتف المحمول ووصلها صوت صفاء محتنقًا بالبكاء: أنا محتاجة أنكلم معاكي يا أمال، أنا قريبة من بيتك ينفع أفوت عليك والوقت مش مناسب؟

تجيئها أمال في قلق: آه طبعًا ينفع، إنتِ فين دلوقت؟

- أنا قريبة خالص، دقائق وأكون عندك.

- خلاص حبيبتي، مستنياكي.

بعد دقائق قليلة رن جرس الباب، وتوجهت لفتح الباب لـ "صفاء"، استقبلتها مرحبة بها وأدخلتها، بدا وجه "صفاء" شاحبًا، انسحبت منه نضارته التي كانت به، بادرتها "أمال" بعد أن جلست معها في غرفة المعيشة: مالك يا صفاء؟ وشك مرهق جدًا ليه؟

تقول صفاء وقد اختنق صوتها بالبكاء: مش بنام يا أمال، مش بأنام ساعتين على بعض، وبأقوم مفزوعة كل شوية، أقوم أصلي وأقرأ قرآن وأستغفر وأرجع أنام، يدوبك عيني تغفل أقوم مفزوعة لَمَّا خلاص هلكت.

- طيب بتقومي مفزوعة من إيه؟ الفيلا عندك أمان!

- ماهو ده الغريب، أنا طول عمري بأنام لوحدي، ولا عمري خفت ولا اتفزعت، لكن من يوم موت المرحوم وأنا مش عارفة أنام!

- طيب بتفكري في إيه بالظبط يا صفاء؟

- ضميري بيأنبني، إنه مات ومصالحتهوش، وكمان منظره لَمَّا وقع قدامي هو ده اللي فاكره على طول، ده أنا ساعات أقوم على صوت هبدهته على الأرض وأصرخ!

- طيب معلش واحدة واحدة كده، هو إنتِ كنت مزعلاه قبل ما يتوفى؟

ما إنتِ سمعتي كلامه ورجعتي في الميعاد اللي قاله، كنتي مزعلاه في إيه بقى؟

- يا أمال، إنَّ نسيَّتي إنِّي مكتشَّش طايقة يقرب مني، أنا ممنعتش نفسي عنه لكن كنت زي المغصوبة وأكيد يعني حس بده.

- يا صفاء بتلومي نفسك وإنَّ ممنعتيش نفسك عنه، هو كان بيعاملك كويس وإنَّ كرهتية منك لنفسك يعني، بصي.. زوجك في ذمة الله مش عايزه أتكلّم عنه بطريقة مش كويسة، لكن قوليلي يوم عاملك فيه كويس عشان تموتي نفسك من الزعل كده؟ إنَّ غريبة والله.

- هو معملش ليّا حاجة عدلة غير حاجتين، لأ، ثلاثة، أولادي، وأمه الله يرحمها، والفيلا.

وتضحك من بين دموعها، فتضحك معها أمال وتقول لها:

- إنَّ قعدتك فترة العدة في البيت جابتلك اكتئاب، ولازم تشغلي دماغك ووقتك بحاجة، فأنا عندي لكي مشروع مش حيخلك تفكري في أي حاجة وهيهد حيلك وتنامي زي الطوبة.

- ياريت، قولي.

- يعني عندك استعداد، واللا نفسيتك لسه عايزه تتظبط؟

- يا أمولة قولي يمكن المشروع ده هو اللي يعدل نفسيّتي.

- طيب يا ستي.

وعرضت عليها "أمال" المشروع المرتقب بينها وبين "تهاني" وإمكانية عمل حلويات لحفلات الزفاف والمناسبات المختلفة، وعرضت

عليها عمل الدعاية لهما من خلال صفحاتها، وسوف يلاقي إقبالاً كبيراً خاصة أنها و"تهاني" بارعتان في عمل الحلويات وتزيينها، ولديهما القدرة على الابتكار ومنافسة المعروف في الأسواق.

انفجرت أسارير "صفاء" ودبت الحياة في وجهها وهي تتخيل نجاح المشروع وذيوع صيت منتجاتهما وقالت: صفاء وتهاني، صفاني باتيسري، مش حتقدر تقفل بقك..

ضحكت آمال وقالت: صفاني، اسم جميل والله.

تضحك صفاء وتقول: هو كمان لايق عليا، يعني المرحوم صفاني وجاب آخري مخلاش نقطة فيا.

تبتسم آمال وتقول: بنقول مشروع يعدل النفسية مش يقلب المواجع. - لأ، دي بس القافية حكمت، هو حيبقى صفاني بالفاتحة مش بالشدة. تضحك آمال وتقول: إذا كان كده معلش، استني بقى أكلمها وإنّ هنا وأخليكي تحددوا ميعاد تقعدوا مع بعض عشان تحضروا اللي محتاجينه وتنظموا وقتكم.

وقامت لتتصل بـ"تهاني" التي لم تصدق أنها ستبدأ هذا المشروع بعد أن سلمت أنه انتهى قبل أن يبدأ! واتفقتا على اللقاء في اليوم التالي للبدء فيه، أحست "صفاء" بالبشر وذهب عنها حزنها الذي جاء به، وغادرت منزل "أمال" وهي تشكرها، وتشكر الله على نعمة وجود صديقة مثلها في حياتها.

مرت الأيام و"أمال" تستمد حيوتها وإشراقها من حبها النائي، والذي أعطاه دفعة لكي تجلس بالساعات لتنسيق كتابها مع صديقاتها، فأكملت معهن مناقشة قصتي "منيرة" و"شمس"، واتصلت بـ"منصور" لتستأذن منه لكتابة قصته مع أم محمد وضمها للكتاب، فأذن لها بعد أن أبكاها وهو يتحدث عنها بكل الحب والحنين لها.. وبعد أن أنهت كتابة قصة أم محمد وضممتها لباقي القصص والمناقشات عليها، أصبح الكتاب جاهزاً للطباعة، فأرسلته لجريدها كي تقوم بطباعته وعمل الدعاية اللازمة، في تلك الأثناء بدأت "تهاني" و"صفاء" مشروعهما في فيللا "صفاء"، وتعاقدا مع فندق شهير لعمل الحلويات اللازمة لكافة الحفلات الخاصة التي تقام فيه مما جعلهما يستعينان بعدد أكبر من النساء اللاتي لديهن خبرة في عمل الحلويات، وكانت الأولوية في الاختيار مع الإتقان المطلوب للمطلقات والأرامل حتى يتسنى لهما مساعدتهن على تكاليف الحياة.

كان لتوسع عملهما في وقت قصير نظراً للجودة الفائقة في منتجاتهما؛ أن عرضت "صفاء" على "تهاني" أن تنتقل للإقامة معها هي وأولادها في الفيلا في دور مخصص لها بعد أن انسجمت معها، ووجدت فيها تفانياً في عملها وصحبة ضاحكة وممتعة، فوافقت "تهاني" وهي لا تصدق أن السماء تمطر فرحاً وفرجاً بعد طول انتظار ودعاء أن يعوضها الله خيراً، وبدلها داراً خيراً من دارها.. بها حديقة كبيرة يلعب فيها أولادها بسعادة كبيرة وحمام سباحة مغطى ومكيف شتاءً، وصالة رياضية، ولديها من يساعدها من النساء العاملات اللاتي يتسابقن لرعاية أبنائهن.

بعد انتهائهما من إعداد حفل زفاف كبير جلسنا منهكتين في المطبخ الكبير بفيللا "صفاء" بعد انصراف العاملات ونوم أولاد "تهاني"...

قالت صفاء لها وهي تجلس منهكة على أحد المقاعد حول الطاولة: نريح شوية ونقوم نصلي ركعتين شكر لله، الحمد لله خلصنا كل المطلوب، وطلعت الحاجات زي الفل، إنت خطيرة يا تهاني، إزاي مبدأتيش المشروع ده من بدري!، إنت أستاذة وأنا كنت فاكرة نفسي شاطرة لكن جنبك ولا حاجة بتزيني التورتات بأشكال تحفة، والورد بتعمله كأنه طبيعي، اتعلمتي ده كله فين؟

- ربنا بيعلم يا صفاء، الحمد لله، أنا كنت شاطرة جدًّا في الرسم، وكان نفسي أدخل فنون جميلة لكن للأسف بقى والدي الله يرحمه أصر على كلية التجارة، بتسم تهاني وتكمل.. يشاء ربك إن شهادة التجارة تتركز واللي معيشني زي الفل دلوقتي هو ايتي اللي ماكتش عاجباهم!

- ده من حظي عشان ربنا يسبب الأسباب وبقى شركا كده، أخبار أبو ولادك إيه؟ عرف إنك ماشاء الله بقى لك بيزنس خاص كده؟

- طبعًا، كان لازم أقوله عشان يرضى أنقل الولاد معايا هنا، آخر مكالمة بينا كان جيعيط وهو بيشتكى من مراته إنها مش مستحمله ظروف شغله زي ما كنت مستحملاه، وطلباتها مش بتخلص، وإنه ندمان على طلاقه مني وحاسس إن ربنا بيعاقبه عشان ظلمني بجوازة كلها مشاكل، شهر العسل بتاعه خلص بسرعة!

- وإنّ قولتيه إيه؟

غيم الحزن على وجه تهاني وهي تقول: حاقوله إيه يعني يا صفصف،
 لَمَّا يعيط بقية عمره خلاص اللي بينا خلص، وكان لازم يخلص من زمان،
 أنا ظلمته أكثر ما ظلمني عشان حملته أحلامي وهو مكانش أدها وقت
 ما اخترته! وبعدين برضه إحنا مختلفين تقريباً في كل حاجة، بس الواحد
 بيعاند نفسه ويوهم نفسه إنه حيعرف يصلح ويغير!

- أنا محاولتش بصراحة أغير حاجة في المرحوم، أنا كنت مكتفية
 بأولادي وإني عايشة مش ناقصني حاجة وحاطة جزمة في بقي وساكتة،
 وربك بيعوض الصابرين.

كانت "صفاء" تقول كلامها وهي تدلك ساقها المنهكتين من الوقوف
 لساعات متواصلة، وساد الصمت لحظات؛ فانتبهت لصمت "تهاني"
 ونظرت إليها فوجدتها تخفي وجهها بيديها وهي تبكي بحرقة...

قامت مسرعة نحوها: إيه يا تهاني إيه اللي حصل بتعطي له حبيتي؟
 فقالت لها من بين دموعها: أنا تعبت أوي يا صفاء، تعبت عشان أنجح
 حياتي، تعبت، عملت كل اللي أعرفه، عبرت عن حبي لجوزي باللي أعرفه
 وهو إني أموت نفسي من التعب عشان نعيش مع بعض كويس، وعشان
 نكمل، والله شفت أيام محدش يصدق إن تهاني بنت أحسن عائلات البلد
 تمر بيها.. أنا أوقات يا صفاء كان ميقاش معايا في البيت فلوس أجيب عشا
 للأولاد ويبقى صباح الصبح يوم القبض ومعيش ولا مليم، أفضل أدور
 في البيت كله وفي جيوب هدومي وهدوم أسامة وفي شنطي وأجمع نص

جنيه على ربع جنيه عشان أشترى أي حاجة يتعشوا بيها، وأدعي ربنا يطلع النهار عشان أقبض المرتب.. وزى كده كتير أزمات ورا أزمات، وبعد ده كله تكون النتيجة طلاق بالتلاتة وولادي يتحرموا من وجود أبوهم معاهم!

- تهاني حبيتي، أي ست مكانك كانت حتعمل كده، إحنا مبعرفش نعمل غير كده، يمكن عشان مش بنحب نفسنا كفاية فبنجيب آخرنا، إيه اللي فكرك به دلوقت! ما ربنا بيعوضك أهه، وولادك نايمين فوق بعد ما لعبوا وضحكوا مش نايمين زعلانين ولا معيطين زي ما كانوا بسبب خناقاتكم، ونايمين مطمئنين ومع بعضهم مش متقسمين بين أب وأم ولا متريبين في بيت جدتهم أو جدهم عشان الأم والأب اتجوزوا ورموا عيالهم بعيد عنهم، الدنيا مليانة مصايب وبلاوي تشيب الراس، والأولاد يا حبة قلبي همّا اللي بيثيلوا الحمولة كلها، فمتخلّش الشيطان يضيع عليكى وقت تشكري فيه ربنا، وتحسى بنعمته وبتعويضه لكى كل اللي فات.

- صحيح عندك حق، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ربنا يديمها نعمة يارب، الحمد لله.

- ده إنت وش السعد كله، صفاني بقى نار على علم في مدة قصيرة، وأنا بقيت أنام زى القتيلة، ورغم وجود الشيكولاته والكريمة حوالياً في كل مكان متختنش كيلو عن وزنى، إحنا بتحصلنا معجزات وإنّ عمالة تنوحى! يا شيخه قومي وصلي على النبي كده.

عليه الصلاة والسلام.. تردد "تهاني" وراءها.

تشدها صفاء وتحثها على السير وتقول لها: ياللا يا جميلة، نروح
نتوضى ونصلي عشان ننام ونرتاح، إحنا هلكانين تعب.
تسير معها و صفاء تحتضنها، وتقول تهاني وقد عاد لها مرحها
وضحكتها: والله أحلى تعب، تعب ريحته فانيليا وطعمه شيكولاته!
وتضحكان معًا..

القرار

جلست "أمال" تتصفح صفحاتها على الفيسبوك وتفتح الرسائل لتقرأ كعادتها كل صباح رسالة "غيث" لها وتنظر لصورته وترسل لها التحية، فوجدت رسالة حديثة منه، خفق قلبها بشدة وهي تسأل نفسها ما الأمر الهام الذي جعل "غيث" يرسل لها هذه الرسالة بعد هذه الشهور؟ ففتحت الرسالة بسرعة لتقرأ..

أمال، سامحيني إن كنت أخلفت وعدي بعدم التواصل بيننا كما قلت في آخر مقابلة لنا في القطار، لكن أنا لم أعد كما كنت، كنت أكتفي قبل رؤيتك ومصارحتك بحالي معك، بأن أقرأ كلماتك وأضحك مع ضحكاتك وأحزن لحزنك وأنفذ وصاياك، لكن أنا أعيش منذ لقائنا عذابًا لا يعلم مداه إلا الله، أغرق نفسي في العمل وبالاهتمام بأسرتي وأولادي، ويخففون عني الكثير لكن أنا أعيش مقسومًا، أحس أن نصفني غادرنى معك، قد لا تصدقين أنني ندمت ندمًا شديدًا أنني اقتربت منك وعرفتك عن قرب؛ فقد كنت أحتمل قبل هذا حياتي وأنتِ حلم بعيد المنال لا تدرين عني شيئًا، الآن... أنا أتقلب على جمر من النار؛ لأنني تركتك تذهبين وتبتعدين عني! سعادتني غابت، وأحس بانسحاب روعي مني.

أمال، لا بد أن نتزوج.

شهقت "أمال" وتجمعت دموعها وهي تتصور حاله، وهي تلوم نفسها أيضاً؛ لأنها كانت سبباً في ألمه وحزنه! وأكملت قراءة الرسالة وهي تعيد بعينها طلب "غيث" المفاجئ لها..

لا بد أن نتزوج، إن قبلت بي.. أنا أفعل ما أستطيعه، وفوق ما أستطيع لإسعاد أسرتي ولا يشتكون إهمالاً أو تقصيراً، فلا تظني أنك ستأخذين من حقهم شيئاً؛ لأن ما ستأخذيه مني هو حقك أنت، ملكك أنت، لم يكن لي يد في منحك إياه، بل هو تقدير من بيده القلوب، قدر لي حبك، ولا مفر من القدر، ولا حيلة معه؛ فالنجمة البعيدة سحرتني عندما اقتربت منها، وسحبت روحي معها وتركتني أعاني الخواء والألم.. أعيدي إلي روحي، أعيدي إلى أمال.... أرجوكي، لا تتسرعي في الرد، وأمهلي نفسك وقتاً قبل اتخاذ القرار. غيث

أي قرار يا "غيث" تطلبه مني! فأنت تضعني بين شقي رحى، يا الله، ماذا أفعل؟ تحدث "أمال" نفسها وهي ما زالت غير مصدقة ما قرأته.. فكيف يطلب منها ذلك! ماذا عن زوجته؟ أبنائه؟ حياته التي استقر بها هناك طيلة السنوات الماضية!، كيف يعرض كل هذا لهزة قد لا يحتملها من معه وتنهار حياته! لماذا يجعل حبهما ورغبة السعادة معاً سبباً في حزن الآخرين وتعاستهم!

لأ، مش حوافق! قالتها "أمال" هامسة باقتناع، إذاً فلم الدموع؟! لماذا تحسين بالغصة، وبأن قلبك يتمزق وأنت تعلنين رفضك أن تتنفس نفس الهواء الذي يتنفسه كما راودتك خيالاتك، وأنتِ تتنسمين نسمة السحر

وتحسبه يقف بجوارك فتلتفتي فلا تجدين أحداً! لماذا ترفضين أن تسمعي صوته حياً يناديكى فتلبى النداء؟! ألم تسمعي صوته مراراً يناديكى فتردي بنعم، ثم تبسمي لأنك أصبحت كالمجانين تسمعين أصواتاً وترين أطيافاً وتحدين نفسك! فأنت تفتقدينه مثلما يفتقدك.. فلماذا الرفض؟!!

تجاذبها نفسها في حوار عاتب، لكن الأمر لا يخصها وحدها؛ فحياة أسرتين على المحك، أنا لست بتلك القوة يا "غيث" كي أتخذ قراراً يشمل مصير كل هؤلاء! هذا أمر يفوق قدراتي، لن أستطيع.. قالتها حازمة قاطعة أي رجاء بالتمهل، وجلست تكتب من بين دموعها رداً على رسالته..

غيث، طلبك المفاجئ لي أكبر من قوتي أن أتخذ فيه قراراً بالقبول، وأكبر من ضعفي أمام رجائك بالتمهل، أكبر من شوقي إليك ومن رغبات نفسي، فالأمر لا يخصنا وحدنا، فحياة أسرتين مرهونة بقرار.. لا أستطيع، فسامحني، سأظل نجمتك البعيدة وستظل زاد الرحمة والعطف الذي يجعلني أكمل حياتي بكل الرضا والسعادة.. دمت لي يا غيـث.....

أرسلت الرسالة على الفور كي لا تعطي لنفسها مجالاً للتراجع، ورأت أنه قرأها، ولم يعقب.

رغم حزنها من تصور حالته ورفضها الزواج منه إلا أنها كانت تحس أنها لا تملك غير الرفض؛ فسعادتهما مرهونة بسعادة من حولهم، وهذا أمر لا تملك القرار فيه.

توالت أيام الشوق عليها، وهي تشغل نفسها بالتحضير لحفلة توقيع الكتاب والدعاية له، وفي صباح أحد الأيام وجدت رسالة من سيدة تدعى سهيلة السلمي، استوقفها الاسم؛ لأنه نفس اسم زوجة غيِّث، لكن لم تتصور أنها ستكون منها بالفعل..

فبدأت قراءة الرسالة..

بسم الله

أستاذة أمال، أنا سهيلة زوجة غيِّث عبد السلام

أعلم أنك تتساءلين في قلق وتعجب عن سبب إرسالتي هذه الرسالة، غيِّث لا يعلم أنني سأرسل لك بالطبع، لكن كان لابد منها؛ فأنا أحبه أكثر من نفسي وأعلم عنه ما لم يقله لي، وأعلم ما يعاني منه الآن، وأعلم ما يمكنه لك من مشاعر، كيف علمت كل هذا؟ سأقول لك، غيِّث في أول زواجنا كان يعاملني باحترام ولم يسيء معاملتي أبداً، لكنه لم يكن يقضي في البيت إلا أوقاتاً قليلة، ولكن بعد فترة وبعد أن أقلمت نفسي على هذا القدر من الاهتمام منه، وجدته يغير معاملته تماماً، وبدأ بالاهتمام بي بشكل لم أكن أحلم به، وبدأ في تخصيص وقت أكبر للجلوس معي ومع الأولاد من بعد ذلك، وانتبهت أنه يتابعك ويحضر من مصر كتبك، وبدأت أنا الأخرى أقرأها فعلمت من أين ولماذا تغيرت حياتي، وامتلاأت بكل هذا الاهتمام والسعادة، وكان في أول زواجنا حدثني عن زميلته التي أحبتها دون أن تعرف، وبقليل من الذكاء ربط بينك وبين تلك الزميلة خاصة بعد أن علمت

أنك تخرجت في نفس عام تخرجه، أحسست ببعض الغيرة بالطبع لكن لأنني على يقين أنه لم يقابلك أبدًا في حياته كنت لا أشك لحظة في كونك لازلت لا تعلمين، إلى أن حضرنا إلى الإسكندرية في إجازة قصيرة الصيف الماضي، ولاحظت أنه ينظر نحو مكان جلوسك في المطعم، ولأنني أعرفك من صورتك المطبوعة على كتبك علمت أنك هي، ولكنني لم أبلد له أنني لاحظت نظرتة!

وفي اليوم التالي رأيته يجلس على الشاطئ معك، ولم يطل جلوسه وأنا أراه من بعيد وهو لا يراني، وعندما عاد لم أر غيِّث طوال حياتي معه في عينيه تلك اللمعة التي تشي بسعادة غامرة، ولكن بعد عودتنا انطفأت تلك اللمعة وبدا دائمًا حزينًا شاردًا، وإن كان لم يغير معاملته الرائعة معي أو مع أولاده، لكنه لم يكن غيِّثًا الذي أعرفه، كان حزنه يتنامى أمامي وعادت لمعة عيونه لكن بدموع متحجرة يحبسها ويخفيها عني، لا يعلم أنني أقرأه ككتاب مفتوح، لا يعلم أنني أتألم لألمه، وأتمنى أن يهنا براحة بال كما أهنأ معه، أنا أعلم أنه يحبني، لكن أعلم أيضًا أن حبه لك لا يضاهيه حب، لا تتعجبي فأني امرأة تحس بميزان الذهب مشاعر رجل يحب بصدق!

الحب ليس أنانية، وأنا أحب غيِّث، وأحب أن يهدأ قلبه ويطلق سراح هذا الحب الذي يئن داخله، أنا لا أتحمل رؤيته يتألم، رغم أنه يحاول جاهدًا أن يخفي ما به؛ لذا أطلب منك بل أرجو كي ألا ترفضني طلبه بالزواج منك؛ لأنني أعلم عن زوجي استقامته وخوفه من الله، وأنه لا يمكن أن يرضى لك

أو له بعلاقة في غير ما شرعه الله، ولهذا علمت أنه لا بد أنه عرض عليك الزواج، ورفضك هو ما سبب له هذا الحزن، بموافقتك لن تسعديه وحده لأن سعادته ستكون سبباً في سعادتنا، في سعادتي...
حتى تتأكدي أنني من أرسلت لك وأني أعني كل كلمة كتبتها سأصل بك في الساعة الخامسة مساءً بتوقيت القاهرة، لكن رجاءاً اكتبي لي رقم هاتفك.

سهيلة السالمى

أنهت "أمال" الرسالة وعادت فقرأتها مرة أخرى كأنها تريد أن تصدق أن ما قرأته حقيقة، وليس من وحي خيالها!
- هو فيه كده! حتى زوجتك يا غيِّث أغرب من رأيت في حياتي!
تحدث "أمال" نفسها غير مستوعبة موقف زوجته التي تطلب من امرأة أخرى بل ترجوها أن تتزوج زوجها!
- لهذا الحد هناك حب بين البشر!
ظلت "أمال" تفكر في هذه الرسالة العجيبة، وتساءل نفسها.. أكتب لها رقمها أم لا؟ وهل بفرض أنها تطلب جادة هذا الطلب، هل تستطيع هي تنفيذه؟ هل العقبة هي رضاء زوجة غيِّث فقط؟ فماذا عن ابنتيها؟ بل ماذا عنها هي؟!!

- أنا مش عايزه أتجوز، أنا كده كويسة، مش ناقصني حاجة، أنا ممكن أفضل كده لحد آخر يوم في عمري، حتى وحتدي اتعودت عليها.

تحدث "أمال" نفسها، ثم تذكرت "سعيدة" وهي ترفض العودة لحب عمرها "منصور" لخوفها على ذكرياتها معه أن يغيرها بعد السنين! لكنها حديثة العهد بهذا الحب وليس لديها أي ذكريات غير ساعة أو أكثر قضتها معه في لقاءين! بينما هو يحبها منذ زمن ويعرف عنها كل شيء. لكن صوتًا ما داخلها يقول لها: لا، ليست هذه الأسباب هي التي تمنعك من التجاوب والقفز فرحًا بهذا الأمر، فأنتِ أكثر من تعلمين أن الأمر لا يحتاج وقتًا، فقد حدث تلاقٍ لروحيكما، وكل علامات التوافق بينكما موجودة، أنتِ تتألمين شوقًا له أكثر منه، فإن لم يكن هذا هو الحب فماذا يكون!، لا، لا بد أن يكون هناك أمرٌ آخر يمنعك من الإقرار بحاجتك إليه، بيد تقدم ويد تؤخر كتبت لسهيلة رقم هاتفها المحمول مع جملة "يشرفني التعرف بك في كل الأحوال"، في انتظارك.

دخلت "أمال" على صفحة جروب الكتاب، وعرضت الأمر على صديقاتها وكتبت لهن ما يدور بخلدها، بينما "منيرة" لم تكن موجودة لفرق التوقيت.

كتبت علياء: أنا شايفة إنك طبعًا توافقي، ده من حقك، توكلي على الله ووافقي وألف مبروك، أنا نفسي أحضر فرح، شمس ضحكت علينا ومعلمتش أي حفلة.

شمس: أنا رأيي من رأي علياء. وافقي يا أمال، أنا دلوقت بأقول إزاي كنت عايشة لوحدي كده وشايلة هم الدنيا!، توكلي على الله وندر عليًا حاعملك حفلة هناليًا وليكي، ونعمل فرح ثنائي، وعصام مش حيمانع لأنه كان نفسه يعمل فرح وألبس فستان أبيض، لكن في سننا ده ممكن نخليه أوف وايت ههههههه

كريمة: أنا رأيي تستنى لِمَا تكلم مراته، وتعرف من صوتها إن كانت بتقول كده وهي منهارة واللا بتقوله بجد، ماهي يمكن الست بتضحى بنفسها وممكن يجرالها حاجة لو اتجوز بجد، وبعدين أمال لازم تأخذ رأي بناتها وسلسبيل كمان.

شمس: هي وجهة نظر برضه، بس يعني هي حتقولها كلميني وتعيطلها في التليفون يا كريمة!، همًا هناك ثقافتهم بتقبل التعدد عادي، مش زينا خالص! واللا إيه يا أمال؟

أمال: كلام كريمة معقول، فعلاً لازم أستنى لِمَا أكلمها، والأهم رأي البنات، لأن الأولاد لازم يكون عندهم استعداد نفسي لده، إحنا دايمًا نتكلم عن الست ورأيها ومش بنأخذ بالنال إن الأولاد موافقتهم أهم من أي طرف، وبعدين المجازفة بالجواز.. أنا مجربتش الجواز عن حب، خايفة الاعتیاد يغير المشاعر اللي أنا حاسة بيها دلوقت، أنا مبسوطة كده جدًّا!

شمس: طيب تعاليلي بقى أكلمك عن مميزات التعدد فرصتي بقى، جبكم مش حيقبل بالعكس حيزيد لأن غيابه فترات عنك حيقبل دايمًا

الشوق بينكم موجود، وكمان عشان يبقى عندك وقتك الخاص تتابعي فيه حياتك وتفرغي لبناتك وتبقي ليهم خالص زي ما عودتهم، حيتي فيه توازن في حياتك بينهم وبينه، وكمان أضمنلك إن الجواز حيزود الحب بينكم، لَمَّا تلاقي جوزك اللي بيحبك محضر لك فطار وجايلك معاه ورد وبيصحكي بشويش عشان متخضيش حتعرفي إن الجواز أحلى بكتير..

علياء: إيه ده بقاء، نبيل مش بيعمل معايا كده ليه، هو صحيح حنية الدنيا فيه لكن مش بيجبلي ورد ولا بيحضرلي الفطار، أنا اللي باعمل كده بصراحة هههههههه

شمس: مش مهم يا لولو مين اللي بيحضر الفطار ويجيب ورد للتاني، المهم إنه بيحصل، الحنية والكلمة الحلوة، وتحسي بحد حنين معاكي وحاسس بيكي.. دي فعلاً سعادة الدنيا.

كريمة: ليه بس يا جماعة تقلبوا علينا المواجه، ما احنا راضيين وساكتين فطار وورد وحنية! الثلاثة! إنتِ كده يا شمس حتخليني أعمل أي مشكلة مع سعيد وأقوله طلقني عشان عمره ما عملها معايا، وكان يفطر مع إخواته، أنا حاعمل زي الفيلم وأقوله أنا عايزه ورد يا إبراهيم على الفطار يا إِمَّا كل واحد يروح لحاله، أنا عارفة أنه حسيب الكلام كله ويقولني مين إبراهيم ده هههههههه

انتبهت أmaal لعدم وجود أي تعليقات من صفاء، فسألت: صفاء فين؟
علياء: بعتهالها قالتلي عندهم تسليم طليبة النهارده، ومش حتقدر تبقى

معانا وحتدخل تشوف اللي دار بينا بالليل بعد ما تخلص .

شمس: قوليلنا بقى يا أمال حتعملي إيه؟

أمال: أنا عندي مشكلة مع نفسي حاسة بيها، أنا في المرحلة دي مش محتاجة رجل يعالجنى وهو مقسوم اتنين، رغم إنى متأكدة إن عُشر مشاعره تكفى وتسعد أي ست في الدنيا، لكن لازم أتأكد إنى أنا كمان أقدر أسعده، وده اللي مش متأكدة منه، أنا راضية جدًا بحالي كده، ومحتاجة أكون لوحدي، أصلح أمال وأصالحها، وأكمل رسالتي مع سندس وجنة، وأطمئن عليهم، يمكن في الوقت ده أقدر أكون إنسانة بتدي مشاعر لزوجها أكثر ما بتأخذ منه .

كريمة: طبعًا من حقك تختاري اللي يناسبك، لكن برضه خدي رأي البنات يا أمال يمكن رأيهم يفرق معاكى .

علياء: أيوه، خدي رأيهم، إنتِ دايماً بتقولى لو الست مش سعيدة مش حتقدر تسعد اللي حوالها .

أمال: ماهو أنا بالفعل سعيدة جدًا كده، وده اللي كان محيرني من نفسي، ولما بأتكلم مع نفسي بصوت عالي زي دلوقت معاكم، باكتشف الحقيقة، إن رغم كل اللي مرّيت بيه لكن بالفعل أنا عايشة أسعد أيام حياتي! عارفة إن فيه إنسان كريم بيحبني وفاكرني دايماً، ومش لازم نتواجد في نفس المكان عشان أحس بالحب ده، ومش لازم أشوفه ولا حتى أسمعاه؛ لأنى بالفعل شايفاه وسامعاه!

شمس: آه يا قلبي، كفاية يا أمال، قلبي الصغير لا يحتمل. رجعتيني للحب في الخيال، الحب الأفلاطوني، إنتِ اظَّاهر مبقتيش تعرفي تحبي غير في الخيال يا أمال..

كتبتها وانتبهت على أنها جملة تجرح مشاعرها؛ فأسرعت بمحوها لكن أمال كانت قد قرأتها!

أمال: عندك حق يا شمس، ماهو عشان كده لازم أكون قادرة على الحب على أرض الواقع.

شمس: أنا آسفة والله يا أمال، متزعليش مكانش قصدي أقولها زي ما وصلتك، أنا مسحتها، إنتِ لحقتي تقريها إزاي!!

أمال: متأسفيس، بجد أنا مش زعلانة، إنتِ قلتي حكمة وحقيقة، يمكن مكنتش حاعرف أوصف حالتي زي ما قولتيها، وعشان كده محتاجة وقت أعرف أحب بشكل واقعي!

شمس: طيب عشان خاطري، خلينا منسبقش الأحداث، ناخذها واحدة واحدة، الأول تسمعي مراته وأكد كلامك معاها له تأثير على رأيك، وثانياً تشوفي رأي البنات وبرضه أكيد رأيهم حيكون له تأثير.

أمال: إن شاء الله، ادعولي يا نونز ربنا ينور بصيرتي، حابقي أقولكم آخر التطورات، سلام يا نونز.

تبادلن السلام، وقامت "أمال" لتكلم "جنة" وتسألها عن أحوالها،

ومرّت بضعة ساعات وجاءت "سندس" من كليّتها وقبّلت أمها، وهي تسألها ماذا أعدت لطعام الغذاء لأنها لم تأكل شيئاً منذ الصباح.

فقالت لها أمال: الأكل جاهز من بدري، حاسخنه بس في الميكروويف، ثواني أحضر السفرة ونأكل مع بعض، تكوني إنتِ غيرتي هدومك ودخلتي الحمام.

- ربنا يخليكي يا أمولة يا قمر، خمس دقائق وحتلاقيني راشقة على الكرسي.

تبتمس أمال وتتمتم وهي تهز رأسها في تعجب: راشقة!!
جلستا تأكلان الطعام الشهيّ، وسألّت أمال ابنتها عن أحوالها في الكلية، وسألتها "جنة" عن الكتاب وحفل التوقيع..

- حتعمليه فين يا ماما؟

- حاعمله إن شاء الله في قاعة ماسة اللي في الأوتيل اللي بنزل فيه كل سنة، القاعة تحفة وعلى البحر، والفيو حيكون رائع ومكان شيك جدّاً، هو صحيح غالي حبتين، لكن الكتاب يستاهل نعمله دعاية كويسة.

- كويس إنه حيتعمل في أجازة نص السنة؛ عشان جنة تحضره معانا.

- طبعا، هو ينفع أروح من غيركم!

كادت أن تفتح "أمال" معها موضوع "غيث" لكنها فضلت أن تكلم "سلسيل" أولاً؛ فهي بوصلة أخواتها ورأيها في أغلب الأمور يتفق مع

تفكيرهما فسلسبيل بالنسبة لأختيها عنواناً للحكمة والرأي الصائب و"سندس" و"جنة" يلجأون إليها في عرض أي أمور تخصمها، لكن التوقيت الآن غير مناسب للاتصال بها فسوف تنتظر الصباح عندهم لتتكلم معها، وحتى يكون لديها رؤية كاملة واضحة بعد مكالمة زوجة "غيث"

تقرب الساعة من الخامسة، و"أمال" تترقب مكالمة "سهيلة"، أخذت تقرأ رسالتها مرة أخرى، ثم رن جرس هاتفها المحمول وظهر الرقم أنه من خارج مصر؛ فتوقعت أنها هي..

بصوت مضطرب ردت أمال قائلة: ألو، السلام عليكم.

جاءها صوت رقيق هادئ بلهجة خليجية..

- وعليكم السلام والرحمة، مرحباً، أنا سهيلة زوجة غيث.

أمال وقد ازداد اضطراب صوتها: أيوه، أهلاً وسهلاً.

- أهلين بيكي أستاذة أمال.

كان صوتها يغلفه الألفة والمودة؛ فقالت أمال: بلاش أستاذة دي،

قوليلي أمال وبس.

- كلك ذوق أمال، طبعاً إنتِ قرأتِ رسالتي، وأنا بأكلمك عشان أكأد

لك كل كلمة فيها بكل الحب والتقبل للأمر، مافي شيء في نفسي منك، بل

إني حقيقة معجبة فيك جداً، وحنصير أصدقاء وأخوات، وأبغاكي توافقين

على طلب غيِّث.

- مش عارفة أرد عليكِ أقولك إيه! إنتِ بجد إنسانة مصادفتش زيها في حياتي، أنا حاسة بالحرج جدًّا وأنا بأكلمك، ومش عارفة أرد، ومش عارفة أتكلم عن غيِّث، و.. مش عارفة بجد أقول حاجة.

- بالتأكيد شيء صعب تمرِّين فيه، وحاسة بيكي، وعارفة إنه أمر عجيب إني تلاقيني باطلب منك ها الطلب. كيف ما كتبلك حبي لغيِّث بعيد عن الأنانية، ومن ناحية الأولاد همًّا كمان يحترمون أبوهم مرّة. ويقدرّون كل شي بيعمله لجل يكونون مبسوطين، وكمان لَمَّا يشوفون أمهم راضية ومبسوطة ما حيقولوا شي، ما حاطول عليكِ وأنا حاسة بحرجك مني، لكن منتظرة أسمع منك قريب إنك موافقة، وخلينا نتواصل على الواتس آب أو الفسيبوك كيف ما تريدين.

وأنهت معها المحادثة بكثير من الود!

ولا في الأحلام ولا الأفلام زوجة تخطب لزوجها!

تخاطب "أمال" نفسها وهي تتحسس وجنتيها الساختتين من جِراء هذه المحادثة الخيالية التصديق!

أي امرأة تفعل ما فعلته سهيلة!!

وجاء ببالها "كريمة" وهي تقوم بالإصلاح بين زوجها وزوجته الثانية، لكن هناك فرق كبير، فشتان بين الموقفين بالنسبة لزوج كل منهما، فسهيلة

تعشق زوجها ولا تتمنى أن يتركها ولو يوم، لكن "كريمة" استراحت لغياب زوجها الجزئي، وكَيْفَت حياتها على هذا، ولم تعد تنتظر منه حباً ولا شيئاً غير واجهة اجتماعية من أجل أولادها! لكن حتى بهذا فـ"كريمة" أيضاً فريدة من نوعها، فالأقرب للمنطق أن تسعد بمشاكله كمشاعر طبيعية لأنثى مجروحة، لكنها تخطت المشاعر الطبيعية وحبها لنفسها لشيء لا تقدر عليه كل امرأة!

ثم شهقت شهقة خفيفة وهي تقول.. أم محمد، سعيدة، وهي تتذكر كلماتها "حببت على رجله عشان يطلقني" هذه امرأة مجروحة في أنوثتها وعايروها بأنها لا تنجب تتوسل لزوجها وتريد تقبيل قدمه كي يطلقها ليتزوج هو!

ما هؤلاء النساء! مِمَّ خلقن!!؟

من طين مثلنا؟ أم من نور مثل الملائكة!؟

أحست أن "سهيلة" تحبه أكثر منها، وكيف لا! وهي عشرة عمره ورفيقة دربه وأم أولاده!

فأكبرتها وزاد احترامها لها، وإعجابها الشديد بما فعلته، لكنها لم تحسم الأمر بعد مع بناتها ومع نفسها..

نظرت في الساعة المعلقة على الحائط، ما زال هناك بضعة ساعات حتى تستطيع التحدث مع "سلسبيل" فدخلت صفحتها لترسل لها رسالة أنها تريدها في أمر هام، وتريدها أن تتصل بها فور قراءتها للرسالة بعد أن طمأنتها أنه فقط أمر تحتاج فيه مشورتها، فوجدت "منيرة" ردّت على

- إزاي يكون ده رأيها!! دي تهاني حته سكرة، ده كلام ناس سوري يعني جهلة، يعني هي مش بتحترم أمهات المؤمنين ولا كل الصحايات اللي اتجوزوا أكثر من مرة، ولا حتى كل الستات المحترمات اللي بيتجوزوا عشان ده شرع ربنا! إنتِ قوليلها ولو اعترضت أو قالت أي كلام يضايقك سبيها لي أنا بقى أعدلك دماغها البايطة دي.

- رأي تهاني مش حياثر على قراري يا صفاء لو أنا وافقت، تهاني حبيبي وفوق راسي، لكن رأيها ده يخصها هي، أنا حاقولها، بس الأول أعرف أنا حاستقر على إيه.

- خلاص يا أمولة، ابقى سلمى على النونز، ورجعالكم تاني لَمَّا أخلص الطلبة، لو فضل فيّا حيل يعني، سلام.

في وقت لاحق اتصلت سلسبيل بأمال وقالت وصوتها يشي بسعادتها: القلوب فعلاً عند بعضها يا ماما، إنتِ أكيد حاسة بيّا، مش معقول التوقيت ده، أنا لسه جاية أكلمك لقيت رسالتك، أنا كمان عندي حاجة مهمة جداً بس قولي إنتِ الأول.

أحست أمال بفرحة صوت ابنتها فقالت: إنتِ حامل يا سلسبيل؟ صرخت بفرحة: إنتِ عرفتي منين!، أنا لسه عارفة حالاً من تحليل الحمل.

ياه، الحمد لله يارب، ألف مبروك حبيبي، خالد فرحان؟

طبعًا. ده طائر من الفرحة، الفكرة بس إنني قلقانة عشان الماجستير، لكن هو بيقولي حيساعدني ويعملي اللي أنا عايزاه، ويحسس عليًا كأني حاتكسر! وتضحك في سعادة وهو يرد عليها وتسمعه أمال "حبيبة بابا لازم أعاملها بالراحة"

فتقول أمال: هو خالد عايز بنت؟!!

- أيوه تصوري، بيقول نفسه تكون خلفته كلها بنات عشان البنات بيقوا حنينين على باباهم.

تتهند أمال في سعادة وهي تقارن بين زوج سلسبيل ووالدها! وتقول: سلمى، لو بنت سميتها سلمى.

تصيح سلسبيل صارخة: فيه إيه يا ماما النهارده، مش ممكن، إنتِ مش طبيعية، خالد لسه بيقولي عايز يسميها سلمى أو هند، لكن قالي سلمى عشان تبقى إمبراطورية سين، وضحكت.

أنا حلمت بيها يا سلسبيل، وإنتِ اللي قولتيلي في الحلم إن اسمها سلمى، سبحان الله، أنا كمان مستغربة أكثر منك، إن شاء الله حبيبتني تفرحي بيها، حأجيلك وقت الولادة عشان أكون جنبك، خلي بالك من نفسك، وطبعًا إنتِ دكتورة وجوزك دكتور يعني كونسلتو؛ فمش محتاجة توصية.

حاضر يا ماما متقلقيش، قولي بقى كنت عايزاني في إيه؟

تنهدت أمال وهي تفكر كيف تبدأ فقالت: أنا عندي موضوع مهم،
عايزه آخذ رأيك فيه، بس اسمعيه على بعضه وبعدين ردّي.

قالت سلسبيل في اهتمام:

اتفضلي يا ماما، أنا معاكي ولوحدنا، خالد دخل يحضر شوية أوراق
لازم ينهيها قبل ما ينزل.

حكّت لها "أمال" كل ما حدث منذ لقائها الأول بغيث على الشاطئ
حتى آخر مكالمة بينها وبين زوجته، ودعوتها لها لكي توافق على الزواج!
صمتت "سلسبيل" قليلاً بعد أن أنهت "أمال" كلامها؛ فظنت أمال أن
الأمر ضايقها فقالت: أنا باقولك عشان تعرفي، لكن أنا مش موافقة وبأفكر
في سندس وجنة ..

قاطعتها سلسبيل وقالت:

لأ يا ماما، أنا مش ساكتة عشان اضايقت، بالعكس أنا مذهولة من
اللي سمعته، هو فيه حب كده؟! أنا افكرت ده في الأفلام العربي الفكسانة
بتاعتنا! إنت عارفة إن المشاعر العالية دي مليش فيها، لكن بجد شيء وهم!
محدث يرفض حب كده يا ماما!

- حبيبتي أنا مرفضتش الحب، أنا رافضة الجواز لأن التوقيت صعب
جدًا بالنسبة لأخواتك وخصوصًا جنة، وبالنسبة لي وأنا لسه طالعة من رحلة
عمر تُهت فيها، ولسه مستعدتش توازني خالص!

- لو محتاجة وقت، خدي وقتك وفهميه كده، وفي الوقت ده سندس وجنة حيكون لهم حياتهم الخاصة، ولو حتى حصل في وقت قريب سييني أنا أتكلم معاهم، وأنا متأكدة إنهم مش حيعارضوا، أنا نفسي كان ممكن أعارض لو كان جواز لمجرد ضل الحيطه، لكن ده!! لأ، دي حالة عجيبه ومش عاديه! دمعت عينا أمال وهي تسمع ابنتها تتكلم بهذا الرفق وهذا التفهم، وقالت:

حبييتي، أنا عارفة إن اخواتك بيعتبروكي مثلهم الأعلى وحيسمعوا منك، بس فعلاً أنا محتاجة وقت أستعيد نفسي.

ترد سلسبيل: مثلي ومثلهم الأعلى هو إنتِ يا أمولة، أنا بس حاعرف أدخل لهم صح، وعندك سندس كلها إحساس لو حكيت لها حكايتك دي يا ماما حتسح دموع، وتقول الله أنا عايزه من ده!

تضحك أمال وتقول: ربنا يكتب لها كل اللي تتمناه يارب، خلاص حبييتي، أنا حاقعد مع نفسي شويه، وزى ما قولتلك أنا محتاجة وقت، فمتكلميش أخواتك في حاجة غير لما أقولك.

أنهت "أمال" مكالمتها مع ابنتها، وهي تتعجب أن حلمها الذي حلمته وهي في الإسكندرية يتحقق بهذا الشكل، ومن تفهم "سلسبيل" ورغبتها في تقديم المساعدة لها كانت لا تتوقعه! ثم أعلنت "أمال" الخبر السعيد على جروب الكتاب، فتلقت التهاني منهن، وطمأنتها "منيرة" أنها ستتابعها وترعاها حتى ولادتها، وأنها ستكون في استقبالها عندما تسافر لها وقت الولادة.

ورن هاتفها المحمول فكانت "جنة" التي تراقص صوتها من الفرحة بعد أن أرسلت لها "سلسيل" وأخبرتها بأنها تنتظر طفلاً.

ظلت "أمال" تفكر بعد أن وجدت أن الأمر الآن متوقف عليها، ولا بد أن تحسم الأمر مع نفسها، قامت لتصلي ركعتين شكرًا لله على خير حمل "سلسيل"، ولكي تهدأ نفسها وتطلب المعونة من الله كي يبصرها بالخير، أنهت صلاتها وجلست في مكانها تفكر، ووجدت أنها محقة تمامًا في رفضها الزواج الآن؛ للأسباب التي تعلمها جيدًا عن حالها، وعن احتياج بناتها لها في هذه المرحلة..

أحست براحة شديدة لما وصلت إليه مع نفسها، وقررت التواصل مع "سهيلة" لتخبرها قرارها في أقرب فرصة، لكن أولاً لابد أن تخبر النونز بما وصلت إليه بعد أن شغلتهن بالتفكير معها في هذا الأمر!

كتبت للنونز تخبرهن بموقف "سلسيل" وأن موافقة بناتها لن تكون عائقًا، لكن زوال كل هذه الأسباب جعلها تدرك أن المشكلة فيها هي لأنها تحتاج وقتًا لنفسها ولبناتها، وأنها سعيدة هكذا بحياتها، وبهذا الحب النائي الذي ملأ حياتها رضا وسعادة. ثم أرسلت رسالة لـ "سهيلة"، أوضحت لها فيها أنها أكبرتها لما قامت به، وزاد احترامها لها وحرصها على سعادتها، وأفهمتها أن حياتها بها كثير من الالتزامات التي تحتم عليها أن تعطي كل وقتها للاهتمام بها، وأن أولادها هي وغيث أيضًا يحتاجون وجودهما دون تغيير كبير في حياتهم في تلك المرحلة السنية، وتمنت لها ولهم كل

الخير والسعادة، والتي ستعود حتمًا كما كانت وأكثر.. وأنها يسعدتها دائمًا تواصلها معها إن أرادت في أي وقت.

قرأت "سهيلة" رسالتها، وأرسلت ردًا مختصرًا، فكتبت أنها أخبرت زوجها بمحادثتها معها حتى يعلم أنها ليست عائقًا يحول بينها وبينه، وأنها تتمنى لها السعادة في كل الأحوال، ويشرفها أن تظل من متابعيها وقرائها دائمًا. وجدت "أمال" رسائل من النونز بيدين فيها احترامهن لقرارها متمنين لها السعادة والهناء مع انتظارهن للوقت الذي تكون فيه مهيأة لكي تسعد بقية حياتها مع الإنسان الذي أحبها كل هذه السنوات، كان لابد أن ترسل "أمال" رسالتها لغيث في أسرع وقت بعدما علمت أن زوجته أخبرته بمحادثتها معها، فعادت لتكتب رسالتها الأخيرة له...

غيث، الآن أنت تعلم الموقف النبيل والفريد الذي قامت به "سهيلة"؛ لكي تحقق لك السعادة التي تظن أنها ستكتمل بزواجك مني، ولكن أقول لك، إن السعادة كلها مكتملة عندك لا ينقصها أي شيء؛ فأنت تملك زوجة ندر أن تجد مثلها، فلو أنني مكانها قد أقبل بزواجك ولكن لم أكن لأسعى لكي يتحقق، أو أزيل له العقبات كما فعلت هي! فحبها لك لا مثيل له، ولديك أيضًا أنا،

ولكني أحتاج وقتًا كي أعود "أمال" كما أحببتها أول مرة، أنت أمضيت عمرك كله تفكر بي وتمضي في حياة سعيدة وزوجة متفانية محبة لكن ما مررتُ به أنا مختلف تمامًا، بأعمالي جروح لم تلتئم بعد، وبعض منها ترك فيها عاهات مستديمة، مشاعرك نحوي عالجت روحي ويبقى أثر خمسة

وعشرين سنة يحتاج مني أن أتلف بحالي وبك وبمن حولي، الأولاد سيكبرون وتقل حاجتهم إلينا، من حقهم بل من واجبنا ومسئوليتنا أمام الله وأمامهم ألا نعكر عليهم تحقيق أحلامهم بتغييرات كبيرة في حياتهم، بمشاعر قد لا تستوعبها أعمارهم الصغيرة !

ابتي "سلسيل" تفهمت؛ لأنها الآن زوجة وتحب زوجها وتحبني، لكن ليس بأنانية تفرد بها بحبها لي قبل زواجها، وأولادك وبناتي لا يزال لديهم هذا الحب والاستحواذ لنا، لم يتقاسموا مشاعرهم بعد مع أحد يطمئنهم ويجعلهم يفتنون زامانا، ستظل مشاعرنا تصلح حياتنا وحياتهم ونستمد منها القوة والرحمة بغيرنا؛ فشعورنا المتبادل يكمل دائرة السعادة التي تحيطك، كما هي مكتملة عندي، هذا الشعور الطاغي بالرضا والاكتمال هو ما أشعر به، هذا الشعور بالشبع الدائم من زاد الرحمة والعطف هو ما سيعينني في رحلة عودتي لنفسي، ما تشعر به من حزن وألم يمزقني، ولكن أنت مخطئ لأن حزنك يخفي عنك اكتمال دائرة السعادة لديك، انظر لسهيلة ولأولادك وللنجمة البعيدة القريبة ستري الدائرة مكتملة.

الحياة تعلمنا الفقد، وتدرّبنا على إغلاق دوائرنا التي يخترقها الحزن فيكسر جزءاً منها، فإن تركنا أنفسنا دون جبر هذا الكسر تهاوت كلها، وجئت أنت وجبرت كسر دائرتي؛ فاكتملت واکتملت سعادتي، أرجو أن أكون لك مثلما كنت لي، لا أن أكون من اخترق دائرتك فكسرها، أرجو أن أكون فرحاً يكمل سعادتك كما قلت لي، القرب ليس بالمسافة

وأنت أعلم بهذا مني؛ فقربنا كان نوراً أضاء لي حياتي كلها، وأصبحت أنت قمري البعيد المنير الذي ينير كل حياتي ويسامرني كل مساء حتى أغفو، أرجوك أعد لي دوري في حياتك، أعد لي مكاني البعيد، نجمة تسامرها عينك، ومكاني القريب ابتسامة على ثغرك حتى يأذن الله ويكون اللقاء.

أستودعك الله الذي لا تضيع عنده الودائع
وأستودع قلبي لديك؛ فلن تضيعه.
دمت لي يا غيِّث
أمال.

أنهت "أمال" رسالتها وهي لا ترى الحروف التي تكتبها من دموعها، فهي تريد له السعادة كما أسعدها وجوده في حياتها، سمعت طرقة خفيفاً على باب حجرتها، فوجدتها "سندس" تقف حتى تأذن بالدخول، ولم يسعفها الموقف أن تخفي دموعها عن ابتها التي انزعجت لرؤية دموع أمها بهذا الشكل، فاقتربت منها مسرعة في هلع تسألها ما بها...

- مالك يا ماما يا حبيبتي، مالك في إيه؟!، إوعي تقولني مفيش حاجة.
- لأ، فيه حاجة، فيه حاجات يا سندس، فيه حاجات كتيرة حلوة أوي في حياتي، خلتنني مش عارفة أشكر ربنا ازاي!

تقول لها مازحة لتخفف عنها: خبر حمل سلسيل هو اللي مخليكي
تعيطي كده؟ عشان حتعجزني وتبقي جدة.

تبتسم أمال: ده حيبقى أحلى يوم في عمري.

فتعيد المحاولة لكي تخفف عن أمها، فتدللها وهي تداعب وجتيها:
أومال ليه دموعك يا أمولة؟

تبتسم أمال وتقول: إنتِ عارفة إن دموعي قريبة، أفرح أعيط، أزعل
أعيط.

وتسامرت مع ابنتها دون أن تفصح لها عن سبب دموعها، ومضى الليل
وأشرق نهار يوم جديد وأيام بعده.

سكون النون

جاء يوم السفر إلى الإسكندرية قبل حفل التوقيع بيومين، وكان الجو عاصفًا ممطرًا، فسافرت "أمال" و"سندس" و"جنة" مع "صفاء" بالسيارة، ولم تستطع "تهاني" مصاحبتهن من أجل رعايتها لأولادها، وتمنت لهما ولبقية النونز التوفيق والنجاح، وصلن إلى مدخل المدينة واستقبلتهن الإسكندرية بأمطار رعدي ورياح شديدة.

وقالت صفاء وهي تنطلق بهن إلى الفندق: يا خبر على الجو، هو فيه حد حينزل من بيته ويجيلنا الحفلة في الجو ده!

أمال: الجو صعب فعلاً، بس لسه يومين على الحفلة ممكن الجو يتحسن.

سندس: قرئت على النت إن النوة دي مدتها ٤ أيام، وهي بدأت من أول امبارح، يارب الجو يتحسن.

الهواء يصفر خارج السيارة، وانهمر ماء المطر بقوة حتى أن مساحات الأمطار لم يعد لديها القدرة على إزاحته، فهدأت "صفاء" من سرعتها وهي تصيح..

- مش شايفة حاجة من السكة، إيه ده، الدنيا بيضا قدامي.

جنة وهي خائفة: طيب حاولي يا طنط تركني لحد المطرة ما تخف شوية.
صفاء وهي تضحك: هو أنا شايفة حاجة يا جنة!، واللا شايفة الرصيف
فين!، والعربيات حتوسعلي إزاي أركن ومحدش شايف حاجة!

فتردد جنة وهي ترتعش: طيب وبعدين؟

تقول سندس في فرح: ده أحلى يوم بجد، تحفة.. المطر تحفة، نفسي
أنزل من العربية وأمشي تحت المطر ده.

تصرخ فيها جنة: هو إيه اللي تحفة!، نزلها يا طنط، نزلها عشان تتحول
لتمثال شمع من الساعة.

أمال: اهدوا شوية يا بنات عشان صفاء تركز في السكة، كفاية اللي هي فيه.
تضحك صفاء وتقول: بتقولي فيها يا أمولة، أنا اللي أستاهل، كان
المفروض أخلي عم صبحي اللي كان سواق عندنا يبجي يوصلنا، لكن أنا
اللي عملت فيها بطة وقلت أسوق أنا، مكتشش أعرف إن اسكندرية حتعمل
فيّا المقلب ده.

أمال: تحبي آجي مكانك وأسوق أنا؟

صفاء: حتى لو حبيت حبدل مكاناً إزاي يا أمولة!، لو نزلنا من العربية
حنغرق في ثانية.

بعد دقائق قليلة.. تقول صفاء وهي تزيد من سرعتها: الحمد لله بدأت
تهدي شوية أهو، وابتدا الطريق بيان.

وبعد صراع مع المطر وصلت صفاء أخيراً للفندق، وكان المطر قد توقف فاستطعن جميعاً الوصول لصالة الاستقبال دون أن تصيبن مياه الأمطار، كان صوت الموج يزمجر هادراً خارج الفندق، والواجهات الزجاجية تظهر رمادية السماء والبحر؛ مما زاد من إحساسهن ببرودة الجو رغم وجود الهواء الساخن داخل الفندق!

صعدن إلى غرفهن وأفرغن الحقائب وبدأت "أمال" بالاتصال ببقية النونز لإعلامهن بوصولهن، ولم يكن في استطاعتهن الحضور في هذا الطقس السيء، فأرجأن اللقاء بينهن لليوم التالي على أمل تحسن الأحوال الجوية.

ظل الطقس على حاله طوال اليوم، وبنات "أمال" معها في غرفتها، بينما "صفاء" في غرفة ملاصقة لهن، اجتمعن في مطعم الفندق للعشاء، وتفقدت "أمال" و"صفاء" القاعة التي سيقام فيها حفل التوقيع، فأعجبت "صفاء" بها كثيراً خاصة أنها تطل بالكامل على شاطئ البحر، فعند تحسن الجو سيكون خلفية رائعة، وأخذت تدعو الله أن يتحسن هذا الطقس.

في صباح اليوم التالي، كان الطقس ما زال شديد البرودة، لكن الشمس كانت تظهر على استحياء كل فترة، فتنشر بعض الدفء وتظهر جزءاً صغيراً من زرقة السماء، فتزيح الغيوم بلونها الرمادي جانباً، ثم تعاود الاختباء وراء الغيوم، فتهب رياح باردة تنذر بمطر قريب، اتصلت "علياء" وقالت إنها وبقية النونز سيأتين عند الساعة الرابعة لقضاء بعض الوقت معاً، عرضت "أمال" على "صفاء" أن تذهب معها ومع بناتها إلى محطة الرمل؛ كي

تشرب قهوتها كما اعتادت من محل البن البرازيلي، ولكي تلتقي مع عم علي وتتفقد أحواله.

قالت صفاء: وماله الكابتشينو هنا يا أمولة!، ده طعمه تحفة والجو شكله حيدتها زي امبارح، لأ مش عايزه أروح، حتزعلي لو مروحتش؟
تضحك أمال وتقول: لأ طبعًا، زي ما يريحك حبيبتى.

ثم نظرت لبناتها وسألتهما: ها، وانتوا حتيجوا معايا واللا بيات شتوي هنا برضه؟

سندس: أنا طبعًا حاجي، ويارب تشتي علينا.

جنة ضاحكة: يارب تشتي على سندس بس.

فوكزتها سندس في ذراعها، ثم قالت جنة مبتسمة: أنا حاونس طنطتي صفاء، روحوا انتوا.

وانطلقت "أمال" وابنتها لمحطة الرمل.. أوصلت السيارة الأجرة "أمال" و"سندس" لمشارف محطة الرمل، فطلبت "أمال" من السائق أن يتوقف لأنها تريد أن تسير المسافة الباقية، وتأبطت "سندس" ذراع أمها محتمة بها من البرد، والهواء يصارعهما ويقاوم سيرهما، فتصرخ "سندس" ضاحكة وتبادلها "أمال" الضحك؛ لأنهما تشعران كأن أحدًا يسحبهما للخلف كلما تقدمتا خطوة للأمام!

وصلنا إلى مكان المحل وقد تجمدت وجنتاهما، ودمعت عيونهما من الضحك والصقيع!

دفعت "أمال" الباب الزجاجي وهي ما زالت تضحك مع ابنتها، وشعرتنا فرق الحرارة فأحسنا بالدفء على الفور، ورائحة القهوة تعبق المكان، وأصوات تصادم الأكواب وأطباق الفناجين كأنها تعزف موسيقى خاصة بالمكان.

نظرت "أمال" تجاه مكان عم علي وبحث بعينها عنه ولم تجده، اقتربت من زميله الذي يقاربه في العمر، والذي كانت تراه دائماً بجواره لتسأله عنه لكن وجدته مشغولاً بخدمة أحد الزبائن، طلبت من "سندس" انتظارها وتوجهت إلى مكان دفع الحساب في ركن بعيد عن المدخل، وسألت الجالس هناك أمام ماكينة النقود وهي تبسم: هو عم علي فين؟ نظر لها الشاب بابتسامة أسفة، وقال: تعيشي إنت، عم علي توفي من شهرين!

اختفت الابتسامة من وجه "أمال"، ودموع الصقيع اللامعة تحولت لدموع حزن تأثراً لسماعها الخبر، وتمتمت: لا حول ولا قوة إلا بالله.. هو كان تعبان؟

فقال الشاب: آه. كان عنده القلب، وتعب، وربنا مطولش عليه، الله يرحمه، حضرتك حشربي إيه؟

صممت أمان ونظرت إليه في حزن، وقالت: لأ شكرًا، مش حاشرب حاجة.

عادت إلى ابتتها وقالت لها: ياللا يا سندس.

قالت لها سندس وهي متعجبة: ياللا فين يا ماما!، هو احنا لسه شربنا حاجة!؟

فلم تتوقف "أمان"، وتوجهت ناحية الباب ودفعته وخرجت، فصك وجهها الهواء البارد، فشعرت بقشعريرة زادتها تأثرًا وسال دمعها.

لحقتها سندس وهي تنادي عليها: استني يا ماما، هو إيه اللي حصل!، خرجتي ليه؟

فلما رأت دموعها قالت: حصل إيه بس يا ماما؟

فحكّت لها "أمان" عن عم علي، وشعرت "سندس" بالأسى عليه، وترحمت عليه، وتأبّطت ذراع أمها مرة أخرى، وقالت لها: طيب بلاش نشرب كابتشينو؛ لأنك كنت جاية مخصوص تشريبه من إيد عم علي الله يرحمه، تعالي نتمشى نتفرج على الفاترينات، مش معقول حنرجع الأوتيل على طول كده!.

استسلمت "أمان" لرغبة ابتتها وهي تفكر بعم علي وبغيث الذي سيحزن لموته أيضًا، كانت "سندس" تشاهد بسعادة المعروضات، وتشير لأمها لكي تنظر على هذا وذاك، و"أمان" نصف حاضرة معها فذهنها

تخطى المسافات وذهب إلى قارة أخرى يخبر من يهمله الأمر هناك بموت هذا الرجل الطيب الذي صاحبهما طوال سنوات طويلة.

عادتا للفندق بعد جولة قصيرة، وعندما لمحت "سندس" "صفاء" و"جنة" وضعت سبابتها على ثغرها؛ محذرة لهما من خلف والدتها أن لا تسألاها عما بها!

صعدت "أمال" لغرفتها وطلبت من "سندس" أن تلحق بها، أخبرت "سندس" "صفاء" و"جنة" بكلمات سريعة عما حدث في محطة الرمل ونبهت عليهما مرة ثانية ألا يثيرا هذ الموضوع أمام أمها، ثم أسرع لتلحق بها، وبعد الغذاء الذي كان صامتًا بالنسبة لـ"أمال" ومليئًا بالمشاغبات بين "سندس" و"جنة"، بينما "صفاء" تنظر لـ"أمال" تخشى أن تتكلم إلى أن قالت:

- ماهو أنا مبعرفش أقعد ساكتة كده كثير، يبقى لا أكل ولا كلام! مينفعش.

فنظرت إليها أمال وهي تعاتب نفسها: معلش يا صفاء، ذهني مشغول شوية، أنا كنت رايحة مخصوص عشان أشوف عم علي اللي بيعمل القهوة في البن البرازيلي لقيته توفي الله يرحمه، بس إنت ملكيش ذنب تآكلي مع واحدة مكشرة في وشك كده.

- الله يرحمه ويسامحه، وكمان طلبت طبق أول مرة آكله، قلت أغير وأجرب حاجة جديدة طلع أستغفر الله العظيم.. لا يتآكل ولا يتشرب.

- طيب ما تطلبي حاجة غيره.

- أنا لسه حاستنى ساعة تاني، أديني أكلت سلطة ونقنقت في المقبلات وشبعت الحمد لله، تعالي بقى نشرب شاي لحد لَمَّا النونز ييجوا.

حضرت "علياء" و"شمس" وجاءت بعدهما "كريمة" التي نقص وزنها كثيرًا، وقوبلت من بقية النونز بالفرحة والتهنئة لها بهذا الإنجاز الذي انعكس على وجهها إشراقًا وسعادة، وتخلفت "منيرة" لأنها جاءت من السفر صباحًا ولم تنم طوال رحلتها، وفضّلت أن تتراح اليوم لكي تكون حاضرة في أحسن حالاتها في حفل التوقيع.

سألت أمال النونز: مين جاي من عندكم الحفلة؟

ردت كريمة: عبد الرحمن حيوصلني أنا وهاجر، ويرجع يأخذنا.

- وانت يا علياء؟.. سألتها أمال

- طبعًا نبيل سيكون معايا، وأخته سناء، وصاحبتي ضحى.

فصاحت كريمة: ويحيى، إزاي ميحضرش!، ده حيبقى عريس الحفلة.

ضحكت علياء وقالت: مينفعش خالص، مش حابقي مركزة معاكم،

وخصوصًا إنك يا كريمة وكمان صفاء ومنيرة مش حتقدموا نفسكم،

فحقيقى كل الضغط على الأستاذة أمال وعلى شمس وعلياء، أنا حاسييه مع

ماما عشان هي كمان متقعدش الكام ساعة دول لوحدها.

شمس: أنا جاية إن شاء الله مع عصام وأولادي الأربعة.

علياء: بس يا ترى الدعوات اللي راحت للناس الكتيرة اللي عزمناهم
حيقدرُوا ييجوا في الجو ده!، دي الدنيا طيارة برّه.

صفاء: نفس السؤال اللي سألته أول ما شفت حالة الجو لَمَّا وصلنا،
يارب بكره يطلع الجو كويس.

أمال: إن شاء الله سيكون كويس، وبعدين متهيألي إنتوا اتعودتوا على
الجو ده يا علياء، مش انت بتروحي شغلك عادي كل يوم؟

علياء: آه الشغل لازم أروح، لكن لو مكان حد معزوم على حفل توقيع
كتاب في الجو ده مش حانزل بصراحة، وتضحك.

كريمة: على العموم إحنا حنحضر، ودي أهم حاجة نشوف بعض
ونحتفل مع بعض، وبعدين معرض الكتاب في القاهرة آخر الشهر،
وحتعملوا حفل توقيع تاني هناك، ده بس استفتاح كده.

أمال: إحنا عملنا حفل التوقيع هنا في الإسكندرية عشان هي معشوقتنا
كلنا، ده المكان اللي بيجمعنا وقضينا فيه أحلى الأوقات، وإن شاء الله بكره
الشمس حتنور الدنيا، والسما حتكون صافية، والناس حتيجي، والكتاب
حياقتي كل النجاح.

رددن وراءها.. يارب إن شاء الله.

وأكملت أمال.. لازم تكونوا هنا قبل الميعاد بساعة يعني تصلوا الضهر
وتزلوا على طول، مش عايزين نطولّ عشان الناس ترجع بيوتها بدري في النور.

تقول علياء والدموع تلمع في عينيها: أنا حافتقد جداً مناقشاتنا وضحكنا ولمتنا في الجروب، الفطار والاصطباحة بطقم الشاي اللي كانت كريمة بتدخل بيه هي وصفاء، بجد مش متصورة إننا مش حتتكلم تاني عن الكتاب. شمس: نعمل منه جزء تاني ولا تزعلي، بس نشوف حكايات غيرنا ونقررهم بقى.

تبتسم علياء وتقول: أنا أكثر واحدة فيكم استفدت من الكتاب ده، لأن مناقشاتنا وقصصكم علمتني أحسن علاقتي بنبييل، وأخذ بالي من حاجات كتير، اتعلمت من كل واحدة فيكم حاجة مهمة جداً، عمري ما حانساها.. إنت يا شمس، اتعلمت منك إنني لازم أقرب من جوزي وأحاول أكون صديقة تفهمه قبل ما أكون زوجه، وإنني محاولش أغير فيه طباعه الأصيله اللي فيه ولا يبقى همي إنه يكون ملكية لياً.

ومنك يا كريمة، إن الراجل راجل وهو اللي يشيل مسئولياته، مثلهاش عنه طالما يقدر، وإنني ما أجريش أسد عنه.

ومن صفاء، إنني لازم أهتم بشكلي ووزني، ومطلعش همي في الأكل؛ لأن اللي حينضّر هو أنا مش حد تاني.

ومن منيرة، إنني ما أهملش أبداً في نبييل عشان خاطر يحيى، وإن التوازن بين عملي وبيتي هو مفتاح النجاح، ولو الشغل بوظ التوازن ده يبقى البيت أولى، أما من أستاذتنا أمال..

قاطعتها أمال قائلة، وهي تبتسم: شوفي بقى يا أم يحيى، أنا سكتلك كثير وإنّ من يوم ما عرفتك تقوليلى يا أستاذة، رغم إن منيرة مثلاً أكبر واحدة فينا سنًا وبتقولي لها يا منيرة، اشمعنى أنا؟ كلنا بننده بعض بأسامينا، إنّ أختي الصغيرة ومفيش أخت بتنادي أختها بأستاذة، فأنا أمال وبس.

تضحك علياء وتقول: لسانى مش متعود بس ححاول.. اتعلمت من.. أمال، هيبى قتلتها، اتعلمت منها حاجات كثير لو قعدت أتكلم مش حاخلص، لأنى من يوم ما انضمت لمجموعتكم وأنا كل يوم باستفيد حاجة في حياتي، فمش عارفة أشكرها ولا أشكركم إزاي غير إني أدعيلكم دايمًا ربنا يجازيكم بكل خير يارب.

امتدت جلستهن لبضع ساعات قليلة حتى يتسنى لهن الانصراف مبكرًا والتحضير ليوم غد.

كان صوت البحر الهادر ينبىء باستمرار الطقس السيء، وسماع صوت رذاذ المطر على زجاج النوافذ جعل ليل "أمال" قلقًا فلم تنم إلا بعد جهد، وكانت تستيقظ كل حين على ضوء البرق ينير السماء، وصوت الرعد يسبح بحمد الله، فتمتمم بالتسبيح حتى غفت، واستيقظت على صوت ابنتها "سندس" توقظها لصلاة الفجر، أيقظت أختها "جنة" وبعد الانتهاء من الصلاة عدن للنوم سريعًا من كثرة التعب والإرهاق، ولم يزعجهن صوت الريح الذي يصفر خارج الغرفة، تسللت أشعة الشمس لتداعب وجه "أمال"

فاستيقظت وهي تغمض عينيها من شدة النور، فقد تعمدت عدم إسدال الستائر على النافذة؛ لأنها تريد رؤية السماء فور استيقاظها، أسعدها بشدة هذا النور الساطع الذي ينبئ بصفاء السماء وخلوها من الغيام الرمادي المحمل بالمطر، فتحت عينيها فوجدت السماء كصفحة زرقاء لا يوجد بها أي أثر لأي سحب كأنها طليت بهذا اللون الأخاذ! فابتسمت فرحة وهي تحمد الله.

بعد الإفطار ذهبت مع "صفاء" إلى القاعة لتنسيق وضع نسخ الكتاب التي وصلت من القاهرة، ومراجعة كل ترتيبات القاعة، وعلمت من جريدتها أن تليفزيون الإسكندرية سيسجل معهن حوارًا؛ فاتصلت بـ"علياء" و"شمس" تخبرهما، جاءت النونز في موعدهن المتفق عليه، ومعهن "منيرة" التي اشتاقت لـ"أمال" و"صفاء" فكان لقاءها بهما حارًا، وأخذت تطمئن "أمال" على ابنتها "سلسيل" وتشكر لها في زوجها، وأنه يحبها كثيرًا ويرعاها ويتصرف معها بكل رقي واهتمام، وأنها تسوقت معها ورأتها قبل أن تغادر أمريكا للإسكندرية، وأعطتها هدية من ابنتها في مغلف جميل، ففتحتها "أمال" فرحة، ووجدت علبة أنيقة بداخلها قلم ذهبي محفور عليه اسمها طلبته خصيصًا لها لكي توقع به هذا الكتاب مع صديقاتها، احتضنت "أمال" هدية ابنتها بحب، وانضمت مع "منيرة" لبقية النونز للإعداد لاستقبال القادمين للحفل، والذين بدأوا بالفعل في الوصول.

كان من بين الحضور الفتيات التي قابلتهن "أمال" في مكتبة دار المعارف "سارة" و"ولاء" و"دعاء"؛ فقد تلقين دعوة منها بعد تواصلهن الدائم معها عبر صفحتها.

ازدحمت القاعة عن آخرها، وكان هذا مدعاة للفرح للنونز فقد ظنن أن العدد سيكون قليلاً بسبب الأحوال الجوية، وبعد كلمات قصيرة من "أمال" للتعريف بالكتاب والكاتبات، ألقى "علياء" كلمة قصيرة شكرت فيها الجميع وشكرت زوجها، ثم ألقى "شمس" نثراً كتبه خصيصاً للمناسبة بعنوان.. سكون النون

منذ الولادة ونحن نونٌ لا تسكن

في الطفولة كنا النون المدللة

وبهجة القلب لجديها..

وفي المراهقة كنا شمساً مشرقة في عين أبيها..

وفي الشباب كنا وردة

تزهر في بساتين زارعيها..

وفي الزواج كنا نسمة ومودة

وجنة تليق بساكنيها..

وفي الأمومة كنا الحياة.. كنا الوصال

ولمسة حنان وبوصلة تشير دوماً إلى القلب
وتجعل منه وسادة دفاء
ووعداً بأمان ودوام إقامة في عينيها..
وفي الكبير كنا الخريف بألوانه الهادئة
تتساقط منا أيام العمر وتتطاير
وتظل النون
هي الوتد..
هي السند..
مهما تقابل من الحياة
ومهما يعتربها.

بينما يصفق الحضور لشر "شمس" لاحظت "أمال" دخول باقة كبيرة
من زهور الفل والزنبق وعصفور الجنة لفتت أنظار كل الحاضرين تشق
صفوفهم لتصل إليها، ويعطيها الشاب الذي يحمل الباقة مظروفاً مغلقاً
بعناية بدا أن بداخله علبة صغيرة، وقع بصرها على البطاقة المصاحبة للباقة،
فخفق قلبها بشدة مما كتب عليها فقد قرأت "الدائرة مكتملة"، علمت أن
الباقة والمغلف من غيِّث، أخذت الكارت ووضعت في حقيبة يدها، لكنها
لم تستطع أن تفتح المغلف؛ نظراً لتوافد الحاضرين للتوقيع على نسخهم

من الكتاب، وبعد الانتهاء من التوقيعات، بدأت مع بقية النونز في أخذ الصور التذكارية وهن يقطن تورتة كبيرة كتب عليها اسم الكتاب، ونادت "أمال" على "كريمة" و"منيرة" و"صفاء" كأصدقاء عمر ليشاركوهن هذه اللحظة وهذه الصور، وتم اللقاء التليفزيوني بحضور "شمس" و"علياء" و"أمال"، وبعد انصراف الجميع وقفن معًا يتبادلن التهئة بنجاح الحفل وتلقي بشرى نجاح الكتاب، واقترحت "علياء" أن يخرجن لأخذ صور تذكارية على الشاطئ؛ فقد كان الطقس بالخارج رائعًا رغم وجود بعض الهواء، لكنه كان هواءً منشعًا أضفى سحرًا على المكان.

وقفن جميعًا معًا، وأخذت "سندس" تصورهن في أكثر من لقطة و"أمال" تحمل المظروف بقوة في يدها، تمنى أن تفتحه، لكنها تنتظر وقتًا تكون بمفردها، طلبن من "سندس" أن تصورهن وهن ينظرن نحو الشمس كغلاف كتابهن الذي يظهر امرأة تنظر للشمس الغاربة في هدوء وسكينة، فوقفن محتضنات بعضهن بعضًا، وهن يضحكن بسعادة الأطفال، ثم طلبن من أخت "نبيل" أن تلتقط لهن صورة تجمعهن مع أحبائهن، فوقفت "كريمة" مرتدية رداءها الفيروزي اللون الذي تحبه، وهي تحتضن بقوة ابنتها "هاجر" وابنها "عبد الرحمن" الذي أتى لتوصيل أمه وأخته للمنزل.. ووقفت "علياء" تتأبط ذراع "نبيل".." و"شمس" يحتضنها زوجها "عصام" ويتوسطا أولادها الأربعة.. و"أمال" تقف بين "سندس" و"جنت"، وكل منهما تحتضن أمها من جانب، والتي ما زالت تمسك بقوة بالمغلف الذي

ظهر جليًا في الصورة وكأنه نائبٌ عن غيِّث، ليقف بروحه وقلبه معها في هذه الصورة الغالية.. وبجوارهن "صفاء" تحتضن "جنة".. ثم "منيرة" تتأبط ذراع زوجها.

كانت الصورة تضحك بالفعل، فكلها سعادة وفرح ودفء، رغم برد غروب الشتاء، لم يظهر فيها ألم ولا شجن ولا غدر ولا وجع.

استأذن الجميع للانصراف مع وعد بلقاء أخير بين النونز قبل سفر "صفاء" و"أمال" في الغد، وذهبت كل من "سندس" و"جنة" لغرفتيهما للراحة محتضنتين "صفاء" التي ذهبت معهما، ووقفت "أمال" وحدها على الشاطئ بعد أن طلبت منهن تركها قليلاً لترى الغروب عن قرب، فتحت "أمال" المغلف بقلب يردد اسم غيِّث، فوجدت علبة أنيقة جدًا من الحرير الأزرق، جوانبها مطعمة بالفضة، ففتحتها بيد مرتعشة، وعين دامعة تتوق لرؤية ما بداخلها، فتحت الغطاء برفق، فوجدت صورتها تنعكس في مرآة مثبتة بظهر الغطاء، ووجدت بداخلها سلسلة ذهبية مدلاة منها نجمة صغيرة من فصوص الألماس الدقيق، ودائرة من الذهب على شكل وجه مبتسم، وبطاقة صغيرة مستطيلة مكتوب عليها بخط يده بقلم أسود رفيع...

"إلى أظهر نفس وأرق روح، سأنتظرك، أرسلت مع المرأة شوقًا دائمًا لعينيك، غيِّث"

احتضنت "أمال" البطاقة، ونظرت للمرأة مرة أخرى، وكأنها ترد لعينه السلام والأشواق، وأخذت تتحسس بأناملها النجمة والوجه المبتسم، وتبسمت وارتدت السلسلة، وأمسكت بالنجمة والوجه بين أصبعيها وقبّلتها ثم احتضنتها بقوة مخبأة إياهما بقبضة يدها، ودموعها تتراقص فرحًا وهي تقف مواجهة للبحر الذي شهد لقاءها الأول مع غيث، وموجّه يُسمعها رجع صوته، ناظرة لغروب الشمس وغروب كل ذكرياتها الأليمة، وبقي لها قمر في السماء ونجمة وابتسامة في قبضة يدها.

نَسَّ بِحَمْرِ اللَّهِ